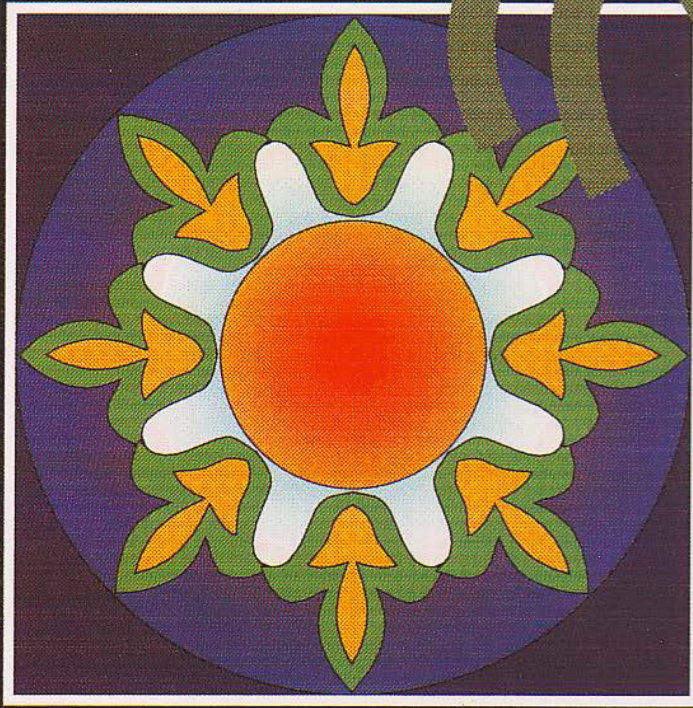


السحر وطيون

الثبات ..
والنماء ..



د. علي بن إبراهيم النملة

مكتبة العبيكان

الألوكة

www.alukah.net

السعويديون :

الثبات .. والنماء ..

وقف من جمعية كتب

علي بن إبراهيم النملة

عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

عضو مجلس الشورى

مكتبة العبيكان

ح مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية

النملة، علي بن إبراهيم

السعودية: الثبات والنماء.

... ص؛ ... سم

ردمك ٠ - ١٦٠ - ٢٠ - ٩٩٦٠

١ - السعودية - تاريخ ٢ - السعودية - المقالات العربية

أ - العنوان

١٦ / ٠٦٣٣

ديوي ٠٨١, ٥٣١

رقم الإيداع: ١٦ / ٠٦٣٣

ردمك ٠ - ١٦٠ - ٢٠ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٩٩٥م / ١٤١٦هـ

حقوق الطبع محفوظة

لا يجوز نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب في أي شكل من الأشكال أو بأية وسيلة من الوسائل - سواء التصويرية أم الإلكترونية أم الميكانيكية، بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو سواها وحفظ المعلومات واسترجاعها - دون إذن خطي من الناشر.

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص. ب. ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩



المحتويات

٩	الإهداء
١١	تقديم
١٣	المدخل: الكتابة الصحفية .. وحراس البوابات
١٩	أولاً: السعوديون .. الوطن والتميز
٢١	الوطن .. المبدأ .. الثبات
٢٦	الوطن .. الأمن .. والحضارة!
٣٠	السعوديون .. والبشائية ..!!
٣٥	الرجل .. والمسؤولية
٣٩	عندما بكى الناس!
٤٦	الرياض تجوب ألمانيا!
٥٢	الموارد البشرية .. والدورات
٥٧	التنميم .. ونظرية الحوافز!!
٦٢	لائحة النظام والاستثناءات
٦٨	«الترف الحضاري»
٧٣	ثانياً: السعوديون وخدمات الحج
٧٥	التمسوا وحدة الأمة .. في الحج
٨٠	التضامن في الحج ..!!

- ٨٣ المعاني النفسية للحج
- ٨٧ أصوات متعددة .. وعالم واحد .. !
- ٩٢ الأمن في الحج .. !!
- ٩٥ هنيئاً لكم يا هؤلاء
- ١٠٣ الأمة لا تجتمع على ضلالة!
- ١٠٨ الحج عرفة
- ١١٢ الحج .. والجاليات .. والوضوح!
- ١١٦ الحجاج .. والتخلف .. !!
- ١٢١ عزت أمة ترفرفين عليها
- ١٢٦ حملات الحجاج .. !
- ١٢٩ ثالثاً: السعوديون ومكافحة المخدرات
- ١٣١ المتحدثون عن المخدرات .. !
- ١٣٦ مكافحة المخدرات والجريمة .. !
- ١٤٥ المخدرات .. المؤتمر والوقاية!
- ١٤٥ المُخدراتُ .. وفُرسَانُ المنَافِذِ!!
- ١٥٥ عن المروّجين!! سلكوا لمحاولة الثراء درياً أسوداً!!
- ١٥٦ المخدرات .. والتبرع بالدم ..
- ١٦٢ السنوات الحرجة في تاريخ المخدرات
- ١٧٥ المخدراتُ .. والوقاية قبل العلاج
- ١٧٤ القافلة .. العزم والحزم والحزم
- ١٨١ القافلة .. التوعية والعضوية

- التدخين .. في صناديق الطائرة .. ! ١٨٩
- رابعاً: السعوديون والدعوة والإغاثة ١٩٥
- السعوديون .. والإغاثة .. ! ١٩٧
- إجازة الربيع .. يقضونها في السودان ٢٠٢
- الخير .. والتنسيق .. !! ٢٠٧
- حملات توعية المسلمين ٢١٠
- حملات توعية المسلمين (١) ٢١٤
- دورات الأئمة والدعاة .. والتبشير المضاد! ٢١٨
- أوروبا .. وألف ألف مصحف ! ٢٢٤
- الأمر بالمعروف .. وضبط المجتمعات ! ٢٣٠
- ما يراد من الخطباء تجاه المرأة: الأم ٢٣٥
- ما يراد من الخطباء إزاء المرأة .. الزوجة ٢٣٩
- المطوع .. !! ٢٤٤
- خامساً: السعوديون والخدمة الصحية ٢٤٧
- مركزية الدواء والصيدلة ٢٤٩
- وقفه على أبواب الطوارئ ٢٥٦
- التمارز .. ومجانبة العلاج .. وفعالية الدواء ٢٦٠
- عندما يخذل الأطباء مرضاهم ! ٢٦٥
- حضانة الأطفال ٢٧٠
- شمولية الإعلام .. والقضايا الاجتماعية ٢٧٨
- الجنادرية .. وانطلاقة الموروث ٢٨٢

- ٢٨٥ الوجه الآخر للتراث .. !!
- ٢٨٩ توجيه التراث .. !!
- ٢٩٢ أبو القرص .. وأصحاب الهيم!
- ٢٩٨ مراكز البحوث .. والمؤشّر
- ٣٠٥ ٦,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ للبحث العلمي
- ٣٠٩ الدراسات الإسلامية

الإفراء

إلى المواطن الصالح - أحسبه كذلك -
الذي خُلف وراءه مواطنين صالحين - أحسبهم
كذلك - إلى أبي إبراهيم بن حمد بن إبراهيم
النملة الذي لقي الله تعالى ولمَّا يكمل قطف
ثمار شجرة سقاها بعرقه وكده وصبره، فأثمرت
خيراً في بلد الخير، وإلى المواطن الصالح -
أحسبه كذلك - الذي أحب هذا الوطن وأحبه،
فلقي الله تعالى محلّقاً في سماء الوطن سابحاً
في مياهه غارقاً فيها، إلى أخي المقدم بحري
طيّار عبد الله بن إبراهيم بن حمد النملة داعياً
الله لهما بالرحمة والمغفرة والتعويض بخير مما
خلفاه وراءهما.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد فهذه مجموعة من الإسهامات الصحفية ذات علاقة مباشرة بالوطن المتميز المملكة العربية السعودية كنت قد بثتها في الصحف والمجلات السعودية طيلة عشر سنين مضت، ومرت معها أحداث هزت المنطقة وانعكست على هذه الإسهامات.

ونصر نحن السعوديين على أننا متميزون بما أوتينا عليه من خدمة لبيوت الله تعالى في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وهذه الخصوصية تطلبت من الوطن والقيادة والمواطن العيش على مستوى خدمة هذه المقدسات والإنطلاق بهذه المسؤولية إلى كل مكان يقيم فيه مسلمون.

وقد وزعت هذه المجموعة إلى خمس مجموعات فرعية، الأولى منها ذات علاقة مباشرة بمفهوم الوطن والوطنية، والثانية تتعلق بخدمة هذه البلاد لضيوف الرحمن في كل موسم من مواسم الحج، والمجموعة الثالثة تتحدث عن تصدي السعوديين لوباء من أوبئة هذا العصر الفتاكة، فتجنُّد الطاقات والخبرات والقوة لمكافحة المخدرات. وتعرُّج المجموعة الرابعة على الجهود السعودية في مجال الإغاثة والدعوة إلى الله في الخارج والداخل.

ثم تأتي المجموعة الخامسة لتهتم ببعض الوقفات الاجتماعية ذات العلاقة بالخدمات العامة كالصحة وخدمة التراث والبحث العلمي .

ويطيب لي أن أقدم هذه الإسهامات للقارئ الكريم والقارئة الكريمة مجموعة في كتاب تعبيراً مني عن حبي العميق لهذا الوطن وللمواطن، وإسهاماً مني في خدمة هذه الأرض الطيبة بما تحمله من انتماء وخير ليس على مستوى الوطن فحسب، بل على مستوى العالم دون مبالغة .

كما يطيب لي أن أتقدم بالشكر الجزيل للصحف والمجلات التي رحبت بهذا القلم ونشرت له إسهاماته بين طياتها. وعلى رأس هذه الصحف صحيفة الجزيرة التي كانت منها الانطلاقة برئاسة الأستاذ محمد بن ناصر بن عباس، ثم مجلة اليمامة برئاسة الدكتور فهد العرابي الحارثي، فصحيفة المدينة المنورة، وصحيفة البلاد برئاسة الدكتور عبد العزيز النهاري، ومجلة الجيل بإدارة الأستاذ سليمان العقيلي، وغيرها من الصحف، فلكل هؤلاء وللقارئ الكريم والقارئة الكريمة جزيل الشكر على الحث على المواصلة .

وأرجو أن يكون في هذه المجموعة تسجيل لفترة زمنية مرت بها البلاد وهي في طريقها إلى النماء الثابت، تجمع بين خلفيتها الحضارية والثقافية وحاضرها التقني ومستقبلها المشرق بإذن الله تعالى . كما أرجو أن يكون فيها فائدة للوطن والمواطن بما نكنه لهذا الوطن من الولاء والتقدير مما لا يكفي معه القول المجرد، إذ هو لا يزال بحاجة إلى الأفعال التي تسبق الأقوال. وفق الله العاملين من أجل وطن المبادئ، وكان الله في عون الجميع .

علي بن إبراهيم النملة

الرياض في ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م

المدخل: الكتابة الصحفية.. وحراس البوابات

مما يميز كتاب الصحافة عندنا أنهم يمشون وفق مفهوم أمانة الكلمة التي يعملون على بثها بين الناس . فليس كل كلام يُقال وينشر . ولذا فإن مفهوم «كلام جرايد» محدود في صحافتنا جداً، ولا يصدق على صحفنا إلا في حالات نادرة قائمة على الاجتهادات التي لا تصيب في جميع الأحوال .

والكلمة أمانة لأننا ندرك أننا محاسبون على ما نقول إن لم يكن عن طريق المؤسسات التي تهتم بأمانة الكلمة في العاجلة فعن طريق المحاسبة الكبرى في الآجلة حينما تنشر الصحف وكل يتسلم كتابه وفيه ما عمل وما قال وما كتب .

ولذا نجد أن الكاتب المخلص للكلمة التي يودُّ نشرها بين الناس يحاسب نفسه ذاتياً قبل أن يكتب الكلمة . ونجد كذلك حرص المسؤولين عن الكلمة من رؤساء تحرير الصحف من الجريدة إلى المجلة السيارة والثقافية، ومن ناشرين للكتب ولوسائل نقل المعلومة في أوعية أخرى للمعلومات، هم حريصون - وكذلك نحسبهم - أن ينشروا الكلمة التي تسهم في البناء العلمي والثقافي والفكري والاجتماعي، ويستبعدون الكلمات التي يشتمون منها معارضة لهذا الأسلوب في التعامل مع الكلمة .

ونحن نسمي هؤلاء بالتعبير المترجم «حرّاس البوّابات» الذين يسمحون لكلمات بالمرور ولا يسمحون لكلمات أخرى بالمرور، إذا ما رأوا أن هذه الكلمات تسيء أكثر مما تحسن. ويمكن أن نرى تفاوتاً في تقدير إجسان الكلمة أو إساءتها بين حراس البوابات، ولكنهم جميعاً يعملون على مساندة فكرة البناء مسهمين في إزالة أفكار الهدم من الطريق. ولا نستطيع الجزم بأن كل الناس ممن يكتبون على مستوى عالٍ من إدراك مسؤولية الكلمة فقد يظن البعض أنه على هذا المستوى، ولكن يتبيّن من إسهاماته أنه بعيد عن مستوى الإدراك.

وكنت أسأل إحدى الكاتبات السعوديات المعروفات في الوسط الأدبي والصحفي عن سبب عزوفها الملحوظ عن الإسهام في النهضة الصحفية، في الوقت الذي تتكرر فيه الدعوة إلى مواصلتها الإسهام، فكانت إجابتها على شكل اعتراض على عدم احترام الكلمة من بعض من يكتبون أو يكتب ممن يستعجلون الشهرة أو يبحثون عنها في مخالفة الآخرين.

وهذا النموذج النسائي العازف عن المواصلة ليس بدعاً في هذا المجال، فهناك آخرون كانت لهم إسهاماتهم في المجالات الأدبية والفكرية ولهم قراءؤهم ومتابعوهم، ولكنهم في لحظة تفكير وتقويم يقررون العزوف عن المواصلة تاركين المحال مفتوحاً لبعض من لم يصل بهم المستوى الفكري والعلمي إلى احترام الكلمة وإدراك مسؤوليتها في العاجلة والآجلة. ومناقشة هذه الفكرة تقتضي التعميم دون ذكر الأسماء على طريقة «ما بال أقوام».

ولعل من أمانة الكلمة احترام المتلقي القارئ في إعطائه ما ينبغي أن يقرأه دون النزول به إلى مستوى هو أرفع منه بالتعمية عليه، أو بمحاولة الحوم حول الحمى دون الوقوع فيه، ولدينا الآن في هذا الوقت

قراء، رغم التحديات الحياتية الأخرى كالمشاغل والارتباطات والمنافسات المعلوماتية الأخرى، ولكن هؤلاء القراء على قدر من الوعي والإدراك بحيث يصعب عدم تقديم ما يناسبهم من المعلومات في أسلوب المخاطبة. وقد يظن البعض من الكاتبين أنه قادر على إخفاء عيب فيه أو تغيير مقصده بالكلمات، ولكن هذا غير ممكن في مجتمع يقرأ بتمعن ونظرة تحليلية، وقديماً قال شاعرنا:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تُعلم
ومن أمانة الكلمة عدم تسخير القلم في خدمة أغراض لا تعود على الأمة بالخير مهما ألبست من لباس الإخلاص والغيرة على الأمة. وهناك كتاب على المستوى الإقليمي يرون المصلحة من زوايا تختلف عن الزاوية الحق، وليسوا بالضرورة مدركين أن هذه الزوايا التي ينطلقون منها إنما هي تسيء أكثر مما تحسن، هكذا تصوّروا، وهكذا يريدون أن يشيع تصورهم في مجتمعاتهم، وذلك لأنهم اتخذوا موقفاً من الزاوية الحق التي لا تخضع لمفهوم الزمان والمكان، ولولا تطوّر الأساليب التعبيرية لما فرّق القارئ بين كاتب في القرن الثاني الهجري وكاتب في القرن الخامس عشر، وبين كاتب في مشرق الدنيا وآخر في مغربها. وليس القصد هنا أن يكون الجميع نسخة واحدة يكرر بعضها بعضاً، ولكن المقصود هنا هو أن هناك ميزاناً للحق يطالب بمعرفته كل من يريد أن يمسك بالقلم ويشيع الكلمة بين الناس.

ومع هذا سيظل هناك من لا يحترم أمانة الكلمة، وسيظل هناك من لا يحترم القارئ كلما كان ميزان الحق غير واضح. ولكن هذه الفئة ممن يمكن أن يُطلق عليهم «المستغفلين» بكسر اللام لا يبقون طويلاً، لأن ما ينفع الناس هو الذي يمكث في الأرض. وسيظل هناك من يتكسب وراء قلمه، ولو أدى إنتاج القلم إلى التعدي على المثل والمبادئ التي تقوم

عليها المجتمعات، يستوي في هذا القلم مع القلم. ولا أعلم أن مجتمعاً قد صفا من هذه النماذج من الأقلام التي تسيء استخدام الكلمة، ولكني أعلم أن المجتمع الذي يسير وفق مفهوم أمانة الكلمة في أفراده ومؤسساته يضيق بالضرورة على أولئك الذين لا يخدمون التوجه العام للمجتمع، ولذلك لا تستمر هذه الفئة في غواية المجتمع مهما لبست من ملابس يظن عليها شيء من الإصلاح أو الإخلاص.

وبهذا أظن أنه مع إدراك هذا المفهوم تصبح الكتابة الصحفية من أصعب ما يمكن أن يقوم به الكاتب، فهي عندي بهذا المفهوم أصعب من كتابة المقالة العلمية التي تنشر في دورية محكمة أو كتاب يخضع للفحص قبل الإذن بنشره، وبهذا أظن أن مهمات رؤساء تحرير الصحف والمجلات غير يسيرة بحال من الأحوال مهما كانوا في مستوى عالٍ من الوعي والإدراك، ولكنهم مع هذا يظلون في حرج من أن يساء فهم الكلمة فيساء تفسيرها وتحليلها. وعليه فإن رؤساء التحرير في تكليف مستمر يستحقون معه العون والدعاء بالعون ما أصروا على التأكيد على أمانة الكلمة. وأخص هنا المسؤولية على رؤساء التحرير دون غيرهم من حراس البوابات لأن المعنى بهذه الوقفة هي الكتابة الصحفية. وأخصص كذلك هنا المسؤولية على رؤساء التحرير في الصحف لأنهم يدركون ما قد لا يدركه الكاتب نفسه حينما يسبق القلم أحياناً فينشر كلمات لم تمر بالضرورة على الميزان.

ويدخل في الحديث على أمانة الكلمة التعرض لمفهوم «حرية الكلمة» أو «حرية الرأي» التي تتردد في أحيان شتى دون الإدراك العميق لما تعنيه الحرية في المجتمعات. فالحرية كلمة مطلوبة للجميع في جميع صفوف الحياة بما فيها الكتابة الصحفية. والنظم والسياسات الإعلامية الواعية تكفل حرية الكلمة وحرية الرأي، ولا يحجر على أحد لمجرد

الحجر على الكلمة أو على الرأي. والأمر الذي لا يزال غامضاً لدى البعض هو التحديد الدقيق للكلمة «الحرية» وتطويعها للمبادئ والمثل التي تؤمن بها المجتمعات وتبناها. والتحديد الدقيق للكلمة يختلف فيه إثنان في مجتمع واحد متجانس، وحرى أن يختلف فيه إثنان من مجتمعات غير متجانسة. والأصل في الكلمة والرأي أن تكون حرّة، والأصل في الحياة كلها الحرية بعد تحديد مفهوم الحرية، وليس فقط مجرد ترديد الكلمة يعني أنها هي الأصل في كل الممارسات. ولست لأحد مفهوماً أنا فقد اختلف في تحديدها الكبار والمتفلسفون. ولكن الميزان الحق هو الذي يحدد مفهوم الحرية بعامة وحرية الكلمة وحرية الرأي بخاصة. ومن هنا يتضح أن هذا المجتمع الذي يؤمن بالميزان الحق ويطبقه على الحياة يؤمن كذلك بحرية الرأي وحرية الكلمة من منطلق هذا الميزان، فلا ضرر ولا ضرار، والمصلحة مقدمة على المفسدة، ودرء المفسدة مطلوب، وكل هذه قواعد أصولية معروفة عندنا نسعى إلى تطبيقها لنضمن مجتمعاً حياً متفاعلاً مع الحياة مطمئناً آمناً. ودون هذه القواعد لا ينتظر لمجتمع أن يقوم إلا كما تقوم مجتمعات الغابات من تلك التي لم تنل نعمة التفكير والتعقل والتدبر.

أعان الله «حراس البوابات» على الاستمرار في المحافظة على أمانة الكلمة، وأعان الله الكاتبين والكاتبات على إدراك مفهوم أمانة الكلمة، وأعان الله رؤساء التحرير في الصحافة على الإصرار على أمانة الكلمة، وكان الله في عون الجميع.

علي بن إبراهيم النملة

أولاد:

السعوديون.. الوطن والتميز..

الوطن.. المبدأ.. الثبات

«سبق للعرب أن قادوا العالم في مرحلتين طويلتين من مراحل التقدم الإنساني طوال ألفي سنة على الأقل قبل أيام اليونان، ثم في العصور الوسطى مدة أربعة قرون تقريباً، وليس ثمة ما يمنع هذه الشعوب من أن تقود العالم ثانية في المستقبل القريب أو البعيد».

هذه عبارة أطلقها المستشرق الأمريكي «جورج سارتون ١٨٨٤ - ١٩٥٦ م» أستاذ تاريخ العلوم بجامعة واشنطن ثم هارفارد ورئيس الاتحاد الدولي لتاريخ العلوم الأمريكية وكانت قيادة العرب (المسلمين) للعالم في المرحلة الثانية لأكثر من أربعة قرون، ولعل سارتون يقصد الجنس العربي قبل انتقال الخلافة الإسلامية من العرب إلى المسلمين غير العرب إبان أواخر الخلافة العباسية.

والقصد من إيراد العبارة هذه هو التركيز على قول هذا المستشرق البلجيكي الأصل، أنه ليس ثمة ما يمنع هذه الشعوب من أن تقود العالم ثانية في المستقبل القريب أو البعيد.

وقد مرت جزيرة العرب بفترة من الزمن ذاب فيها الوازع الديني، وبعدت الشقة بين الناس والدين، فعمت الأمية وسيطر الجهل، وبدأت رياح الجاهلية الأولى تهب على المجتمع العربي في الجزيرة العربية، وفي

هذه الأثناء يظهر بطل من أبطال الدعوة الإسلامية سنة ١١١٥ هـ / ١٧٠٣ م «محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن سليمان بن علي التيمي» وينشأ في بيت علم، وتفتق قريحته العلمية ويرى جهلاً شبه مطبق من حوله، يرى عبادة القبور والتبرك بالشجر والحجر، ويرى تفككا في الجزيرة العربية تقوده العصبية القبلية، تمزق المجتمع وفتته، فيصبر العالم حتى يُكوّن القاعدة الصلبة من العلم الشرعي، ويستطيع معه أن يجابه هذه الضلالات وأن يعمل على عودة الناس إلى الثبات على المبدأ، فيبحث عن من يعينه بالسلطان فيجد محمد بن سعود الإمام الأمير في الدرعية، فيتفقان سنة ١١٨٥ هـ / ١٧٤٠ م على التعاون حتى النهاية للعودة بالمجتمع إلى الإسلام الصحيح، ولقيادة هذا المجتمع قيادة تكفل القضاء على كل ما من شأنه زعزعة الثبات على المبدأ. فحمى الأمير الإمام الدعوة وإمام الدعوة ونصرها بإيمانه وسيفه وجاهد في سبيلها واحداً وعشرين عاماً كانت حصيلتها قيام «الدولة السعودية الأولى».

ونمر بالزمان والأحداث سريعاً إلى نهاية القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي حينما تنجب الرياض عبقرية الجزيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فصيل آل سعود المولود بقصر الرياض في ٢٠ ذي الحجة من سنة ١٢٩٧ هـ لتقوم على أكتاف هذا الصقر مهمة توحيد الجزيرة العربية تحت راية واحدة، هي امتداد لذلك التعاون الذي بدأه الإمام الأمير محمد بن سعود مع الإمام الداعية محمد بن عبد الوهاب، وهي تعاضد بين القاعدة والقيادة تجسد في قوله غفر الله له «إن خدمة الشعب واجبة علينا، لهذا فنحن نخدمه بعيوننا وقلوبنا، ونرى أن من لا يخدم شعبه ويخلص له فهو ناقص، شعبنا العرب، فنحن من العرب وإليهم، وخدمة الإسلام والعرب واجبة علينا بصفة عامة، وخدمة شعبنا وامتنا واجبة علينا بصفة خاصة، ولا بد أنكم سمعتم أننا ألزمتنا ولاة

الأمر بالنظر في شؤون الرعية، وجعلناها أمانة في أعناقهم، فعليهم أن يقوموا بالواجب والنصح للشعب وأن يجتهدوا في تخليص ما عليهم من حقوق ومالهم من واجبات» وفي قوله رحمه الله: «إنني أفخر بكل من يخدم الإسلام والمسلمين واعتز بهم، بل أخدمهم وأساعدهم وأؤيدهم، وإنني أمقت من يحاول الدس على الدين وعلى المسلمين ولو كان من أسمى الناس مقاماً وأعلاهم مكانة».

وفي قوله عليه رحمة الله: «إنني خادم هذه البلاد العربية لنصرة هذا الدين، وخادم للرعية. إن الملك لله وحده، وما نحن إلا خدم لرعايانا، فإذا لم ننصف ضعيفهم ونأخذ على يد ظالمهم وننصح لهم ونسهر على مصالحهم فنكون قد خنا الأمانة المودعة إلينا». ولذا كانت أحلى أيامه وأجلها هي تلكم الأيام التي قضاها في الصول والجول يوحد الجزيرة العربية ويخضعها لسلطان الله. وكان يذكرها بالارتياح التام. سقى الله أيام توحيد الجزيرة على نهج السلف الصالح رحمهم الله جميعاً.

وهو الذي علم أولاده من بعده، وشعبه من أولاده، أن تسبق أعمالهم أقوالهم وحذر من العكس: «أنا لست من رجال القول الذين يرمون باللفظ من غير حساب، فأنا رجلٌ عملي إذا قلت فعلت. وعيب عليّ في ديني وشرفي أن أقول قولاً لا أتبعه بالعمل لأن هذا شيء ما اعتدت عليه ولا أحب أن أتعوده أبداً».

وهو الذي قاد أمة، وكان مضرب المثل في العزم والإصرار والتفاني في خدمة أمته، فنشر العدل والأمان وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأيقن أن العدل أساس الملك، واستطاع توطين البادية وتحضيرها، وعمم أحكام الشرع، وأقام الحدود فتمكن من ضبط الأمور وبناء الدولة بتكافل يدعو إلى الإعجاب، وهذا رأي المؤرخين فيه ولم يكن رأياً انفرد به كاتب أو متابع لمسيرة الملك عبد العزيز وسيرته، وقال

الجنرال «كليتون» يخاطب الملك عبد العزيز - رحمه الله :- «إن هذا الملك الواسع لم يؤسس إلا بعد مئات السنين، أما أنت ففي ثلاثين سنة أسست ملكاً واسعاً».

ولا يزال الخلف يسير على نهج السلف. فقد تخرج على مدرسته وكان تحت رعايته، فما هو إلا امتداد لتلك المدرسة التي قامت على خدمة الإسلام والمسلمين، ورعاية الشعب والسهر على مصالحه وجلبه إلى الحضارة وجلب الحضارة إليه. ورجل مثل عبد العزيز لا بد أن يخلف رجالاً يحيون ذكراه ويسقون الزرعة التي غرسها بجهد وقدم لها حياته وطاقاته كلها، ولا تفتأ هذه الزرعة تنمو وتنمو، كل يسهم في سقيها ورعايتها وسلامة تربتها ونزع ما يتطفل حولها من نبت يضرها أو يعرقل نموها.

لقد أقام عبد العزيز هذه البلاد على «فلسفة» أثبتت أنها قابلة للتطبيق حتى في الزمان الذي عقب هذه الفلسفة، فكان لم يرد النافع من وسائل النهضة والحضارة، وكان من سعة الأفق بحيث يعمد إلى إيضاح نفع هذه المخترعات والتطورات إلى فئة من أبناء شعبه الذين ترددوا في استقدامها وفي استخدامها، وتمتد هذه الحنكة لترقى بالبلاد - اليوم - إلى مصاف البلاد الراقية، وتنزع عنها مسميات أطلقها عليها من لا يريدون لها النهوض كالدولة النامية أو الدولة الموسومة بأنها من دول العالم الثالث أو دول الجنوب. هذا في الوقت الذي تصر فيه البلاد ويؤكد فيه قادتها عدم تعارض المدنية والتنمية والنهوض مع التمسك بشرع الله في شتى صنوف التعامل من الحكم بما أنزل الله على مستوى الحاكم وعلى مستوى الفرد في نفسه وفي أهله وفي مجتمعه. الأمر الذي أثار الإعجاب وجعل هذه البلاد مضرب المثل.

لقد قامت هذه البلاد على مبدأ وثبتت عليه وتصر على الثبات على

المبدأ. وذلك سر من أسرار نجاح السياسة السعودية في الداخل والخارج، ونحن في الأول من الميزان، الثالث والعشرين من أيلول/سبتمبر نتذكر تلکم الجهود التي أقامت دولة وأنشأت أمة وأثرت في العالم كله، ونصر على خدمتها والسعي إلى رفعتها بأنفسنا وأموالنا وما أوتينا من علم وحكمة، وأن نحافظ على أمنها واستقرارها، نرد عنها كيد الكائدين، ونقف في وجه أولئك الذين يريدون تعكير صفوها وإحداث الخلل في هذا التلاحم بين القيادة والأمة، يقودنا في هذا حكم الله تعالى في كتاب الله الكريم وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -.

ونحن نتذكر تلکم الجهود في حياتنا اليومية، في العمل وفي المدرسة وفي المحل وفي البيت، فيأتي تذكركنا لها سامياً على التعلق بمجرد تراب الأرض أو حدود البلاد. فقد تخطت القيادة الحكيمة حدود البلاد، ونشرت الخير في كل مكان، إذ لا توجد دولة في العالم تتبوأ مكانة روحية خاصة مثل المملكة العربية السعودية، فالأفئدة التي تتوجه بدعائها وصلواتها إلى مكة المكرمة خمس مرات في اليوم لا تقل عن (مليار) نسمة موزعين في جميع أنحاء العالم. ولا شك أن توجه مثل هذه الأعداد الهائلة إلى مكة المكرمة يعطي المملكة العربية السعودية ثقل المسؤولية، وإزاء ذلك فإن هذه المسؤولية بما تفرضه من واجبات تحتم على خادم الأماكن المقدسة أن يكون حارساً وقائداً ورمزاً لوحدة المسلمين وتطلعاتهم ومدافعاً عن عقيدتهم ومقدساتهم.

وفق الله حماة البلاد والمدافعين عن مقدسات المسلمين في الداخل والخارج وأعانهم على المهمات التي أنيطت بهم، وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة، العدد ٧١٠٢

الاثنين ٦ رمضان ١٤١٢ هـ / ٩ مارس ١٩٩٢ م

شأنه أن يخالف عقيدة البلاد وإن بدا منه ما يوحي بخدمة البلاد. فالوطن من هذه الناحية ينظر إلى الأمور نظرة راسخة فيها الثبات وفيها روح الانتماء. ولم تعقه قط هذه النظرة عن النماء في كل مجالات النماء. ووطن يعمل لدنياه كأنه يعيش أبداً ويعمل لدينه كأنه يموت غداً لا بد أن يصل من الرخاء مواصل يتعذر على الغير الوصول إليها ما لم يقتدوا بهذه النظرة.

وهذا هو الوطن الذي نشر دعوة التوحيد التي آمن بها وجعلها رايته تخفق في كل مكان. نشر التوحيد من خلال تنميته لرجال التوحيد من أهل البلاد وغير أهل البلاد. أقام لهم الجامعات وهياً لهم السكن ومنحهم المكافآت. ويسر لهم السفر ذهاباً وإياباً ووفر لهم الكتاب وطبع لهم القرآن الكريم وأنفق الكثير على بيوت الله وعلى رأسها الحرمان الشريفان. وأرسل الدعاة، وخرّج العلماء وأعان على التقوى في كل بلاد المسلمين وبين الأقليات المسلمة في كل مكان.

هذا هو الوطن الذي يأبى أن تعدد أياديه الكريمة، لأنه لا يقصد من ذلكم دنيا يصيبها، فلا يعود عليه شيء إلا أنه يخطو خطوات كريمة في سبيل خدمة هذه الراية التي ترفرف فوق كل مواطن ومقيم. هذا هو الوطن الذي يرفض أن تعتبر هذه الأيدي الكريمة مجالاً للمنة أو التذكير بها للآخرين. هذا هو الوطن الذي رسم أهدافاً سامية تقوم على نهج رباني قويم يحث على أن يعبد الله في كل مكان وزمان، ويحث على الخلافة في الأرض فلا ينسى المرء فيها نصيبه من الدنيا. وهذا هو الوطن الذي يصر على هذه الأهداف ويذكر بها كل من حاول أن ينسى من بعيد أن هذه البلاد قامت وتقوم على تحقيق هذه الأهداف.

وذلكم أيها الأعداء هو الوطن الذي شق طريقه في عمق الثقافة والحضارة فحقق مقوماتها المادية والمعنوية. ولعل تحقيق المقومات

بحاجة إلى أن يقول لهم شيئاً يعبر به لهم عن تقديره لجهودهم، ولكنهم لا يحتاجون إلى ذلكم التعبير، إذ تكفيهم النظرات المقدرة لمهامهم والتي تغني عن كل تعبير.

ذلكم أيها الأعداء الوطن الذي عزم على ألا يتوقف في طريقه إلى الرخاء المرسوم الذي لا يصل إلى نكران النعمة فتزول. وتلكم أيها الأخوة توجيهات رجال الوطن التي تؤكد على عدم نكران النعمة خوفاً من أن تزول. وما دام رجال هذا الوطن يدركون أن النعمة تحتاج إلى الشكر فذلكم إيمان صادق برب هذه النعمة الذي نسيه أقوام كثيرون فكان أن نزلت بهم النوازل وحاقت بهم الكوارث وما جنى عليهم أحد، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

ذلكم أيها الأعداء هو الوطن الذي عزم على ألا يلتفت إلى الحاسدين ولو حاولوا أن يثنوه عن مسيرة الرخاء والأمن، ولو حاولوا أن يشوشوا الأمن مضرب المثل، فكان أن أثبتوا للعالم أجمع دون أن يقصدوا أن هذه البلاد برجالها قد عازمت على أن تجعل من الأمن فيها مضرب المثل، لا لمجرد التفاخر بين البلاد ولكن لأنها شعرت أن المواطن يستحق أن يعيش الأمن كله بجميع صنوفه. فوقف الوطن في وجه أولئك الذين أثبتوا للعالم أجمع أنهم على غير هدى في اختيارهم فرصة للبروز ولفت النظر إليهم. لقد حالفهم عدم التوفيق لأن النوايا لم تكن سليمة ولأنهم تحركوا حركات لا ترضي الله تعالى. ولأن إبراهيم عليه السلام قد دعا لهذه الأرض الطاهرة أن يجعلها الله بلداً آمناً. فهيهات لمن يسعون إلى مخالفة الأنبياء في نظرتهم لهذه البلاد وما فيها من حرمت ومن فيها من رجال آثروا أن يخدموا هذه الحرمت. ذلكم أيها الأعداء هو الوطن الذي لم يُقَصَّر في تنمية الرجال بحيث يخدمون دنياهم ودينهم في آن واحد ومن منطلق واحد. فترى الوطن يرفض كل ما من

شأنه أن يخالف عقيدة البلاد وإن بدا منه ما يوحي بخدمة البلاد. فالوطن من هذه الناحية ينظر إلى الأمور نظرة راسخة فيها الثبات وفيها روح الانتماء. ولم تعقه قط هذه النظرة عن النماء في كل مجالات النماء. ووطن يعمل لدنياه كأنه يعيش أبداً ويعمل لدينه كأنه يموت غداً لا بد أن يصل من الرخاء مواصل يتعذر على الغير الوصول إليها ما لم يقتدوا بهذه النظرة.

وهذا هو الوطن الذي نشر دعوة التوحيد التي آمن بها وجعلها رايته تخفق في كل مكان. نشر التوحيد من خلال تنميته لرجال التوحيد من أهل البلاد وغير أهل البلاد. أقام لهم الجامعات وهياً لهم السكن ومنحهم المكافآت. ويسر لهم السفر ذهاباً وإياباً ووفر لهم الكتاب وطبع لهم القرآن الكريم وأنفق الكثير على بيوت الله وعلى رأسها الحرمان الشريفان. وأرسل الدعاة، وخرّج العلماء وأعان على التقوى في كل بلاد المسلمين وبين الأقليات المسلمة في كل مكان.

هذا هو الوطن الذي يأبى أن تعدد أياديه الكريمة، لأنه لا يقصد من ذلكم دنيا يصيبها، فلا يعود عليه شيء إلا أنه يخطو خطوات كريمة في سبيل خدمة هذه الراية التي ترفرف فوق كل مواطن ومقيم. هذا هو الوطن الذي يرفض أن تعتبر هذه الأيدي الكريمة مجالاً للمنة أو التذكير بها للآخرين. هذا هو الوطن الذي رسم أهدافاً سامية تقوم على نهج رباني قويم يحث على أن يعبد الله في كل مكان وزمان، ويحث على الخلافة في الأرض فلا ينسى المرء فيها نصيبه من الدنيا. وهذا هو الوطن الذي يصر على هذه الأهداف ويذكر بها كل من حاول أن ينسى من بعيد أن هذه البلاد قامت وتقوم على تحقيق هذه الأهداف.

وذلكم أيها الأعداء هو الوطن الذي شق طريقه في عمق الثقافة والحضارة فحقق مقوماتها المادية والمعنوية. ولعل تحقيق المقومات

المادية مشاهد وملموس وتحقيق المقومات المعنوية - وهي المقومات الأهم - هو أن يشعر المواطن هنا أنه في عمق الحضارة حينما يرى كل شيء أمامه متحققاً في الوقت الذي لا يرى فيه أمامه منغصات تقف حائلاً بينه وبين التمتع بما تحقق له .

ذلكم الشعور بأنه يعيش في عمق الحضارة جعله يستفيد من مقوماتها المادية الملموسة، ماذا ترون في شخص قد مهدت له الطرق وسهلت له سبل العيش المادية، ولكنه لا يشعر بالأمن في ذاته وبين أهله وفي وطنه؟ هو يخشى على نفسه إن خرج ألا يعود، وإن عاد ألا يجد أهله . ما فائدة المقومات المادية للحضارة إن لم تتوفر مقوماتها المعنوية؟ هذه البلاد أكدت من خلال رجالها على المقومات المعنوية للحضارة لأنها احترمت الإنسان أولاً، وأدركت أنه هو الوطن ولن يقوم دون الإنسان السوي، فطرقت السبل التي تخرج الإنسان السوي . وما أجمل أن تتمثل في هذا الإنسان المواطن جميع مقومات مادية لا يمكن أن تنمو فيه بين يوم وليلة .

ومن أجل ذلكم كله، ومن أجل أكثر من ذلكم يحق لهذا الوطن أن يتذكر اليوم الذي يجمع الله فيه الشمل تحت راية واحدة هي ليست ككل الرايات، فتحية لهذا الوطن، وتحية للمواطن، وتحية لجميع الرجال العاملين في خدمة الوطن والمواطن في سبيل تحقيق الأهداف السامية لهذا الوطن، وكان الله في عون الجميع .

السعوديون.. والبشائكية..!!

أراد الله لهذه الأرض أن تكتنف أفضل مكانين مقدسين عند أكثر من مليار مسلم من البشر.. وأراد الله للسعوديين أن يكونوا هم سدنة الحرمين الشريفين بمكة المكرمة وبالمدينة النبوية.. وهذا قدر السعوديين الذي يعتزون به ويحاولون أن يكونوا عند مستواه..

وينظر الناس المسلمون - وهم بشر - على أن السعوديين بسبب وضعهم المتميز هذا لا بد أن يكونوا فوق مستوى البشر قريبين من الملائكة، فلا يصدر منهم إلا كل ما هو حق، ولا يقعون في الخطأ، ولا يحصل منهم ما يحصل عادة من البشر، ولا يكون منهم ما يكون عادة من البشر، إلا كل ما هو طيب وسار في حدود الشرع الإسلامي الذي بدأ خطواته الأولى بمكة المكرمة، ثم انطلق من المدينة النبوية، طيبة مدينة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.. وما يُحتمل من مسلم آخر خارج هذه الحدود لا يمكن أن يُحتمل من مسلم داخل الحدود التي تأتي فيها الأماكن المقدسة.

ولأجل هذه النظرة المثالية وقع كثير من المسلمين في خلط عندما أرادوا تحديد مفهوم الأماكن المقدسة، فجعلوا حدود المملكة العربية السعودية داخلة في هذا المفهوم، وكانت هناك صعوبة كأداء في إقناع

بعض المسلمين الذين هم على قسط لا بأس به من الثقافة الدينية على أن تحديد الأماكن المقدسة إنما هو تحديد قديم معروف بحدود الحرم المكي والحرم المدني، ولهذه الحدود أحكامها من حيث الصيد وقطع الأشجار ودخول غير المسلمين وعدم دخول غير المسلمين وهذه محددة من زمن ليس بالقريب. وساعدت التقنية الحديثة والتطور في التحديد من حيث المعالم والإرشادات والتعليمات وغيرها في دقة ووضوح حدود الأماكن المقدسة. ولكن جزءاً غير يسير من المسلمين يرفض ذهنياً وفكرياً أن يقبل هذه الفكرة.

ولهذا الخلط ظهرت فكرة عدم احتمال الخطأ من السعوديين. وكيف يخطئون وهم آتون من بيت الله الحرام ومن مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام؟ هذا أمر لدى البعض غير محتمل. وإذا قلت إن السعوديين بشر، وليسوا ملائكة قيل لك من منطلق عقيدي نعم، هم ليسوا ملائكة ولكنهم ليسوا بالبشر، وهنا ندخل في متاهة من متاهات المعتزلة حينما نفسر هذه النظرية بأنها تريد للسعوديين أن يكونوا في «منزلة بين المنزلتين» دون الملائكة لأن معتقد الإنسان المسلم يؤمن بهذا، وفي الوقت نفسه ومما هو خارج عن المعتقد نجد أنهم يرون السعوديين فوق البشر المعاصر لهم. إذاً هم بشائكة!!

ولا يعني إنكار هذه النظرة البشائكية إقرار الخطأ الذي يقع به بعض السعوديين، فالخطأ منكر من السعوديين وغير السعوديين، ولكن السعوديين وغيرهم خطأون، وخير الخطائين التوابون. . ولا يعني إنكار النظرة البشائكية عدم توقع المثالية في السعوديين، ولكنها المثالية الواقعية الإيجابية مع الحياة الدنيا التي لا بد أن يحصل فيها ذلك. . وليس السعوديون بمعصومين فالعصمة انتهت عند وفاة محمد عليه الصلاة والسلام، لم تعد باقية لغيره من أبناء الأمة علمائها وولاتها ومفكريها

ومثقفها وقادتها. . فكل هؤلاء بشر، يحصل منهم ما يحصل من أي بشر، ويوزن ما يحصل على الحق فما وافقه فمقبول وما خالفه فمردود. ناهيك عن عامة البشر الذين يتوقع منهم الزلل لجهلهم، وربما لضعف في الإيمان سواء كانوا داخل الحدود أم خارجها.

والنظرة الواقعية للأشياء تفرض علينا أن نؤكد أن الإسلام ليس محصوراً بالحدود السعودية، وإن كنا لا نستطيع إغفال الميزة التي قدّرت للسعودية، وأما غير ذلك فالله كما نقول معبود في كل مكان، وفي كل زمان أيضاً. والمسلم في السعودية كالمسلم في أي مكان آخر ذكراً كان أو أنثى من حيث التكليف الشرعي ومن حيث الموقف يوم الجزاء والحساب، إذ كل سيقف وحده دون نظر إلى جنس أو لون أو خلفية لغوية أو عرقية. وإذا ما حصل من السعوديين تفريط في الميزة فإن الحساب عليهم ربما يكون أشد من آخر لم يكن له مثل هذه الميزة، ومع هذا فالتأكيد وارد في أنه لا تزر وازرة وزر أخرى، وكل يحاسب حسب تقصيره أو إتمامه لما يراد منه، بغض النظر عن الأحوال المدنية، إذ لا بطاقات في ذلكم الموقف إلا بطاقات القلب السليم.

والسعوديون بحاجة إلى أن يكونوا حذرين جداً في تصرفاتهم في الداخل والخارج بسبب هذه النظرة المفاضلة حولهم، والمتوقع منهم، وهذا هو الحاصل في الغالب، أن يكونوا عند المستوى المتوقع منهم، فأني تصرف فردي يأخذ جانب التعميم حين يقال إن السعوديين (كلهم) يقعون في المزلق الذي وقع فيه فرد، قد لا يكون مسؤولاً إلا عن نفسه. ومع هذا لا مبرر للوقوع في المزالق غير القابلة للتسوية.

والسعوديون بحاجة كذلك إلى أن يفهموا الآخرين أن ما يحصل من فرد لا يقبل التعميم، وأن الجميع بشر، يحصل منهم ما يحصل، وأظن أن الذي يستطيع أن يقنع الآخرين بهذه النظرة سيخرج منتصراً، خاصة كلما بعدت المسافة عن المملكة العربية السعودية.

إن بعض السعوديين الذين تفرض عليهم طبيعة أعمالهم السفر والاختلاط بأخرين من المسلمين يعانون من هذه النظرة، حينما تنهال عليهم نظرات العتاب من تصرفات غيرهم ممن يظن أنهم جاؤوا من الأماكن المقدسة، وممن يظن أنهم حفدة الرعيل الأول الذين حملوا الرسالة على أكتافهم وفي قلوبهم وأبلغوها للناس، فوصلت الدعوة إلى ما وصلت إليه ولا تزال تمتد. والآخرون لا يستطيعون الخروج من مفهوم أن امتداد الدعوة لا يزال ينطلق من مكة والمدينة، ومع ما في هذا من الصحة إلا أن حصر منطلق الدعوة من مكان بعينه يعيدنا إلى التصنيف الذي نريد الخروج منه.

وقد رأينا أن الدعوة مع انطلاقتها من مكة والمدينة انطلقت من دمشق وبغداد والقاهرة والقيروان وقرطبة والآستانة، ونرى الآن مع انطلاقتها من معظم هذه المدن، أنها تنطلق أيضاً من المدن الحديثة في العالم الحديث.

وهذا لا يعني السعوديين من مهمتهم السامية، ولا يخرجهم عن دائرة المسؤولية، و ينتظر المسلمون منهم الاستمرار في تحملها، والمزيد من الإنطلاق في خدمة الإسلام والمسلمين خدمة حديثة تتناسب واحتياجات المسلمين حسب ظروفهم وبيئاتهم، وهذا الانتظار للاستمرار والمزيد ربما يكون له أثر في مدى تقبل الإسهامات التي تصل إلى البيئات الإسلامية من حيث شعور البعض بأنها جزء من الواجب الذي يقوم به السعوديون تجاه الأمة. هذا الواجب الذي ما فتىء السعوديون في كل مناسبة يؤكدونه. ومع كونه واجباً لا يفضي الآخرين من المستفيدين منه أن يقولوا للمحسن أحسنت، وأن يشكروا الله تعالى عليه بشكرهم للقائمين عليه، وأن يوازنوا بين الإحسان والإساءة ليجدوا فرقاً كبيراً بين المقصرين، ولكنه قانون «حسنات الأبرار سيئات المقربين» هو الذي

يطغى أحياناً على الأحكام السريعة عند الوقوف على أي تصرف لا يتوقع من السغوديين الذين أخرجوا من صنف البشر وما أدخلوا في صنف الملائكة، ولا يدخلون، فأصبحوا من البشائكة غير الموجودين على أرض الواقع.

وإزاء هذا لا يملك المرء إلا الدعاء لهؤلاء الذين يصرون على التميز من خلال الأفعال والأقوال، وكان الله في عون الجميع.

الجيل

الرجل.. والمسؤولية..

يظن البعض أن الحاكم أي حاكم يتمتع بالسعادة المفرطة عند تسلمه للحكم ويظن البعض أن الحاكم أي حاكم يملك الشيء الكثير لأنه يملك القدرة على القرار ولذا يطلب من الحاكم مثاليًا ما لا يستطيعه واقعياً. وحاكم اليوم في القرن الخامس عشر الهجري العشرين الميلادي متعدد المسؤوليات في شتى الميادين.

فعليه مسؤولية شعب، يسعى بما أوتى من قدرة على تحقيق متطلبات هذا الشعب، وهو يمارس من أجلهم الرعاية، فهو راع وهو مسؤول عن رعيته، والشعب أي شعب لديه ما لديه من المتطلبات بعضها يقبل التحقيق فيتحقق، وبعضها لا يحتمل التحقيق فلا يتحقق، والشعب فئات عدة فيه العالم الكبير، وفيه طالب العلم، وفيه الأستاذ والمعلم وفيه الطبيب والمهندس، وفيه المستشار والخبير، وفيه الفلاح والصانع، وفيه العامل والمهني، وفيه الوزير والسفير وكل هذه الفئات لها أسلوب في المعاملة ويجمعها جميعاً العدل في المعاملة والإنصاف في تحقيق الممكن مما هو مطلوب.

وعلى الحاكم مسؤولية البلاد التي يحكمها من حيث سعيه إلى جلب المصالح لها ودرء المفسد عنها، ولذا فإن استيراد المواد، بل إن

استخراج خير الأرض يخضع عند الحاكم لجلب المصلحة ودرء المفسدة استناداً إلى استخدامات هذا الخير، ونعلم أن في الأرض خيرات يسيء الإنسان استخدامها فيجعلها أو يجعل منها مدمرات له ولسعاده. ولذا نجد أن الحاكم يتخذ القرار في درء المفسدة بعدم التعمق في التنقيب عن كل خيرات الأرض.

ومن مسؤولية الحاكم تجاه البلاد أن يكثر فيها مواطن الخير في الحقول والمصانع والمدارس والمستشفيات والحفاظ على البيئة وأمور شتى.

وعلى الحاكم مسؤولية إقليمية تبعاً لمدى تأثير البلاد التي يحكمها على الإقليم الجغرافي أو الإقليم الثقافي الذي تدور في فلكه، فإن كان الإقليم عربياً فعلى الحاكم أي حاكم مسؤولية في هذا الإقليم، وإن كان الإقليم الثقافي إسلامياً فعلى الحاكم مسؤولية نسبة تجاه هذا الإقليم. وليست مسؤوليات جميع الحكام متساوية في هذا الإقليم الثقافي، وهذا بحد ذاته يضيف مسؤولية على مسؤولية.

وعلى الحاكم مسؤولية دولية، إذ إنه جزء من مجموعة من الحكام له أثره مهما كان الأثر محدوداً في التمشي مع القرارات الدولية وتطبيقها على بلده، والعالم اليوم يعيش مجموعة من المعاهدات والاتفاقات تقيد الحاكم نفسه أحياناً وتحد من مسؤوليته ورغبته في الإنطلاق في طموحات أو آمال أو خطط يرمي إليها. والحاكم في هذا يحاول أن يوفق بين مسؤوليته ومدى ارتباطه الأدبي بهذا النظام الدولي.

ومن مسؤوليته الدولية علاقته بالعالم الآخر الذي يختلف في منطلقاته الثقافية عن منطلقات هذا الحاكم وتختلف بعض مبادئه عن مبادئ يؤمن بها الحاكم ويتبناها. وهو مطالب بأن يوفق بين هذه وتلك فلا يخل بمبادئه ومنطلقاته ولا يهين المبادئ الأخرى الغربية إذا لم تكن تتعارض تعارضاً واضحاً مع مبادئه ومنطلقاته.

ومن مسؤولية الحاكم الدولية إسهامه في إيجاد التوازن الدولي
بالقدر الذي يمكنه الإسهام فيه .

والحاكم بشر مثله مثل غيره من البشر له رغباته وعليه متطلباته فعليه
مسؤولياته الاجتماعية في البيت وبين الأسرة، بل إن عليه مسؤولياته تجاه
نفسه قبل المسؤوليات الأخرى .

ومن مسؤوليته العظمى أنه مؤتمن على الحكم ويتحمل أعباءه، فهو
مسؤول أمام الله تعالى في استغلاله الرعاية استغلالاً يرضي الله تعالى
فيرضى عنه الناس . وهذه هي المسؤولية الكبرى التي تتحقق معها جميع
المسؤوليات إذا ما تحققت .

وإن مجرد الإحساس بهذه المسؤوليات الجسام ليضفي عبئاً على
الحاكم يسعى إلى الاضطلاع به .

ومما يعين على تحمل المسؤولية أن يهيء الله تعالى الأسباب التي
تطرق ويقدر عليها من خلال اختياره مجموعة من معاونين على تحقيق
الأهداف، فيكون هؤلاء اليد اليمنى للحاكم ينوبون عنه في التنفيذ بموجب
الصلاحيات التي يمنحها إياهم، ويتحملون أمامه مسؤولياتهم، ولكنهم لا
يتحملون مسؤوليته هو، ولذا قالوا في الإدارة إن الصلاحيات يمكن أن
تفوض ولكن المسؤوليات لا تفوض . إلا أن الأعوان الثقات يقفون وراء
الحاكم العظيم . ومتى ما وجد معاون متقاعس أثر هذا ولا شك على أداء
الحاكم نفسه، والناس تعودوا على النظر إلى القمة عندما يلحظون
تقصيراً .

وبغض النظر عن الناس فإن الحاكم نفسه يحاسب نفسه كل يوم،
ويقوم ما مر به من أمور وأحوال في اليوم واللييلة، فينام هائناً عندما يرى
الحسن في التقويم، وينقض مضجعه إذا ما وجد المنغصات . ونعلم من
المتابعة أن أموراً جساماً تمر على بعض الحكام فلا ينامون الليل والناس

نيام. وبعض الأمور الجسم تححتاج إلى وقت وتفكير واستشارة وتحليل ونظر للعواقب، ولذا فإن مسألة الراحة على ما يبدو غير واردة في ذهن الحاكم حتى في حالات يظن البعيد أنها حالات الراحة.

إذا فالمسؤولية عظيمة، والملك فهد بن عبد العزيز يتحمل هذه المسؤولية منذ زمن ويقوم بأداء هذا التكليف منذ زمن، ويسعى إلى تحقيق الأهداف الخيرة منذ زمن، وحيث إننا تعودنا على حديث الأفعال فإن واقع البلاد اليوم في المجالات العمرانية والصناعية والزراعية والصحية والتعليمية والحضارية والثقافية، وواقع الدولة بين الدول إنما هو مجموعة من الأفعال التي تترجم مدى تحمل المسؤولية، ومدى عظمها على عاتق الرجل الذي أراد أن ينادى بخادم الحرمين الشريفين، نابذاً كل لقب خلاف ذلك، وهذه بحد ذاتها ووحدها مسؤولية ضخمة. فالدعاء للرجل بالعون والتوفيق. والدعاء للبلاد بالمزيد من الخير والثبات. وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة

عندما بكى الناس!

في الدقيقة الثالثة والثلاثين من يوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر رمضان المبارك ١٤٠٥ هـ الموافق للسابع عشر من شهر يونيه (حزيران) ١٩٨٥ م بكى الناس، كثير منهم بكى حينما ثار الدخان وكأنه عاصفة غبار أبيض من تحت المركبة الفضائية (الاكتشاف/ أو ديسكوفري) معلناً انطلاقة الرائد العربي المسلم الأول.

لماذا بكى الناس؟ بكى الناس لأنهم رأوا في رائد الفضاء العربي المسلم أملاً في فتح آفاق علمية جديدة تصحح الصورة العربية المسلمة أمام الناس. لقد كانت ولا تزال الصورة قاتمة مليئة بالاتهامات. وفي خضم أحداث بيروت وتحت نير الدعاية الإعلامية الغربية لاخطاف طائرة خطوط عبر العالم، وفي خضم الاضطهاد اليهودي لعرب فلسطين المحتلة، وفي خضم الأحداث الأخرى، في خضم هذه كلها يطير الأمل العربي المسلم يقف جنباً إلى جنب مع فطاحلة العلوم. لا يطير هذا الشباب وحده، ولكنه يحمل معه قلوب الملايين من المسلمين في كل مكان والدعاء يلاحقه بالتوفيق. لا يطير هذا الشاب وحده، ولكنه يحمل معه الخبرة العربية المسلمة التي حملها آياه فريق علماء العرب المسلمين من أبناء هذه البلاد.

بكى الناس لأنهم أحسوا أن عهداً جديداً فتح بابه على مصراعيه للعرب والمسلمين يدعوهم للعودة إلى المساهمة في النهضة العلمية العالمية التي كانوا قد نالوا فيها قصب السبق، وبكى الناس لأنهم قد شعروا أنهم قد «تذكروا» الماضي عبره، وهم اليوم يعيدون بوادره عملاً، وبكى الناس لأنهم بدأوا يشعرون أن هناك تكنولوجيا عربية إسلامية تغزو الفضاء بكتاب الله، وتبدأ الإنطلاقة بدعاء السفر «سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين. . .» فتتعانق الروح والمادة في فضاء الله الواسع معلنة «باسم الله، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهم هون علينا سفرنا هذا، والموعظة بعده، اللهم إني أعوذ بك من وعاء السفر ومن كآبة المنظر ومن سوء المنقلب في المال والأهل» وكأني برائد الفضاء يقول اللهم ازو لنا الأرض والفضاء فهو في الفضاء يطير وعلى الأرض يعود موقفاً - إن شاء الله - .

وبكى الناس العرب المسلمون في كل مكان نقل الانطلاقة على الهواء، لأنهم قد ملوا مشاهدة الانطلاقات السابقة على الهواء وكأن ليس لهم فيها. أو عليها ذكراً، واليوم تنطلق الرحلة المكوكية ولهم عليها الذكر كله. إنهم سيكون في باريس ولندن وواشنطن وفرانكفورت وهم يتابعون الإنطلاقة بالتعليق العربي المسلم الذي كان مع الله في تعليقاته كلها لتجسد هذه التعليقات تعانق الروح مع المادة معلنة مرة أخرى وسطية هذه الأمة التي حققت الأسباب العلمية التكنولوجية بتوفيقه تعالى، وحققت الاعتماد والتوكل على الله سبحانه وتعالى، وذلك في وسط مجتمعات غربية أعمتها صنوف الحياة ومخترعاتها حتى نأت بعقولها ووجدانها عن ترديد ذكر الله .

لقد كانت الرحلة مؤثرة تأثيراً عاطفياً كبيراً على كل أولئك الذين شاهدوها حية على الهواء تنطلق باسم الله مجراها ومرساها. لم يتمالك

المذيع العربي عيسى خليل الصباغ من أن يبدو عليه التأثر، حاول كتمان بكائه ولكنه لم يستطع فكانت «الحشجة» في كلامه واضحة رغم أنه كان يعلن الانتقال إلى أحد المرسلين في المراكز الأخرى. ولم يتمالك خبير الفضاء «فانس برانت» من أن يصد بوجهه يميناً عندما لاحظ الصباغ في حالة من التأثر، وذلك لئلا يشعر المذيع بحرج الموقف وهو الرجل الذي مر بالتجربة ذاتها قبل تجربة التعليق عليها مع المذيع الصباغ.

هذه الحشجة التي بدت على المذيع، إنما هي ترجمة «محافظة» مكتومة ما أمكن لدموع بدت من خلف النظارات التي كان يلبسها مجموعة من العلماء السعوديين ممن كانوا في مركز كيندي يشاهدون انطلاقة أخيهم وصديقهم وعزيزهم الرائد العربي المسلم. وكانت ترجمة لدموع وبهجة واغتراب مقرونة بحمد الله تعالى كانت تبدو على الجموع التي كانت تجلس أمام الشاشات ترقب وقائع الانطلاقة.

لقد مرت هذه المشاعر على من قبلنا وهم يطلقون المركبات الواحدة تلو الأخرى، وقد شاركناهم هذه المشاعر؛ لأننا نعتقد أن هذه الانطلاقات إنما هي ترجمة للعقل والتفكير البشري الذي وهبه الله المعرفة وطلب منه أن يستغلها في التفكير والتعقل بآيات الله في الماء والأرض والسماء، ولكننا نشارك هذه المشاعر فقط. ومشاركتنا هذه عن قرب أضفت علينا من المشاعر ما لم نتوقعه من قبل. حقاً لقد كانت لحظة تاريخية في يوم تاريخي.

وسط هذه المشاعر لا ننسى أن هذا كله هو إنما انطلاقة فقط، أي أن ما حدث ذلكم اليوم يمكن أن ينظر إليه على أنه خطوة أولى ومبدئية نحو نهج علمي تكنولوجي عربي مسلم كان قد بدأ منذ زمن وبرز للعيان كخطوة أولى يوم الإثنين التاسع والعشرين من شهر رمضان المبارك ١٤٠٥ هـ معلناً بداية المسيرة العلمية التكنولوجية.

صينية، إذ إن هذه العلوم لا تعترف بالحدود. وقد حث الله سبحانه المسلمين على طلب العلم لأنه من مصادر القوة لهم، فلم التمييز ما دامت قابلة للتطبيق على مستوى عالمي؟ التكنولوجيا العربية لا تختلف عن التكنولوجيا الغربية أو الشرقية إلا بركيذتين رئيسيتين:

الركيزة الأولى: أن روادها سيكونون عرباً مسلمين لا بالأسماء، ولكن باعتمادهم على الله ثم على العقول المبصرة لأهمية العلم ورواده. ولعل الساعة المطورة حديثاً المسماة (بلال ٤) خير دليل على ذلك وقد طورت بفكرة عربي مسلم وهي تحدد القبلة وتعطي أوقات الصلاة بكل مكان.

الركيزة الثانية: أن التكنولوجيا العربية تنطق العربية ورموزها عربية ومعالجتها عربية، وتطور كذلك لتلائم البيئة العربية والإسلامية وتناسبها، وهي بهذا منتمية، تخدم تطلعات العقل البشري بما يحقق طموحاته، وتغفل أي إجراء تكنولوجي لا يحقق أبعاد هذه الطموحات العلمية بمعتقداتها وخلفيتها. ونقل التكنولوجيا الغربية - غربية أو شرقية - لا يعد تقدماً تكنولوجياً في مقابل تطوير التكنولوجيا الوطنية. وهذا ما يجعلنا نركز على فريق الخبراء العرب المسلمين الذين يقفون وراء هذه الرحلة في مجال من مجالاتها. وما يقومون به إنما هو طموح متقدم في طريق التكنولوجيا العربية التي تدعو إليها.

وأخيراً، فقد بكى الناس في ذلك اليوم بكاء من نوع خاص لم

يألفوه من قبل، وألفوا البكاء على الأبناء والبنات والأزواج والزوجات والآباء والأمهات حينما يحل بهم مكروه، وألفوا البكاء على إختهم في فلسطين وفي لبنان وأفغانستان وغيرها، وقد كانوا طعماً للفتن والحروب والآلام. فحري بالناس أن يبكوا بكاء الآملين الفرحين بعد أن بكوا بكاء الآلمين، وجعل الله مع كل خطوة خيرة نخطوها سلامة.

ما هو شعورك؟

سؤال يتردد كثيراً في مناسبات مختلفة، فحينما تختطف طائرة ويفرج عن الرهائن يأتي أحد المحققين من صحفيين وإعلاميين ليسأل أحد المخطوفين: ما هو شعورك وأنت على متن طائرة مخطوفة؟!

وحينما ينجح الطالب في مرحلة نهائية يسأل عن شعوره. وحينما يفوز فريق أو لاعب أو مثقف أو مخترع بجائزة أو بطولة يسأل عن شعوره.

ولقد أحسست بالامتعاض حينما وجه أحد المذيعين الذين كانوا ينقلون انطلاقة المركبة الفضائية السؤال إلى فهد بن سلمان عن شعوره وهو يرقب المركبة تنطلق بأخيه تمخر عنان الفضاء. لم يكن السؤال - في نظري - في محله. فالشعور معروف ولا يحتاج إلى من يسأل عنه. ولعل الامتعاض هذا بدا على وجه الأمير فهد حينما سئل هذا السؤال فأجاب عليه إجابة هادئة لكن فيها دلالة على عدم ارتياحه للسؤال: ما شعورك؟ فكانت إجابته بأن هذا السؤال كثيراً ما يطرح في مثل هذه المناسبات وأنه لا يستطيع وصف شعوره بكلمات. وكأني بالأمير يقول للمذيع أليس عندك أعمق من هذا السؤال في هذه اللحظة من الزمان؟!

معاشر المقابلين: لا تسألوا هذا السؤال إطلاقاً فإن عليه ملاحظتين: الأولى لا يقال: ما هو شعورك؟ بالضمير «هو» لأن الضمير هنا يعود على

مجهول والأولى أن يقال: ما شعورك؟ ما مدى ما توصلت إليه؟ ما الأسباب التي دعت إلى حضورك؟ وليس «ما هي الأسباب».. وهذه ملاحظة لغوية.

الثانية: أن هذا السؤال بهذه الصيغة أصبح اليوم ممجوجاً كثير التردد، ولا أتوقع أن طارح مثل هذا السؤال ينكر أو يجهل مثل هذا الشعور. ويمكن أن يسأل عن الموقف ذاته بأساليب كثيرة غير هذا السؤال المباشر، وإن لم يسأل عن الشعور فهو أفضل، ومجالات السؤال عن الموقف كثيرة غير السؤال عن الشعور. والخلاصة أن مثل هذا السؤال يجب أن يحذف من قائمة الأسئلة التي تعد في أية مناسبة من المناسبات.

عربسات (٢)

وانطلق يوم الثلاثاء الأول من شوال (عيد الفطر المبارك) الثامن عشر من يونيو (حزيران) القمر الصناعي العربي الثاني (عربسات «٢») داعماً لشقيقه الأكبر الذي أطلق قبل ثلاثة أشهر. وما يقال في عربسات الأول يمكن أن يقال في عربسات الثاني من حيث تنمية جوانب الاتصال بين الدول العربية والجوانب الأخرى التي أثرت عند الحديث على الشقيق الأكبر، إلا أن فرص الاتصال بدأت تنمى أكثر، مما سيكون له دور بارز في جوانب التنمية في المنطقة العربية، خاصة أن جوانب الاتصال تعتبر اليوم من أوائل التجهيزات الأساس للتنمية في أية منطقة، والمنطقة العربية بأمس الحاجة اليوم إلى التركيز على التجهيزات الأساس للتنمية كأساليب الاتصال والمواصلات.

ويبقى أن نتذكر كل لحظة أن هذه الإنجازات من انطلاقة المركبة الفضائية وانطلاقة القمر الصناعي العربي الأول والثاني والقمر الصناعي العربي الثالث «الاحتياطي» وإنجازات علمية كبرى تشهدها المنطقة

العربية، كل هذا يساهم فيه العقل العربي المسلم الوطني مما يؤكد ما ناقشناه من محلية التكنولوجيا العربية حيث الأصالة والملاءمة، وحيث تجني هذه البلاد بفضل من الله تعالى ثمرة جهد طويل المدى في إعداد الخبرة الوطنية التي تقوم على إنتاج وتشغيل وصيانة التكنولوجيا العربية، جعل الله التوفيق حليفهم جميعاً، ولنا لقاء غداً إن شاء الله مع رائد الفضاء العربي المسلم حينما يعود إلينا سالماً فتابعه وهو يحط مع زملائه في قاعدة اندروز في ولاية كاليفورنيا فمرحبا به وعوداً حميداً بإذن الله.

الجزيرة، العدد ٤٦٥٠

السبت ٥ شوال ١٤٠٥ هـ الموافق ٢٢ يونيو ١٩٨٥ م

الرياض تجوب ألمانيا!

في اليوم الثاني من شهر محرم من عام ١٤٠٦ هـ الموافق التاسع عشر من شهر سبتمبر من عام ١٩٨٥ م بدأت مدينة الرياض - الشامخة - جولة تعرف بنفسها على أهم المدن الألمانية في كولونيا في الوسط وقرب بون العاصمة، ثم في شتوتغرد في الجنوب، ثم في هامبورغ في الشمال، وقد لا يبلغ أي شخص عندما يقرر أن الرياض لاقت ترحيباً دافئاً من قبل الألمان على المستويات المختلفة، فقد بدأ ذلك في الجولة الأولى للرياض في مدينة كولونيا، وقد رأى الناس هناك الصفوف الطويلة التي كانت تنتظر دورها في رؤية مدينة الرياض الشامخة. وتتاح لنا الفرصة لرؤية انطباعات الناس من خلال زيارة المعرض مرتين الأولى كانت رسمية. يوم الافتتاح، والثانية وكانت خاصة رأى فيها المرء ما لم يتمكن من رؤيته في الزيارة الرسمية الأولى.

والذي أسبغ على الرياض هذا الإقبال والقبول كون رجال الرياض وعلى رأسهم سمو أميرها الأمير سلمان بن عبد العزيز يرعونها في الافتتاح، وإلى آخر لحظة. فالذين أموها يوم الافتتاح أعطوها طابعاً رسمياً جلب إليها الأنظار الرسمية في كولونيا القريبة من بون عاصمة البلاد ومقر البعثات الدبلوماسية في ألمانيا. ثم يأتي أولئك الرجال الذين عملوا

ويعملون من وراء الستار، وكنت تراهم يوم الافتتاح إلى يوم الختام وهم يقفون على قدم وساق يتابعون ويقدمون الخدمات التي اعتادها المرء منهم في مثل هذه المناسبات فكانوا هم المحرك الذي نتج عنه نجاح معرض مدينة الرياض في كولونيا المدينة الألمانية الكبرى.

ولعل الاهتمام بالرجال قد تكرر أكثر من مرة في هذه الصفحة، وذلك لأن كاتبها يعقد على الرجال الآمال الكبار في أن يمثلوا بلادهم خير تمثيل، وهذا ما حدانا أو حدا بنا إلى أن نحاول التوقف مع أكثر من رجل في أرض المعرض وخارج أرض المعرض نوحى لهم بتقدير الجهود التي يقومون بها. ولن تقوم الدنيا كلها إن لم تقف على أكتاف المخلصين من أبنائها الصالحين.

نرى الشباب العربي المسلم الذي كان موجوداً في المعرض بزبه السعودي العريق يمثل بلاده خير تمثيل فشابنا - بفضل من الله - رجال في وجوه الشباب. . ومدينة فيها هؤلاء الشباب وبلد يخرج مثل هذه الفئة من الشباب لا بد أن ينهض، ولا بد - بحول من الله وقوة - أن يصل إلى المستويات التي يريد لها رجاله.

الوجه الإعلامي

والجانب الإعلامي في المعرض كان - مثل غيره - موفقاً في إبراز مدينة الرياض كما هي دون مبالغة، لكن الأسلوب الذي اتبعت فيه الدعاية لمدينة الرياض كان الأسلوب الذي يقبله العقل الأوروبي، وقد تعود عليه كالمصنقات والأفلام والصور والاتصالات بأكبر رقعة إعلامية ممكنة، وتزويد المحررين والمحققين بالمعلومات التي لم يكن الواحد منهم - بحق - يفكر في نسبة قليلة منها. ولكنه العقل المفكر الذي درس ما يريده هؤلاء من أساليب إعلامية، فقدم لهم الرياض بأساليبهم. . وكان المكتب الإعلامي في المعرض بحق مشغولاً طوال الوقت في محاولة لتلبية

الطلبات التي تصله إما من الهيئات الإعلامية أو من الأشخاص الذين يزورون المعرض . ولم يكتف المسؤولون فيه بذلك، بل إنهم خرجوا عن أرض المعرض فتجد ملصقات مدينة الرياض في مدينة مثل بون العاصمة تدعوك إلى زيارة المعرض .

وهذا فقط مجرد محاولة سرد للانطباعة التي خرج بها زائر المعرض، وليس الموقف هنا موقف إطراء أو تعديد للوجوه التي ساهمت في إنجاح المعرض، إذ لو كان الأمر كذلك لما أعطينا كل ذي حق حقه من الإطراء سواء في مقام إمارة منطقة الرياض برجالها، أو في أمانة مدينة الرياض برجالها، أو في السفارة السعودية في بون برجالها، أو في الجهات الأخرى المتعددة التي كانت وراء نجاح هذا المعرض الفريد لمدينة الرياض الشامخة .

الأمس.. واليوم..

والرياض - المدينة الشامخة - قدمت نفسها للناس بين الأمس واليوم وهي بذلك تود أن تنبه الكثيرين على أنها فخورة كل الفخر بأمسها ببساطته العمرانية وعراقته العربية وانتمائه العقيدى فظهرت الرياض نفسها للناس حينما كانت صحاري مرتعاً للرحل من أبنائها . . ببيوتهم المتنقلة معهم، ثم بدأت تستقر فيها الحياة فترى بيوت الطين في بداياتها إلى أن بدأ يعلوها البياض وتدخل عليها الزخرفة، ثم بعد ذلك ترى نفسك أمام مشروعات ضخمة للخطوط العريضة والجسور المتعددة والعمارات الحديثة المرتفعة منها والمبسطة وترى مدينة الرياض وقد أصبحت مجموعة من المدن، فهذه مدينة صناعية وهذه مدينة جامعية وتلك مدينة دبلوماسية وأخرى مدينة علمية وهكذا .

والرياض حينما تربط أمسها بيومها وغدها إنما تريد كذلك أن توحى للكثيرين بعدم التخلي عن أمسهم إذا كانوا ينتظرون غدهم . فما اليوم دون

الأمس، وما الغد أن لم يكن قد قام على قواعد اليوم والأمس؟ والرياض بذلك تحيي ذكرى أبناء الأمس الذين عمروها وذلّلوا عقبات كثيرة لأبناء اليوم ليتموا عمرانها.

والذي زار الرياض المدينة بالأمس ولم يتمكن من زيارتها اليوم، ولكنه زار الرياض المعرض في كولونيا تعجب كثيراً مما وصلت إليه اليوم - رياض الأمس. فقد زارها أحدهم قبل عشرين عاماً من أيام الأمس، ورآها في كولونيا اليوم وسجل بعد هذه الزيارة مقدار إعجابه بأن قال «إذا كان البشر يهرمون مع الأيام فإن الرياض تزداد شباباً وحيوية بعد يوم. حقاً إن الرياض (الأمس) لا بد أن تفخر برياض اليوم، وحقاً إن رجال الأمس فخورون برجال اليوم من أبنائهم» وقد ولدت زيارة الرياض المعرض رغبة أكيدة لدى الكثيرين لزيارة المدينة الشامخة الرياض.

وفي إحدى محطات التلفزيون الألماني ظهر أمين مدينة الرياض الأستاذ عبد الله العلي النعيم ينادي بزيارة الرياض بالأسلوب الذي تقبل فيه الرياض زوارها. فقد نوه أمين مدينة الرياض بأن هذا المعرض ليس للدعوة لزيارة الرياض سياحية وإنما هو وسيلة للتعريف بمدينة الرياض دون غرض سياحي. أما من يريد أن يزور مدينة الرياض فإن أفضل وسيلة له - كما ذكر الأمين - أن ينضم إلى الملايين من زوار بيوت الله بعد أن يمن الله عليه بالإسلام. وما يدريك فلعل الرياض المعرض تكون وسيلة لأن ينضم البعض إلى هذه الملايين من زوار بيت الله. خاصة أن مدينة الرياض لم تغفل الأمس الذي كانت عليه، كذلك أن مدينة الرياض أوضحت الجانب الروحي الذي تفخر به فعرضت للناس مجسماً لبيت الله الحرام في مكة المكرمة كان مؤثراً، وكانت الصفوف مترابطة تنتظر دورها في الاستماع إلى الشرح المصحوب بالإضاءة المناسبة.

جوانب للملاحظة!

ولا بد لمثل هذا العمل الكبير من بروز بعض الملاحظات المجردة التي يراها الزائر فيود لو لم تكن موجودة، أو يود لو أضيفت مع الاعتقاد بإمكانية ذلك، والاعتراف سلفاً بعدم الإطلاع التام على ظروف ومجريات المعرض في إعداد واستعداده. ولكن عملاً مثل هذا لا بد أن ينال حقه من الملاحظات من جهة، ومن جهة أخرى فهذه محاولة لعدم إتاحة الفرصة للخروج من هذه الصفحة بالانطباعة التي مؤداها أن عين الرضا عن كل عيب كفيفة. ومن جهة ثالثة فالمعتقد أن القائمين على إعداد المعرض لا يستغنون بأي حال عن الملاحظات التي تعينهم على أن يخرج المعرض في مراته القادمة بأسلوب أكثر نجاحاً مما ظهر عليه في كولونيا، ولعل من هذه:

- ١ - الرياض تريد أن تُري الناس الكثير مما لديها فلذلك تحتاج إلى رقعة أوسع مما كانت عليه خاصة مع الإقبال الكبير على المدينة المعرض الذي - كما ذكرى - كان فوق المتوقع.
- ٢ - والرياض في المعرض حرصت على أن تكون واضحة للناس كلهم، فلذلك عمدت إلى الإكثار من الأضواء مما أكسب الجو حرارة غير معهودة خاصة مع الإقبال الكبير والضييق النسبي للمكان. والمدن الألمانية عموماً لا تعرف التكييف، ولعل سعة المكان تعين على خفة حدة الحرارة غير المعهودة.
- ٣ - والرياض في المعرض اكتست حلة جميلة حينما كان أبنائها يتجولون بزيمهم العربي الفريد، وعادة يصحب ذلك كله الجانب الغذائي، حيث تهتم هذه الشعوب بالأكلات العربية المحلية بمطعم صغير يقام لهذه المناسبة تقدم فيه الوجبات العربية المحلية بأثمانها التي تغطي تكاليفها. ولا بأس من القهوة العربية مصحوبة بالربط أو التمر.

٤ - ساهمت شركات عالمية كبيرة في بناء مدينة الرياض بوسائل متعددة وأساليب مختلفة، وحبذا لو طلب من هذه الشركات المساهمة في الدعاية لمدينة الرياض ومدن المملكة الأخرى بإقامة معارض مشتركة فيما بينها تكون متنقلة، ويكون التنسيق فيها عائداً إلى أولئك الذين نسقوا لمعرض مدينة الرياض في ألمانيا. ويمكن أن يكون هذا من ضمن الجوانب التي يتفق عليها عند استلام المشروعات الكبرى لمدن المملكة. وذلك لأن مدينة الرياض - وغيرها من مدن المملكة - ربما لا تستطيع أن تجوب العالم بهذا المستوى من العرض الجميل والإعداد والدعاية والدعوة له.

٥ - الجانب الإعلامي كان موفقاً، لكن العادة جرت على توقع المزيد من الإعلاميين في تغطية مثل هذه المناسبة. ولعلنا نركز هنا على استصدار المواد الإعلامية التي لا تكلف كثيراً وتدوم قليلاً، إضافة إلى ما أنتج من أفلام ونشرات ومعلومات، فجوانب الدعاية والإعلان قد فاقت في عالم اليوم مجرد السمع والبصر إلى المحسوس من المواد التي تأخذ جانب المتحفية في عرضها ومادتها.

الرياض في ألمانيا خطوة فريدة من نوعها نالت إقبالاً كبيراً دعا إلى تكرار مثل هذه الخطوة في أماكن أخرى غير ألمانيا ولمدن المملكة الأخرى غير الرياض كما أمر جلالة الملك حفظه الله بذلك. وقد آتت هذه الخطوة ثمارها في الأيام الأولى من افتتاح المعرض في كولونيا، وينتظر المزيد في مدينتي شتوتغارد وهامبورغ. فهنئاً لكل أولئك الذين حرصوا على أن يربطوا يوم الرياض بأمسها.

الجزيرة، العدد ٤٧٥٥

السبت ٢١ محرم ١٤٠٦ هـ الموافق ٥ أكتوبر ١٩٨٥ م

الموارد البشرية.. والدورات

قبل سنين قليلة كانوا يتحدثون على العجز في القوى العاملة وتأثيرها على مسيرة التنمية في بلادنا، وكتبوا البحوث والدراسات والمقالات حول هذا الموضوع وركزوا على وجود العاملين الأجانب عموماً وسليبتهم على المجتمع، ودعوا إلى التقليل من الأجانب في بلادنا لنحافظ على ثقافتنا وكانوا يقصدون بالأجانب غير المسلمين ممن ساهموا في مسيرة التنمية، وقصد بعضهم كل من هو أجنبي على المجتمع السعودي، ولم يكن ما قالوا كلاماً عابراً، ولكنه كان ذا وزن لأنه دعم بالتوثيق والشواهد والاستقراء والأرقام.

كان ذلك بالأمس ولكننا اليوم وقد وجدنا أمامنا نهضة شاملة عمرانية وحضارية تحققت في بدايتها البنية الأساسية للتنمية نجد أنفسنا قد بدأنا نتحدث على «التوجيه» في التعليم، وتخريج دفعات تحل محل أولئك الذين سعينا إلى الاستغناء عن خدماتهم ليحل محلهم أبناء البلد، «والتوجيه التعليمي» بحق يعد اليوم في مراحله الأولى، ذلك أن الحاجة إلى القوى العاملة لا تزال قائمة والحاجة هذه لم يترك تحقيقها للظروف والمعاهد والكليات والجامعات فحسب، بل شاركتهم في ذلك معاهد

تنمية القوى العاملة التي تساهم في التخطيط لتغطية حاجة البلاد من السواعد والأذهان.

هذا على الصعيد العلمي الموضوعي، وأما على صعيد الرأي والذاتية فنجد أن هناك دعوة غير «مترفة» للتقليل من الإقبال على التعليم الفني والمهني. والدعوة هذه محقة من حيث المبدأ، لكن الأسوأ فيها أن يذهب الأمر بالبعض إلى الاستهانة بالتعليم الجامعي عموماً وبالجانب النظري منه خاصة.

وواقع الجامعات بالأمس اليوم يوحي للكثيرين من المتبعين أن التخصصات العلمية والفنية لم تتأثر في سنة من السنين على حساب الإقبال على التخصصات النظرية، بل كان التخصصان يسيران سيراً متناسقاً مع غلبة واضحة لمسيرة التخصصات العلمية حينما ظهرت الدعوة أخيراً إلى التقليل من «الاندفاع» في التعليم الجامعي.

ولعل نظرة من ذهبوا لهذا الرأي أن الجامعة كانت وستظل تخرج مجموعات من الإداريين والمدرسين فقط. وهم معذورون في ذلك إذا لاحظنا أن كثيراً من خريجي الجامعة يتوقفون عند شهادة البكالوريوس دون محاولة إلى تطوير أو تحسين أوضاعهم من خلال الدورات التي تعقد ويشترط للقبول فيها الحصول على الشهادة الجامعية. وهي دورات عديدة تعطىها جهات تعليمية وإدارية وفنية غير واحدة. والنظر إلى هذه الفكرة كان يحدوه الاعتقاد أن الشهادة الجامعية هي آخر المطاف. وهذا الاعتقاد لا بد أن يتغير اليوم كما تغير بالأمس القريب الاعتقاد بأن الشهادة «الابتدائية» كانت كفيلاً بأن تؤمن لصاحبها مكاناً في المجتمع آمناً اجتماعياً ومادياً. ثم انتقل الاعتقاد إلى الشهادة المتوسطة والثانوية، ولا بد أن يتعدى اليوم المرحلة الجامعية لا ليصل إلى برامج الدراسات العليا من الماجستير والدكتوراه، ولكن لنجد أن كثيراً من الجامعيين ينصرفون إلى

الدورات التي تؤهلهم مهنيًا و فنيًا ليصبحوا في النهاية مشرفين ومعلمين وموجهين لفئات كثيرة من الشباب تتجه إلى التعليم الفني والإعداد المهني . وهما اتجاهاً بدورهما يتطوران وتدخل عليهما التقنية الحديثة أساليب جديدة تحتاج إلى المتابعة من خلال الدورات .

وخلال السنوات العشر القادمة سيتخرج حوالي (٢٠٠,٠٠٠) مائتي ألف طالب وطالبة من الجامعات فقط ، وهو عدد - أراه - غير كبير في عشر من السنين إذا ما وازناه بعدد سكان المملكة بشكل عام وبعدها الطلبة والطالبات في المراحل دون الجامعية ، وقد لا يمثل هذا العدد ٢٠٪ من مجموع من سيتخرجون من الطلاب والطالبات ، أي أن هناك حوالي ٨٠٪ والنسبة «تقريبية» من الطلاب والطالبات لن يصلوا إلى المرحلة الجامعية ، وهناك نسبة من هذه النسبة سينصرفون إلى التخصصات الفنية والمهنية ، ولو تخصص ١٥٪ إلى ٢٠٪ من ٨٠٪ في هذه التخصصات لنالت البلاد حقاً وحظاً وافراً من المتخصصين في الجوانب التي برزت الحاجة إليها من خلال التقليل من العمال الأجانب بشكل عام والفنيين منهم بوجه خاص ، مع أنني أوافق من يقول أن التخلص التام من العاملين الأجانب أمر لا يمكن تحقيقه عملياً ، لأن ظروف العالم اليوم تعين على أن يكون في كل مجتمع مجموعات من العاملين من غير أهل البلاد . ولا أعرف بلداً في العالم مع قصور في الاستقرار - أعلن الاكتفاء الذاتي في العاملين .

التكثيف من الدورات

الذي يبدو أن الحاجة قائمة إلى تكثيف الدورات التدريبية لتأهل مجموعات من خريجي الجامعات لخوض مجالات فنية ومهنية ، تتناسب قطعاً مع المؤهل الجامعي الذي يحصل عليه الطالب ، خاصة أن الجامعة

اليوم «متهمة» بعدم مقدرتها التامة على التأهيل بسبب من تزامن المواد والمقررات وضيق في مجال الاختيار والتركيز، وجهل لا يزال قائماً في أهمية الإرشاد العلمي «الأكاديمي». ومن هنا ينظر البعض إلى الجامعة اليوم على أنها بداية الإنطلاقة نحو التأهيل، وليست هي نهاية هذه الإنطلاقة. وهنا يأتي دور التدريب لتنمية وتحسين وتطوير اتجاهات الطلاب وخاصة منها الفنية والمهنية.

قد يواجه هذا الرأي بالاستغراب ممن يعتقدون أن طالب الجامعة لا يتوقع منه أن يتقبل مثل هذا «التوجيه التعليمي» في وقت يتطلع فيه إلى الوظيفة في مرتبة وظيفية عالية كالسادسة أو السابعة، ولكن هذا التطلع لن يدوم طويلاً، لأن هذه الوظائف محدودة بحاجة البلاد إليها من ناحية في الوقت الذي تبقى فيه مراتب أخرى شاغرة بسبب ندرة من يشغلها. ولا يعتقد البعض أن الخريج سوف يعين في الرابعة أو الخامسة، ولكن هذا يعني أن الخريج ربما نال مرتبة أعلى من خلال الدورات التي ينتظر منه بعد اجتيازها أن يعمل على تخريج الفنيين والمهنيين. من خلال المعاهد والمؤسسات الفنية التي تنتظر أعضاء هيئة التدريس من أبناء البلاد المؤهلين علمياً وفنياً، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يعمل خريجو هذه الدورات في المجالات الفنية أنفسهم. ويحضرنا هنا مثال الحاسب الآلي الذي أصبح اليوم حاجة عصرية ملحة، وهو بحاجة إلى المبرمجين والمدخلين المعلومات والمستخرجين وما إلى ذلك، ولا يكفي أن يقوم بهذه المهمة خريجو كلية الحاسب الآلي وحدهم. وهكذا نجد أن خريج الجامعة مطلوب منه المساهمة ليس التدريس والوظائف فحسب، ولكن في الجوانب الفنية المتعددة التي اشتدت الدعوة إليها في الآونة الأخيرة، ويتحقق ذلك من خلال تكثيف الدورات.

فائدة: الذين يتحدثون على هذا الجانب يذكرون دائماً مصطلح

«العمالة» ويقصدون منه العاملين وليست هي العاملين أنفسهم أي ما يحصل عليه العاملون مقابل عملهم من أجر مادي أو غيره والأجنبي كلمة تطلق كثيراً على غير السعودي، ولا أرى المسلمين أجانب عنا مهما ابتعدت ديارهم.

الجزيرة

النعيم.. ونظرية الحوافز!!

هناك نظرية إدارية ممارسة، ولكنها قد لا تكون معلنة في أقسام الحوافز من كتب ومقالات الإدارة، مفهوم هذه النظرية أنه ينبغي أن لا يقال للمحسن أحسنت، لأن الأصل في الأمر أن يكون المرء محسناً في عمله متقناً له، لا يخطيء فيه، فإن حصل منه خطأ على مر الأيام والسنين جاءه لفت النظر الشفهي أو التحريري الذي تحفظ منه نسخة في ملفه لتؤثر على تقدمه الوظيفي.

ولا يكاد الممارسون لهذه النظرية يقرون بها عند المواجهة، ولكنهم لا يبدر عنهم ما يفيد بتقديرهم لعمل عامل من ذكر أو أنثى.

والمرء تركيبة فيها المشاعر والأحاسيس، وفيها العاطفة كما فيها الجوانب الفاعلة الأخرى، والكلمة الطيبة تعطي العامل/ الموظف الدفعة القوية إلى أن يعمل أكثر ويعطي من وقته أكثر ويتج أكثر، وكم كلمة طيبة كانت سبباً في نجاح عمل وعامل، وكم لفت نظر أو تنبيه كان سبباً في فشل عامل وعمل، وأظن أن هذه المشاعرة والأحاسيس بحاجة إلى من يرعاها ويراعياها قصداً إلى مصلحة العمل وسعياً وراء تحقيق الأهداف ليس إلا، إذ ليس المقصود تحول الإدارة إلى عيادة نفسية كما قد يتوهم أولئك الذين يمارسون نظرية لفت النظر، ومن رعاية هذه المشاعر

ومراعاتها أن يقال لمن أحسن أحسنت، وأظن أن وقع خطاب الشكر أو لوحة موظف الشهر أو نحوها من جوانب الإشادة بالمحسين تعدل عند الأغلبية أي حافز مادي، وإن اجتمع الأمران فنعم الاجتماع.

هذا ما يتعلق بالتنويه أثناء العمل، أما فكرة تكريم العامل بعد انتهائه من عمله الذي أنيط به بسبب التقاعد أو الاستقالة أو الانتقال إلى مرفق آخر فأظن أنه عمل إيجابي يدخل في قولنا للمحسن أحسنت فشكر الله لك، ونحن نشكرك على ما قمت به على قدر الجهد والصلاحيات التي مكنت منها، وهذا الموقف عند إنسان المشاعر والأحاسيس له وقعه غير اليسير، إذ إنه يمحو معاناة الفترة التي قضاها في العمل، وفي كل عمر معاناة، وأظن أن عملاً يخلو من معاناة لا يدخل في هذا المفهوم، بل ربما ذهب إلى حيز التسلية أو الترفيه أو قضاء الوقت.

وقد أكرمت الرياض رجلاً من رجالها كانت له جهوده الملموسة في النهضة الحضارية التي عاشتها الرياض طيلة عمله أميناً عاماً للمدينة، أكرمه الرياض ممثلة في الرجل الأول في العاصمة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز الذي يقف وراء هذا الإنجاز، وترى من يعملون معه يجدون أنفسهم في مواقف التفاني في الأداء والإنجاز، لأن الرجل لا يترك شيئاً يمكن أن يعوق العمل إلا ويعمل على تذليله.

ونحن نقول إن اليد الواحدة لا تصفق، فالمخلص في أدائه وأفكاره، وتطلعاته للمصلحة العامة بحاجة إلى مجموعة من المخلصين الذين ينقلون رغباته تطبيقاً على الواقع، وأجزم أن أمير الرياض قد وفق إلى من يحمل تطلعاته في النهضة بالمدينة القلب في أشخاص يقومون على مرافق المدينة، ولا أظن أن شخصاً سيتحدث على الرياض دون أن يذكر أمين مدينة الرياض عبد الله العلي النعيم الذي استحق التكريم من سمو أمير الرياض، بعد أن رغب في فسح المجال لغيره من المخلصين

فسلمها إلى أخيه الحبيب المهندس مساعد العنقري الذي يعرف الرياض، وكانت - ولا تزال - له بصماته على الرياض، فيصدق فيه قولنا المأثور في هذا المقام: إنه كان خير خلف لخير سلف.

وتتمثل الفكرة العامة التي جعلتها مدخلاً للحديث على الحدث، إذ التكريم لم يكن مقصوراً على السلف أبي علي عبد الله العلي النعيم، بل التكريم يأتي أيضاً للخلف المهندس مساعد العنقري. وكأني بالتكريم إشارة مباشرة إلى تجديد العهد بالدعم ومواصلة تذليل العقبات إن وجدت، وفي هذا حافز للأمين الشاب أن يستمر في العطاء ويواصل المسيرة، ويسهم في جعل الرياض المدينة العالمية التي تصر على أمرين متلازمين: الأول: حرصها على متابعة النهوض في جميع المجالات العمرانية والنظافة والصيانة والترتيب والتنظيم وشق الطرق وبناء الجسور والأنفاق، وتهيئة الجو العام لمدينة حديثة، والثاني: الإصرار على التمسك بالخلفية الثقافية التي قامت عليها المدينة واصرارها على التميز هذا من خلال طريقة التنفيذ وشكل المنفذ، بحيث لا تكون مدينة كبرى كأى مدينة كبرى، بل لتكون مدينة الرياض الكبرى التي تعكس خلفية رجالها وأهلها القاطنين فيها، بل ومن قطنوا فيها فبقيت فيها منهم الأجسام، وانتقلت الأرواح إلى بارئها، وأظن أن أهلها الأوائل ما كانوا يظنون أنها ستصل إلى ما وصلت إليه من هذه النهضة وهذا التوسع، وربما فضل بعضهم عدم رؤيتها على ما هي عليه لأنه لم يتصور أن تتعدى الرياض «دروازة الثميري» مثلاً رحمهم الله رحمة واسعة، فقد فرشوا لنا الأرضية وتركوا لنا أن نضع عليها ما نشاء.

وفكرة التكريم بعمومها فكرة جيدة فيها حفز للجدية والإبداع والابتكار والمبادرة، وهي خلق إسلامي نبيل راعي ويراعي، والبلاد تشهد نماذج من التكريم على مختلف الأصعدة، فهناك تكريم للمتفوقين من

الطلبة في أكثر من منطقة، ولعلها تعم الفكرة جميع المناطق، وهناك تكريم للعلماء من خلال جائزة الملك فيصل - رحمه الله - العالمية، وهناك تكريم للرجال الذين أسهموا في دحر الظلم والظالم من العسكريين، وهناك تكريم لمن وقفوا وقفة حازمة وجادة في الجبهة الداخلية أثناء النوازل التي حلت بنا، وهناك تكريم الرجال أمثال النعيم والعنقري لإسهاماتهم التي حصلت والتي ستحصل، وهناك تكريم للشباب الذين كانوا خير ممثل لبلادهم في مجالات الشباب، وهكذا يشمل التكريم قطاعات مختلفة من أبناء المجتمع.

وهناك رجال يستحقون التكريم كذلك، إلا أن موقعهم من الدولة قد يجعلهم يتحفظون على الفكرة. ولا أظن هذا إلا تواضعاً منهم، وهم معروفون بارزون في الصورة في أي مجال فيه تحقيق للأمن والرخاء والإنجاز في البلاد، ولعل المرء يقف على خبر تكريمهم في يوم من الأيام القريبة.

وهناك رجال يستحقون التكريم كذلك، إلا أن كونهم بعيدين عن الأضواء قد لا يتيح إعلان تكريمهم. والحرص هنا على وسائل الإعلام أن تتابع مناسبات تكريم هؤلاء العاملين في إداراتهم ومؤسساتهم فتخطر العامة بهذا التكريم، فإن لهم أثرهم الواضح في المسيرة التي تعيشها البلاد.

وهنا لا بد من التأكيد على هذه الطريقة في القول للمحسن أحسنت، على ألا تكون هذه الطريقة عبئاً يريد البعض الخلوص منها، فتكون ذات طابع ألي تصاغ فيه عبارات التكريم جوفاء من المعنى الصادق، وعليه فإن فكرة التكريم نفسها ينبغي أن تقتصر على من يستحق التكريم بسبب إسهاماته الواضحة في مجال عمله وخدمته للبلاد من خلال عمله، وتحقيقه لشيء من المصلحة العامة من خلال عمله، ولعل عدم

تكريم من لا يستحقون التكريم في مقام يكون فيه تكريم هو بحد ذاته «لفت نظر» لهم أنهم مقصرون في عملهم، مقصرون في تحقيق المصلحة العامة في مجال عملهم، هذا بالإضافة إلى الإجراءات الإدارية المتبعة التي يشعر الموظف من خلالها بالتقصير والرغبة في تحسين الأداء.

والحوافز على العموم تدخل في مفهوم عام يحقق المرء من خلاله مجموعة من الاحتياجات النفسية، والأمنية بالمفهوم العام للأمن، والحب بالمفهوم العام للحب والقبول في المجتمع، والشخصية بحيث يكون للمرء اعتبار في المجتمع وتحقيق الذات من خلال العمل المناسب، وهذه كلها تشكل نظرية «مازلو» في الحوافز، وهناك نظرية أخرى حول الاحتياجات منها ما تحدث عليه أبو حامد الغزالي من قبل، ولكنها تنصب على التأكيد على أهمية الحوافز في تحسين الأداء، والتكريم نوع من أنواع الحوافز للمكرم وللمن يأتي بعده أو معه، وهو مدعاة أداء أفضل في المستقبل وإن جاء اعترافاً بأداء قد سبق.. هنيئاً للمكرمين، وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة

لائحة النظام والاستثناءات

تعتمد كثير من المؤسسات العامة والخاصة والمصالح وكثير من بيوت الخبرة اليوم إلى رسم خطط وسياسات وأنظمة تسيير بموجبها، وتسيير من خلالها أعمالها. ولوائح الأنظمة أصبحت اليوم من مستلزمات أي هيئة تريد أن تقدم شيئاً ما ولو قل. وعندما تراجع هيئة ما فلا بد أن «ترتطم» بهذه الكلمة بطريقة أو بأخرى. حتى أصبح البعض يعزو عدم مقدرته على صنع قرار حتمي سريع إلى أن النظام لا يسمح بذلك وإن كان أحياناً لا يدري تماماً ما إذا كان هذا النظام يسمح أو لا يسمح، بل ربما لا يدري ما إذا كان هناك نظام ليسمح أو لا يسمح.

وعندما يعين شخص جديد في وظيفة فيها المقدرة على صنع القرار واتخاذها، ينصح عادة بقراءة ودراسة لوائح الأنظمة وبنود صلاحياته فيها ليتصرف من خلالها ولا يحاول أن يتخذ قراراً خارج صلاحياته المخولة له. ولكن في الغالب تبقى هذه الصلاحيات محدودة جداً، فيتطلع هذا الموظف إلى صلاحيات أوسع وربما يستغل مواقف يكون فيها صاحب الصلاحيات الأوسع غير موجود على رأس العمل ليأخذ مكانه في اتخاذ القرار رغم أن المسؤولية في النهاية ستقع على الآخر وليست عليه. ولذلك يقول علماء الإدارة إن الصلاحيات يمكن تفويضها للآخرين،

ولكن المسؤوليات يتعذر تفويضها، لأن الدولة إنما تحاسب في النهاية ذا المسؤولية المباشرة، وهو بدوره يحاسب من فوضهم بصلاحيات تعين على القيام بهذه المسؤولية خير قيام في جهاز من أجهزة الدولة أو الهيئة أو الشركة لا يمكن أن يتحمل فيها شخص واحد كل المسؤوليات تحملاً مباشراً. ولأجل ذلك ولتيسير أفضل السبل للقيام بهذه الأعمال ظهر ما يمكن أن يسمى اليوم بلوائح الأنظمة. إذ يستطيع أن يريك الموظف المباشر فقرة واحدة في لائحة النظام تحول دون أن يلبي لك طلباً تسعى إلى تحقيقه وترى من ورائه منفعة شخصية ربما بتحقيقها لك تضر بآخرين كثيرين وتربك سير العمل بوجه عام.

وإزاء هذا الواقع يتعرض كثير من الموظفين لإحراجات كثيرة من قبل المراجعين الذين لا يرون الحكمة وراء عدم تحقيق رغباتهم، ويؤولون ذلك إلى سوء في الإدارة أو عدم الجرأة على اتخاذ القرار، أو لأسباب شخصية بحتة، والموظف يعلم علم اليقين أنه براء من ذلك كله وأنه أمام واقع يحتم عليه عدم إرضاء أشخاص على حساب آخرين، ويعلم كذلك أن هذه الأنظمة إنما قامت لتخدم الآخرين خدمة مباشرة ومنصفة بحيث تكون هذه الخدمات شاملة مستمرة غير مقصورة في تطبيقها على فئة دون أخرى، أو على زمن دون آخر.

ونحن نعلم علم اليقين أن هذه الأنظمة تخضع لاستثناءات يراد بها عدم حرفيتها وتطبيقها على أي حال، بل ربما كانت هناك حالات تستدعي إغفال بعض نقاط هذه الأنظمة، واتخاذ قرار سريع فيه، ولكن الحال دعت لذلك ولا مندوحة من مناقضة حرفية الأنظمة. والذي يراد الوصول إليه هنا هو معرفة من يمكن له أن يتخطى الأنظمة ومتى يمكن أن تتخطى هذه الأنظمة؟ سؤال عريض يحتاج إلى خبرات كبيرة وكثيرة لتضع نظاماً تتخطى بموجبها النظم، وذلكم أمر لا شك عسير!!.. إذ الملاحظ

أن الرجل الأول في مصلحة ما قد يصدر قراراً يرى فيه المصلحة العامة فيفاجأ بالرد على هذا القرار من قبل «شؤون الموظفين» أو غيره من أقسام المصلحة بأن هذا القرار يخالف الفقرة (٢) من المادة (١٥) من نظام المصلحة، ويعتذر القسم للرجل الأول بعدم إمكانية الاستمرار في مجريات هذا القرار، فيقف الرجل الأول حيال هذا الرد مكتوف اليدين.

النظام والإدارة..

والذي يمكن أن يخرج به رجل الإدارة هو وضع فقرة في نهاية النظام أو مادة تنص على أنه «يجوز لمدير الإدارة أن يتخطى ما جاء في هذه اللائحة حسبما تقتضيه المصلحة العامة». . مع التحفظ على الصياغة هنا - وهذا أمر لا بد منه في الإدارة على أي حال، إذ إنه من المستبعد أن تلم إدارة ما بكل الظروف التي تمر بها أو ستمر بها مستقبلاً لتضع لها اللوائح التي تجيب على مثل الحالات الطارئة، فيترك لشخص أو شخصين حساسين في المصلحة حرية تخطي هذه الأنظمة فيما إذا برزت حالات تستدعي ذلك. وفي هذا الإجراء منفذ للوائح وأنظمة يكون تطبيقها في كل المجالات أمراً فيه شيء من البالغة في المثالية.

ولا تتوقف الحال عند الاستثناءات التي تتضمنها الأنظمة، بل تعتمد كثير من المصالح إلى مراجعة لوائحها وأنظمتها بشكل دوري بعد فترة تكون فيها قد سجلت كثيراً من الملاحظات التي كونت عقبات في طريق تسيير العمل تسييراً يحقق أهدافه بموجب هذه اللوائح أو تلك، فتعتمد إلى تنقيح النظام بالزيادة في مواده في حالات، وبالحذف منها في حالات أخرى، أو في حالات ثالثة تنقيح المادة ذاتها بحيث تتيح الفرصة للاختلاف في التفسير حسبما تقتضيه المصلحة، فيترك في بعض المواد ثغرات يفسرها على حسب الحال التي تواجهه، خاصة أنه يقوم بالدور

العملي في التطبيق بدلاً من مجرد التنظير، وكثيراً ما مرت علينا حالات اضطررنا فيها أحياناً - مع قصر تجربتنا - إلى أن ننظر إلى النظام نظرة تختلف عن النظرة التي نظرنا إليه واضع النظام في الوقت الذي لم نخرج فيه عن هذا النظام، وما دامت «روح» النظام لم تمس فلا بأس من تخطي حرفيته للضرورات ..

والمؤسف حقاً أن يواجه الشخص في موقف صعب عصيب بأن النظام يراه صاحب المصلحة على قدرة من تحقيق معاملته بالشكل الذي يرغبه لا بما يقرره النظام واللوائح، والبعض من الناس ربما عمد إلى هذه العبارة «النظام لا يسمح» وهو لا يعلم حقاً ما إذا كان النظام يسمح أم لا، وذلك لمجرد أنه لا يرى فائدة من الاستمرار في هذه المعاملة أو تلك فيعلق ذلك على النظام للتخلص السهل من هذا الشخص الثقيل عليه، ولا بد أن نعترف بأننا نواجه مثل هذه الحالات عند بعض الأشخاص وليس عند كل الأشخاص. وهنا تأتي الإدارة الحكيمة التي تعمد دائماً إلى نوع من التغيير الطفيف في المناصب الإدارية بحيث تبعث في إدارتها ومكاتبها جواً جديداً يقوم على دراسة الأنظمة واللوائح والاجتهاد في تفسيرها وتطبيقها وتسجيل ملاحظات أخرى عليها لم يلحظها الأولون، كما تبعث في الموظفين جواً من التجديد في نوعية الأداء، وكلنا ميالون إلى المتابعة في حياتنا العامة ومنها الوظيفية.

*** والخلاصة هنا أننا نريد أن نصل إلى نقطة لا بد منها وهي أن النظام إنما وضع ليحقق جواً عملياً في سبيل وصول المصلحة إلى أهدافها التي رسمت لها في ما لا يتعارض مع المصلحة العامة بل يخدمها، وهذا لا يعني بحال من الأحوال أن هذه الأنظمة جامدة، بل لا بد في حالات خاصة من تخطي هذه اللوائح والأنظمة سواء باستثناء أو بدون استثناء، ويترك قرار التخطي هذا إلى أولئك الذين تقع عليهم

المسؤولية المباشرة من المديرين فيما يحدث من عقبات، وهم قد وصلوا إلى مرحلة تجعلهم يتحملون عقبات هذا التخطي. وفي هذه النظرة محاولة لإزالة فكرة تكاد تكون شائعة بين الناس تدور حول وقوف اللوائح حائلاً دون تحقيق الرغبات الشخصية في أحوال كثيرة، مما يجعل الشخصية في أحوال كثيرة مما يجعل البعض يتهم هذه اللوائح بأنها إنما وضعت لتقف سداً منيعاً في سبيل سير العمل سيراً فعالاً. وليست العبرة هنا بالرغبات الشخصية.

حالة واحدة فقط..

في سبيل التمثيل على تخطي اللوائح الإدارية في مواقف خاصة نذكر هذا الموقف الذي كان ضحيته نظام المرور: هاتف الرجل صاحبه الذي يملك سيارة وطلب إليه تجهيز السيارة الساعة الرابعة فجراً ليقله وزوجه الحامل إلى المستشفى، وصاحب السيارة يعرف موقع المستشفى، ولكنه لا يعرف كيف يصل إليه، والمرأة في حالة وضع. توجهوا جميعاً قاصدين المستشفى وتبين أن الزوج لا يعرف حتى الموقع. فما كان من صاحب السيارة إلا أن ذهب في اتجاه الموقع ضارباً عرض الحائط بأنظمة المرور التي تنص على أن هذا الشارع ذو اتجاه واحد فقط، والحمراء إشارة للوقوف، فلم ينظر إلى ذلك في سبيل أن تضع المرأة في المستشفى لا في السيارة!. لاحظ هذا التخبط رجل المرور فاتجه إليه في سيارته وأثار مصايحها العلوية مشعراً إياه بالتوقف، ولكن صاحبنا أشار إلى رجل المرور بيده أن يسبقه ويفتح له الطريق، ففهم رجل المرور خاصة عندما حاذاه، فتقدمه وسار به - متخطياً إشارات التوقف - إلى المستشفى حتى أوقفه عند باب الطوارئ أو الإسعاف، واطمأن على دخول المرأة الحامل المستشفى، وفي سبيل أن يودع رجل المرور صاحب السيارة سأله عما إذا

كان يحتاج إلى خدمة أخرى! شكره صاحب السيارة شكراً جزيلاً،
فانصرف ذلك وانتظر هذا خمس دقائق لينزل إليه البشير بأن صاحبه رزق
بمولودة وأنها وأمها بخير وعافية. وتلكم كانت واقعة حصلت لم يكن
للخيال فيها دور، ولكن الحاجة الإنسانية الماسة جعلته يتخطى إشارات
المرور..

الجزيرة العدد ٥٠٤٢

السبت ١٢ ذي القعدة ١٤٠٦ هـ الموافق ١٩ يولييه ١٩٨٦ م

«الترف الحضاري»

معظم الدلائل تشير إلى أننا لسنا في فترة يمكن أن يقال فيها إنها فترة الترف الحضاري، ولكننا ربما تعمقنا فيما يمكن أن نسميه بالترف الذاتي الذي نتج عن الطفرة المادية التي شهدتها المنطقة في العقد الأخير من القرن الماضي «١٣٩٠». لقد تعمقنا في الاهتمام بالمظهر، لكن المخبر لا يزال يحتاج إلى وقت أطول وأوسع في التعمق. هذا لا يعني بأي حال من الأحوال أننا خلو من مقومات الحضارة الحقة. لكن الظاهر - على كل حال - هو الجانب الغالب، وهو جانب مؤقت ربما أبعدنا عن الحضارة، أو قل ربما أخر مسيرتنا نحو الحضارة والنمو. والذي يعود إلى خطط التنمية السابقة واللاحقة يدرك مدى التركيز على تحضير الفرد المواطن من خلال توفير أسباب الحضارة العميقة القائمة على قواعد أساسية صلبة ثابتة تأخذ من شرع الله منطلقاً لها. وهذا ما تسميه الخطط التنموية بالتجهيزات الأساسية.

والترف الذاتي الذي نعيشه ذو جوانب كثيرة مظهرية لا جوهرية تقوم على اللباس والبناء ووسيلة المواصلات ووسائل التكريم. فهناك من فرش رقعة صغيرة من بيته بمبلغ «٣٠٠,٠٠٠» ثلاثمائة ألف ريال للحمام فقط، ثم يعمد إلى تغيير هذا الأثاث بين فترة وأخرى غير بعيدة وربما لا

تصل إلى السنة الواحدة. وهناك من يعمد إلى تغيير السيارة لأن الابن أخذها وأعمل شقاوته فيها بحيث أتلّفها، وإن تكن لا تزال تسير، بل إن كثيراً من الحقائق تشير إلى أن الآباء يتعمدون تغيير سيارات أبنائهم في فترات قريبة نظراً لأسلوب المعاملة التي تلقاه السيارة من الابن يسيء إلى هذا المجتمع بأكمله..

وهناك من يبالغ في عمارة المنزل كله بحيث ترى المنزل قطعة متحفية لكنها لا تمت إلى هذه البيئة بصلة من قريب أو بعيد، فأحجار الرخام تغطي جدران المنزل، وأسلوب «تفصيل» المنزل يوحي بشيء من المزاجية المعوجة عمداً إلى التميز عن المنازل الأخرى المجاورة، مع أن الاسمنت والرخام بهذه الصورة لا يمكن أن يناسب مناخ هذه البيئة مما يستدعي الإكثار من المكيفات الباردة والحارة والذي يجبر بدوره إلى الترف في استهلاك الكهرباء مما حدا بالبعض إلى أن يسمي هذه الحضارة بالحضارة «الإسمنتية».

وجانب ثالث من جوانب الترف الذاتي ذلك المتمثل في الأسلوب الذي تقوم فيه ولائم الأعراس وحفلات تكريم الأقارب والأصدقاء. وقد وصلت هذه الفكرة إلى حد عجيب جعل من الكثيرين ممن يعيشون في مجتمعات يخيم عليها الجوع يصابون بالدهشة، بل إن أحدهم سقط على الأرض باكياً عندما رأى صندوقاً للزبالة مليئاً بالطعام، وآخر أصيب بشيء من الذهول عندما رأى صندوقاً آخر قد تربع عليه خروفان كاملان مطبوخان لم تمسهما يد إنسان مع وجود محاولات للحصول على الأطعمة وتوزيعها.

واللباس جانب آخر يبرز فكرة الترف الذاتي وهو بين النساء والرجال شائع على حد سواء، حيث تجد أصنافاً من المجوهرات

والأقمشة التي لا تترك للزمن يقضي عليها إما بنزول أسعارها في الأسواق أو بتركها تحرقها الحرارة وسوء التخزين.

هذه جوانب للترف الذاتي فيها دلالة على المظهرية التي يعيشها مجتمع هذه المنطقة. أما مقومات الحضارة الحقة فهي ما تحتاج إلى أعمال فكر ونزول إلى الأسواق حيث البناء والتشييد القائم على الاكتفاء الذاتي بالسواعد الوطنية العاملة التي تلبس القبعات الواقية وتتلقى تعليمها الفني والتقني في المعاهد والمؤسسات التي أنشئت لهذا الغرض، وأعمال الفكر يحتاج كذلك إلى طرق أبواب الكتاب وارتياذ المكتبة سعياً وراء إيجاد حلول معينة قائمة على العملية والبحث في سبيل القضاء على مشكلات اجتماعية معينة تساهم المكتبة مساهمة فعالة في التغلب عليها. ولا شك أن المكتبة كانت ولا يزال لها دورها المؤثر في حضارات الأمم.

وأمر ثالث يمكن أن يساهم في التغلب على هذا الترف الذاتي يمكن من خلال التوعية المكثفة على مختلف المستويات من خلال إعطاء المواطن صورة واضحة لما يدور في العالم من حوله من نكبات وأضرار مادية وطبيعية تحول دون الاستمتاع بلذة الحياة، وتشعر المواطن بأنه عضو في هذا المجتمع الكبير وأنه ليس مستثنى من هذا إن لم يعط هذه النعمة حقها من الشكر العملي والقولي.

ولعل وسائل الإعلام خير من يقوم بها، فالتليفزيون يعرض صوراً حية للبؤس الذي تعيشه المجتمعات المجاورة، بدلاً من أن يعرض دلائل للترف الحضاري الذي وصلت إليه بعض المجتمعات وذلك مثل البرامج الترفيهية التي تبرز هذه الظاهرة بالذات على أنها إفرازات لهذا الترف.

والإذاعة من خلال الحديث والمقابلات والندوات، والصحافة من خلال المقالات والاستطلاعات والصور وما إلى ذلك. وإنني أكاد أجزم

أن هذه الوسائل سيكون لها مردود إيجابي . وأؤكد أخيراً على أننا لا نزال نملك مقومات الحضارة الحققة وكل ما نحتاجه هنا هو صقلها وتنميتها وجعلها بارزة للعيان . هذه المقومات إنما تقوم على نظام رباني للحياة يدعو إلى الحضارة والحكمة والعلم .

اليمامة العدد ٨٤٥

الأربعاء ٢٢ جمادى الآخرة ١٤٠٥ هـ

ثانياً:

السعوديون وخدمات الحج

التمسوا وحدة الأمة.. في الحج

النزعة الوحودية أمل الأمم جميعها. ولم يقتصر الأمل هذا على مجرد الأمانى، ولكن كانت هناك جهود عملية على مر التاريخ هي محاولات للاتحاد..

ومن هنا يأتي توزيع العالم إلى أمم يجمع كلا منها رابط مشترك فيها، أو ربما روابط مشتركة فيها، وكلما كثرت الروابط زادت الحاجة إلى الانصهار في بوتقة واحدة، وكلما واجهت الأمة أي أمة، تحديات بشرية زاد تعلقها بالوحدة.

ولا تستثنى من هذا أمة من الأمم، والعرب جزء من أمة وليست أمة واحدة وحدها، وإن كانت لديها روابط تدفع إلى أن تكون أمة واحدة، كاللغة والعرق والمكان، إلا أنها تفتقر إلى رابط أهم من هذا عندما توافر فيها توحدت مع غيرها من الأجناس واللغات والأماكن، وعندما خف هذا الرابط وخفت طفقت العرب تبحث عن الوحدة بعيداً عن رابطة الدين الذي كون الثقافة المشتركة.

ولم يكن خفوت رابطة الدين عند العرب وغير العرب مفاجئاً، ولكنه جاء نتيجة لتكالب الأمم الأخرى على الأمة الواحدة، وساعد على هذا التكالب ومهد له الطريق ضعف الأمة نفسها وتهاونها في أولوياتها،

وطغيان أمور ثانوية على الساحة وعلى حساب الرابطة المشتركة، فكان الاستعمار الذي فككها مادياً، وجعلها شعوباً وقبائل لا تتعارف، ولكن تتناحر، وهكذا أراد الاستعمار وهكذا يظل يريد، وكان الاستشراق الذي فكك الأمة دينياً، بدأ بالعقيدة التي جمعت الأمة تحت منطلق واحد، ثم مروراً بالجوانب الشرعية التطبيقية من عبادات ومعاملات، وكان ما يسمى بالغزو الفكري الذي أريد له أن يكون ثقافة وافدة تحل محل ثقافة مؤصلة بدا عليها النحول، وتهافتت عليها الأمراض، وحاصرتها الأوجاع، وظهرت حركات تبحث عن الوحدة بعيداً عن ثقافة الدين، فتوزع المسلمون إلى وحدات غلبت عليها العرقية أو القومية التي أريد منها أن تكون البديل، وليس العامل المشارك أو العامل المساعد. والمسلمون أقوام وليسوا قوماً، وقوميات وليسوا قومية واحدة، فكان هناك شيء من الابتعاد والتباعد.

وأراد العرب أن يتوحدوا في مظلة عربية واحدة، وانبعثت الفكرة من بعيد. والبعيد هذا ليس بالضرورة بعداً مكانياً، ومنذ سنة ١٨٤٧ م والعرب في محاولات للوحدة من خلال قيام الهيئات أو الجمعيات العربية مثل الجمعية العربية السرية ١٨٧٥ م، وجمعية حقوق الملة العربية ١٨٨١ م، وجمعية رابطة الوطن العربي ١٩٠٤ م، وجمعية الوطن العربي ١٩٠٥ م، والجمعية العربية للفتاة ١٩١١ م، والكتلة النيابية العربية ١٩١١ م، وحزب اللامركزية ١٩١٢ م، والجمعيات الإصلاحية ١٩١٢ م، والمؤتمر العربي الأول بباريس ١٩١٢ م، وحزب العهد ١٩١٢ م، وجمعية العلم الأخضر ١٩١٣، وجمعية العلم ١٩١٤ م، وغيرها من المؤسسات القومية التي امتدت إلى بداية النصف الثاني من القرن الميلادي العشرين، مع ملاحظة أن جميع هذه الجمعيات قد راعت التاريخ الميلادي في التأريخ لتأسيسها وسيرة أعمالها، لانتشار هذا التأريخ

«التقويم» أولاً، ولخفوت التأريخ الهجري بخفوت أهله ثانياً، وهناك على أي حال استعارات كثيرة لا تتسطح بالتاريخ، ولكن تغوص في أعماق الفكر بحيث يجد الباحث أن الفكر القومي أراد أن يتفوق على نفسه بإخراج رابطة الدين، فلجأ إلى روابط أخرى فكرية وثقافية تقوي رابطة القومية وتسندها.

ومثل هذه المحاولات وقبلها قامت محاولات عند قوميات أخرى، عندما رأت هذه القوميات أن العرب قد لجأوا إلى هذا التوجه ظهرت نبرة أنه ليس هناك أحد أحسن من أحد، وهذا صحيح.

ولكن هذه المحاولات كلها لم تستطع أن تكون هي البديل عن الرابطة الدينية، فترى في أفكارها وفي ممارساتها استعارات من الدين - أي دين - تكون خلفية مؤسس هذه المحاولات، ولم يستطع المؤسسون عملياً وتطبيقاً أن يلتقوا بعيداً عن أثر الدين في أنفسهم، والذين يؤرخون للمؤسسين يذكرون خلفياتهم العقيدية سواء كانوا يهوداً، أو نصارى أو مسلمين، فلا يقال أن هذه المؤسسة قد أنشأها العربي فلان وكفى، بل إن الأسماء ذات الدلالة العقيدية دالة على هذه الخلفية، ولم تكن هناك محاولات جادة للتغلب على هذه الانطباعة مما يثير شيئاً في النفس.

وحيث لم تكن هذه المحاولات هي البديل ظلت الممارسات الدينية مستمرة وظلت المساجد تستقطب أعداداً ممن حاولوا ولوج التجربة القومية، وظلت الرابطة الأوسع والأشمل قائمة يقصدها واقعاً أو أملاً معظم المنظرين لقومية عربية أريد منها الوصول إلى صيغة وحدوية، فكان الحج ولا يزال هو الشاهد الشامل على إمكان قيام الوحدة المؤهلة الأشمل من مجرد مكان أو لغة أو تاريخ أو آمال وآلام مشتركة. وما استطاع الحجاج من القوميين أن يغفلوا تحقق الوحدة فعلاً وواقعاً في هذه الشعيرة.

والحج على هذا تطبيق عملي للوحدة، فالرب واحد، والمكان واحد، والزمان واحد، واللباس واحد، والقصد واحد، والجموع المتعددة واحدة في ساعة واحدة، ولعلنا نتابع المشهد الساعة السادسة بالتحديد من قبل غروب يوم الجمعة ١٤١١/١٢/٩ هـ يوم عرفة لنشاهد مصداق الوحدة، وهي ساعات القمة، ولكن الوحدة هذه ليست مقصورة عليها.

ومع هذه الوحدة تطبيقاً تجد الفروق قد ذابت ذوبان الجليد في يوم من أيامنا هذه.

فلا ينظر الناس إلى بعضهم على أن منهم الشريف وفيهم الوضيع، وبينهم لون يطغى على لون، أو عرق يفوق آخر، أو جنس مقدم على آخر، حتى العرب الذين هم حملة هذه الرسالة التي جاءت يذوبون بين الحجيج لا يتميزون ولا يميزون.

وإذا كانت الأقليات العرقية والقومية قد حاولت الوحدة فنزلت بها بسبب هذه المحاولات الويلات والأزمات والنكبات والنكسات، فلعل الأولى بها أن تطرح هذا العامل غير المشترك وتجعل من الحج منطلقاً لها في التصدي للتحديات التي تواجهها اليوم أكثر من أي وقت مضى.

ولعل الأولى بها أن تستغل هذا الموسم العالمي فيما يقوي اللقاء ويعين على الوحدة، فلا يكون موسم فسوق ولا جدال أو طغيان فكر محدود أو توجه غير شامل، فيحرص المسلمون على إبراز جوانب الاتفاق بينهم وهي كثيرة، ويطوحن بالجوانب التي تبعدهم عن بعضهم البعض وهي قليلة، وتوضع أحياناً في الصورة فتكبر في أعين الناس وهي صغيرة.

وليس من الحكمة أن يستغل هذا الموسم ذو الدلالات الواضحة على وحدة الأمة في شعارات أو نداءات أو إشارات تعمق في الأمة فرقتها

وتزيد الفجوة وسطها، وتنغص على الحاج رحلته وغرضه وتطلعاته في حج مقبول وسعي مشكور وتجارة مع الله لا تبور، فالرفث ومنه فحش الكلام - والفسوق والجدال قد يفسد الحج على الأفراد، بل وربما الجماعات والوقت يدعو إلى إشعار البعيدين من الأمم الأخرى بأن الأمة واحدة قادرة على التصدي لأي أطماع أو تلويث لوحدة الأمة.

ولقد عاشت الأمة تجربة الوحدة وأفادت منها كثيراً قوة وسعة وعدلاً وخيراً، ولم تكن التجربة بفضل من الله قاصرة أو ميالة إلى الإخفاق إلا عندما برزت البدائل المضادة على السطح، عندها حصل الخلل، فكان التفكك وكان ضياع القوة والسعة والعدل والخير إلا ما رحم الله.

وكل فرد يقف غداً في عرفات وكل فرد يعمد إلى صيام يوم عرفة من غير الحجاج، وكل فرد يشاهد الوقفة في عرفات من المسلمين، وكل فرد يسمع عن الوقفة، وكل فرد يقرأ عن الوقفة ملزم بأن يتمثل هذا الموقف مؤشراً حياً على وحدة الأمة، وهو مسؤول مسؤولية نسبية عن تحقيق مفهوم الوحدة بما أوتي من قدرة على القرار أو التأثير بدءاً بالأسرة فالمجتمع الصغير الذي يكبر ويكبر حتى يشمل الأمة كلها. وأظن أن هناك إحساساً اليوم بالرغبة الصادقة في الوحدة الشاملة في الأمة أكثر من ذي قبل وخاصة بعد أن تحطمت محاولات وحدوية أغفلت رابطة الدين عمداً، فكان مصيرها أن ضاعت وأضاعته وأكثرت من الجروح، وأسهمت في تأخر الأمة، بل إعادتها إلى الوراء، وبون شاسع بين وحدة جعلت من أهدافها الرئيسية القضاء على العامل الأول للوحدة. ولكل الحجاج هذا العام وكل عام الدعاء بالقبول. وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة، العدد ٦٨٣٩

الخميس ٨ ذو الحجة ١٤١١ هـ الموافق ١٩٩١ م

التضامن في الحج!!

جميع مناظر الحج رائعة .. الحركات المنتظمة .. الموقوتة .. تعرف وجهتها .. وتعرف إلى متى ستكون في مكان .. ثم تنتقل إلى مكان آخر يليه .. على مراحل .. كل حاج ينظر إلى أن ينهي مرحلته التي هو فيها .. لا يفكر في التالية .. ويحمد الله على الذهابة .. منظر جميل لا يتوقف جماله على الحركة الظاهرة .. أو على الصوت المسموع .. أو على الصورة الجماعية .. يذهب الجمال إلى أعماق من هذا بكثير .. التضامن بين الأمة جانب مهم جداً .. الفروقات تذوب .. الكل هناك في المشاعر يدعى الحاج .. أو الحاجة .. يحتفظ الجميع بالألقاب .. لم نسمع - ولا نريد حقاً أن نسمع - سعادة الحاج .. أو معالي الحاج .. أو فخامة الحاج .. أو «الأسطى» الحاج .. أو الحاج الدكتور وغيرها وغيرها من الألقاب التي فتنا بها .. ونحن لا نريدها بالضرورة .. واللقب الشرف والحق هنا هو الحاج .. والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة .. جعلها من نصيب حجاج بيت الله الحرام .. هذا العام .. وكل عام مضى .. وكل عام يأتي ..

ومن الجمال الرائع في الحج أن يتحقق التضامن بين القيادات الإسلامية في منى .. يجتمع الجميع في مجلس القائد لهذه البلاد .. جميع

رؤساء بعثات الحج في مكان واحد جاؤوا ليترجموا الرغبة في أن يكون منطلق التضامن من مكة المكرمة والمشاعر. . ومن الجمال الرائع أن يقف مندوب عنهم جميعاً يتحدث باسمهم شاكرًا حكومة هذه البلاد على ما تبذله في سبيل إنجاح مواسم الحج. . ومن الجمال الرائع كذلك أن يقول لسان هذه الحكومة إنها قد التزمت بالخدمة المناطة على عاتقها. . وزادت في التيسير بعد أن من الله عليها باليسر. . فالدور يقع على حجاج بيت الله الحرام في استغلال هذا التيسير لمصلحة أنفسهم مع إيثارهم أنفسهم وإيثارهم على أنفسهم. . وما دام هذا هو الديدن لهذه الحكومة بحيث يلحظ التغيير بين سنة أخرى. . وليس فحسب بين كل عشر سنين أو خمس سنين. . فإن الأجدر بضيوف الله في بيوت الله أن يقدروا لهذه الحكومة هذا الجهد الذي تؤكد دائماً أنه جزء من واجباتها في خدمة الإسلام والمسلمين. . ومن التقدير لهذه الحكومة ولشعب هذه الحكومة أن توضع الأيدي بالأيدي لتكون يداً واحداً مواجهة لكل ما يمكن أن يعكر صفو هذا الالتحام العميق. . ويحاول قطع الأيدي يداً إثر يد. . وقوة تلو القوة أملاً في إضعاف الأمة وتسليطها على بعضها واستنزافها خيراتها على الزائل السريع مقصداً إلى الألاً تقوم لها قائمة. .

وهذه الأيدي الملتحمة تحت مظلة، التضامن تكوّن الجماعة. . الجماعة الحقّة التي تستحق أن تكون يد الله تعالى معها. . فيتربك الشاذ إلى مصيره بعد أن تعبى به الحيلة ويركب رأسه عناداً ومكابرة. .

لقد كان منظرًا رائعاً أن تجول آلات التصوير التلفزيوني بين الوجوه. . فيعرف المرء منها وجوهاً. . وينكر أخرى جهلاً بها. . لا شيء آخر. . وجميل جداً أن يرى المرء العالم الإسلامي والأقليات الإسلامية مجتمعة في مكان واحد في وقت واحد بضيافة رجل واحد. . فيرى المرء هذا المنظر ويدرك أنه ليس بيننا وبين التضامن إلا أن يتكرر هذا المنظور

مرات ومرات في أوقات أخرى . . وفي أماكن أخرى يكون منطلقها هذا المكان . . وهذا الوقت . . وهناك العوامل التضامنية كلها متمثلة في هذا التقليد السنوي الذي يبدو أنه يزداد روعة كل سنة . . وكلما أحست الأمة بحاجتها إليه . . وكلما واجهت الأمة من الأزمات ما يؤكد الحاجة إليه . . ونحن أمة واحدة . . هكذا قدرنا . . وسنكون إذا أردنا . . ولن نكون إذا أردنا . . والله تعالى يريد لنا الخير . ويضع يده تعالى علينا .

لقد أضفى هذا المنظر الجماعي روعة على روعة الجمع هذا العام . . وزاده روعة أيضاً تأكيد القيادة . . وتكرار التأكيد على التضامن الإسلامي . . ما يوحي بأن القيادة تفتح يديها للجميع في سبيل تحقيق الهدف . . وتعين الجميع على تحقيق الهدف . . وتسأل الجميع المعاونة على تحقيق الهدف . . والبناء دائماً يمر بمراحل . . يصعب قفز مرحلة إلى تاليها . . ويصعب التسرع في الانتهاء . . والذي لا يصعب أبداً - بعون الله - هو البدء . . وها قد بدأنا على بركة الله . .

المعاني النفسية للحج

اليوم الأحد التاسع من شهر ذي الحجة لعام ١٤١٠ هـ يوافق ١/٧/١٩٩٠م يعني مرور هذا اليوم وقوف المسلمين في عرفة أكثر من ألف وأربعمائة «١٤٠٠» وقفة وكل وقفة تختلف في النفس عن التي سبقتها.

في عمر الإنسان هناك نماذج لمسلمين حجوا أكثر من ثلاثين مرة في عمرهم، وكل وقفة بعرفة جديدة عليهم من حيث المشاعر الغامرة، وكأن الواحد منهم يقف في عرفة لأول مرة في حياته. فكل حجة يحجها المرء لها طعم يختلف عن الحجة السابقة سواء كانت السابقة من العام الماضي، أو قبل خمسة أعوام مضت، أو عشرين عاماً مضت، لا فرق في الشعور الداخلي لدى الحاج، يتطلع في هذا اليوم العظيم إلى أن يشمله عفو من الله وغفران منه ورحمة، ويتطلع إلى أن يعود من حجه كيوم ولدته أمه.

وفي هذا الشعور الداخلي حكمة من الله تعالى تجعل المرء لا يشعر بأنه يقوم بعمل طالما قام به من قبل، وطالما سيقوم به من بعد، إن بقي على قيد الحياة. وهكذا ينبغي أن يكون الشعور ليس في الحج فحسب، ولكن في جميع الأعمال التي يقوم بها العبد يقصد من ورائها مرضاة الله تعالى كالصلاة والصدقة والصوم وبقية العبادات بما فيها المعاملات.

ولهذه الوقفة العظيمة معان في النفس يختلج بها الفؤاد. وتعبّر عنها التطلعات إلى السماء تطلعات مصحوبة بالرجاء والخوف. . وهذا هو القاسم المشترك بين الحجاج الذين يقفون اليوم في عرفة.

إلا أن هناك من الحجاج فئة قدمت من خارج البلاد. بعيداً من البلاد. . كانت تحسب لهذا الموقف حسابات كثيرة. الرحلة بالنسبة لهؤلاء لم تكن هينة. . نحن نعرف أن هناك من يصل مكة المكرمة من الداخل في اليوم الثامن وينهي حجه في اليوم الثاني عشر فلا تزيد أيامه في المشاعر عن الخمسة. ولكن هناك تلكم الفئة التي تستغرق معها الرحلة عديداً من الأيام. . سنين في الإعداد للرحلة. . وأشهر في الرحلة نفسها. . ولهذا تجد هذه الفئة تحاول أن تأخذ من الحج كل ما تستطيع رغبة في أن تكون قد أدته على الوجه الذي تعتقد هي في أنه الكمال.

المعاني النفسية

هنا بيت القصيد في هذه الوقفة عند هذا الموقف العظيم. فالحج في أيامه كلها عبادة توقيفية. . الزيادة فيه غير مرغوب فيها. . والنقص فيه قد يخل في مدى كماله. . وقليل من هذه الفئة من ينقص نفسه فيه عن عمد. . ولكن عدداً لا بأس به من الحجاج يزيد فيه زيادة ربما تخل به. . وتخرج به عن مجرد أداء فريضة فرضها الله على المستطيع من عباده. . هناك بعض المبالغات التي تمليها النفس. . ولا أساس لها من دليل شرعي. . يقوم بها البعض ليستغل فرصة وجوده فيبالغ في أدائها. . تقبيل الحجر الأسود وسط الزحام مثلاً. . تعريض الحاج نفسه للشمس والتعب والنصب مثلاً. . مزاحمة الناس بشكل غير طبيعي مثلاً في المشاعر. . الأفراد في استخدام ماء زمزم مثلاً. . إرهاق النفس وعدم إعطائها كفايتها من الراحة. . والله سبحانه وتعالى يحب أن تؤتي رخصة كما يحب أن

تؤتي عزائمه.. . وليس هذا انتقاداً لمن يأتون العزائم، فالمرء يدرك ما يرمون إليه.. . ولكن الوقفة مركزة على المبالغة التي قد تؤثر أحياناً على الشعيرة التي يقوم بها الحاج.

زيارة المدينة المنورة

ومن المعاني النفسية للحج اعتقاد البعض أن حجهم لا يتم إلا بزيارة المدينة المنورة.. . قد يعبر عنها البعض بهذا.. . ويعبر البعض عنها بزيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة.. . ويعبر عنها آخرون بزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه في المسجد النبوي بالمدينة المنورة.. . وتكون الزيارة قبل البدء في مشاعر الحج أو بعد الانتهاء منها.. . ولكن هؤلاء لا يعبرون عنها بهذا وإنما يبدأون بها مشاعرهم أو ينهون بها مشاعرهم.. . والزيارة طيبة إذا كانت للمسجد منهي عنها إذا كانت للقبر. ولكنها ليست ركناً أو شرطاً أو واجباً في الحج.. . ويكمل حج المسلم إذا لم يزر المدينة المنورة.. . والمشكل هنا أن هناك فئة قليلة من المسلمين تعطي الزيارة أهمية أكثر مما تعطىها لمناسك الحج التي قد لا يتم الحج إلا بها.

ولا يفهم من هذا التقليل من شأن زيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم السلام عليه - عليه السلام - وعلى صاحبيه - عليهما من الله الرضوان - ولكن أن تصل المعاني النفسية بالمسلم إلى أن تطغى مستحبات على واجبات فهذا أمر يسترعي التنويه بعدم ترك أمور العبادات التوقيفية خاضعة للنفس البشرية ترسم لها أولوياتها حسبما يعتري المرء من شعور تجاه نسك أو شعيرة من شعائر الحج.

وماذا بعد؟!

فما دامت العبادات - ومنها الحج - توقيفية فمن الأجدر بكل فرد أن

يأخذها من منابعها . . ولا يترك لنفسه أن يتدخل في زيادة أو نقص . .
ومن باب أولى ألا يترك لعقله أن يتدخل في هذه الأمور بزيادة أو نقص أو
تغيير وجهة . وعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه - له موقف من تدخل
العقل في العبادات التوقيفية حينما قال إنه لو كانت هذه الأمور تؤخذ
بالعقل لكان المسح على القدم من باطنها لا على ظاهرها . . لأن الباطن
هو الذي يدوس على الأرض . . وعندما سألت امرأة عائشة رضي الله
عنها عن السرِّ وراء قضاء المرأة الصيام وعدم قضائها الصلاة حينما تنقطع
عنهما . كان رد عائشة أن النساء تعمل هذا لأنهن أمرن أن يفعلن هذا .
وهذا يوحى بالتسليم المطلق للأمر . ولو كان التسليم على حساب تحكيم
العقل وتحكيم النفس وما تمليه من معان قد لا تتفق والحكمة من
العبادات .

هنيئاً لجميع المسلمين الذين وقفوا اليوم بعرفة . . وهنيئاً لجميع
المسؤولين الذين هياؤا للمسلمين الوقوف بعرفة . . ودعاء إلى الله تعالى
أن يجعله حجاً مبروراً . . وأن يجعل سعيهم مشكوراً وأن يجعل ذنوبهم
مغفورة . . وأن يشركنا معهم بالأجر والثواب . . فرب امرئ أحجم عن
الحجة إيثاراً . . وكان يتمنى أن يحج . . ورب امرئ يتمنى الحج ولكن
لا يملك له زاداً ولا راحلة . . ورب امرئ يملك الزاد والراحلة ولكن لا
يملك القوة البدنية والصحة التي تحمله في هذه الرحلة الطيبة . . ورب
امرئ يكسب أجر الحاج ولو لم يحج . . ورحمة الله واسعة . . هنيئاً
لجميع بمرور موسم جديد خال من جميع ما ينغص على الحاج حجه . .
ومزيداً من الدعاء بالعون والتوفيق لكل من يقف وراء هذه الجهود محتسباً
الأجر من الله والثواب . وكان الله في عون الجميع .

الجزيرة، العدد ٦٤٨٥

الأحد ٩ ذو الحجة ١٤١٠ هـ الموافق ١ يولييه ١٩٩٠ م

أصوات متعددة.. وعالم واحد..!

أنا أستعير اليوم هذا العنوان من كتاب في الاتصال والمجتمع اليوم وغداً لمجموعة من الكتاب كان صدر عن اليونسكو والشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر سنة ١٩٨١ م. وهو كتاب يحتاج إلى أن نقف معه وقفة غير قصيرة.

ولكني هنا أتصور الناس يوم الإثنين وهم يقفون بعرفة وهم يزيدون عن المليون حاج يدعون الله سبحانه وتعالى بلغات مختلفة لا يكاد يحصيها إلا من خلقها، ولكنهم جميعاً عالم واحد يدعون رباً واحداً ويرجون رحمته ويخافون عقابه. هذا الموسم بهذه الصورة يعجز الكثيرين سواء منهم من عاشه أو من لم يعيشه وإنما سمع عنه وشاهد وقرأ. شيء عجيب أن تتألف القلوب وتترك كل شيء وراءها من متاع الدنيا وتقف ليس بينها وبين الله حجاب وقطرات الدمع تسيل ولا يعلم بها صاحبها لأنه في شغل شغله عنها.

ويطيب لمن سبق له الحج أكثر من مرة ويحج هذا العام أن يدور بين الخيام وبين السيارات يسمع هذه الأصوات فيزداد طمأنينة وإيماناً عندما يقدر أن هؤلاء جميعاً على تفرق لغاتهم أتوا هنا ليشاركوه المطلب فيعبرون عن ذلك بتعابير مختلفة تصل لدى البعض إلى أن ينسى نفسه

فينخرط في نحيب مسموع تائباً إلى الله عائداً إليه من رحلة كانت مليئة بالقلق والخداع لنفسه ولخلق الله فتراه بعد هذا المشهد العظيم يعود إلى بلاده وكأنه قد لبس حلة جديدة، بل أن بعضهم يعمد إلى لبس يأخذه من المملكة لا لشيء إلا ليشعر الآخرين بأنه عائد بثوب جديد، فلا يتوقعون منه ما كانوا قد عهدوه فيه من خلق غير سوي. يودع هذا الأسلوب في التعامل بعد أن وقف هذا الموقف وعاهد نفسه على أن يطيع الله فلا يعصيه أكثر مما عصاه من قبل. ويوطن العزم على تجديد التوبة كلما وسوس إليه الشيطان بالعودة إلى سيرته الأولى ويعقد النية على العودة إلى مكة والمشاعر يقوي من خلالها عزمته ويجدد إصراره على أن يكون عبداً صالحاً نافعاً لنفسه وأهله ووطنه وأمته.

آثار الحج...

ويراه قومه وقد تغير عليهم، فيظن البعض أنها نشوة الحج فلا يلبث أن يعود إلى ما كان عليه، ويأمل آخرون أن يدوم عليه هذا التغيير إلى الأفضل كما دام مع من سبقوه وحجوا بيت الله الحرام. وتمر الأيام ويزداد صاحبنا ثباتاً ويطرق أبواب العلم والعلماء ويجالس طلبة العلم ويتأكد لقبومه أن صاحبهم عائد إلى الخير والاستقرار فيشكرون الله أن منّ عليه بالحج إلى مكة فكان منه ما كان ويذكرون مكة وأهل مكة بكل خير، إذ كانت ولا تزال منطلقاً من منطلقات التوبة والرجوع إلى الله.

والحق أن هناك نماذج من المسلمين يزداد سلوكها الطيب رسوخاً بعد أن تحج بيت الله الحرام. وهذا منطلق طبيعي للمسلم.

واقع بعض الحجاج:

ذلكم واقع محمود حينما يكون للحج أثر ممتد على الحاج وعلى مجتمعه. والحق أن هناك نماذج من الحجاج كثر أداؤهم لهذه الشعيرة

بحيث أصبح السفر إليها ضرباً من التكرار المحبب وهذا الواقع قد لا ينطبق إلا على القريبيين من مكة من أهل البلاد عموماً. وهؤلاء تجدهم في عرفة وفي منى فتعرفهم وتود لو فسحوا المجال لغيرهم ممن يؤدون الفريضة أول مرة.

حقاً أن هذه النوعية قليلة وصعب التحكم فيها فليس هنا دعوة إلى النظر إليها بشيء من التحكم ولكن إن كان هناك من دعوة فهي إلى هذه الفئة من الحجاج «تعودت» على الحجة أن تترك المجال للآخرين في وقت تزدهم فيه المشاعر بالقاصدين، ومن ثم يزداد حجم الخدمات التي تقدم من جميع الفئات التي تحرص على أن تقدم للحجاج الراحة والطمأنينة والأمن والسلامة. ومع قلة هذه الفئة وكونها لا ترقى إلى أن تكون ظاهرة إلا أن مجرد وجودها كفكرة يحتاج إلى التنويه إليها كي تكتفي بما أدته في حجها في الأعوام السابقة، ولهم الأجر في إتاحة الفرصة لسواهم من المسلمين الذين يحجون لأول مرة.

المؤثرون..

وإزاء هذه الفكرة تجد اليوم مجموعات غير قليلة من المسلمين الذين سبق أداؤهم للفريضة آثروا أن يبقوا في ديارهم ليتيحوا المجال للآخرين. خاصة وأن هؤلاء المؤثرين قد سبق لهم الحج فرضاً وربما نفلاً، فعقدوا العزم على أن يعملوا صالحاً في عشر ذي الحجة من صيام وذكر ودعاء وصدقة وأضحية، قد توصلهم بإذن الله إلى أجر الحاج عندما تكون النية خالصة ويكون القصد من وراء عدم الحج مجرد الإيثار. وكثيراً ما دعا الأئمة والخطباء في المساجد صراحة أو تلميحاً إلى مثل هذا الإيثار وأكدوا عليه. بل إن منهم من سأل أيحج أم يتصدق بنفقات الحج على المجاهدين والمحتاجين، فكان الجواب من عالم أن يتصدق ما دام حجه

نفلًا لا فرضاً. وعليه فإن الإيثار هنا مطلوب شرعاً مع كثرة الوافدين إلى الحرمين الشريفين رعاهما الله تعالى بعنايته. ناهيك عن الآثار التي يتركها الإيثار خاصة لمن أراد أن يعوض عن الحج بالصدقة، فهذه تنعكس على المجتمع المسلم كله، وليس على الفرد ذاته أو على من يحج عنه، وعليه فإن فكرة الإيثار هذه تستحق التأكيد عليها بل والتشجيع عليها من قبل الأئمة والخطباء وذوي الكلمة المؤثرة في المجتمع المسلم عموماً وفي المجتمع الخليجي بوجه خاص.

أهل مكة والمدينة:

ويبقى أهل مكة والمدينة ينعمون كل سنة بهذا الموسم ويستغلونه استغلال من يبحث عن الثواب عند الله. فتراهم يسدون الخدمات الذاتية لحجاج بيت الله دون حاجة إلى إطراء وترى فيهم نماذج تؤثر ألا يعرف أحد ما يقدمونه إلى الحجاج، لأنهم يريدون بذلك وجه الله سبحانه وتعالى. وتلكم نعمة من نعم الله تعالى على مكة والمدينة أن يجعل فيهما من أهلها من يعين ضيوف الرحمن على أن يؤدوا فريضتهم على خير وجه، وتلكم خدمات صغيرة لا تضاهي الخدمات الجليلة التي تقدمها الدولة، ولكنها خدمات أيضاً مكتملة، لها أثرها على الحاج أثراً يبقى معه طيلة عمره انطباعة يأخذها معه عن أولئك المسلمين الذين ينعمون بوجودهم عند بيت الله فيقدرون هذه النعمة وتنعكس على غيرهم من قاصدي بيت الله.

والآن وفكرة التطوع تلقى ترحيباً واسعاً من قبل المسؤولين يجدها المرء فرصة ليقدم ما يستطيعه دون أن يطمع في مردود مادي يعود عليه بنفع في الدنيا، إذ إنه يقصد نفع الآخرة، فتبرز هذه الفكرة تعينه على الحصيلة المقبولة - بإذن الله - من الأجر والثواب.

وفكرة التطوع - وهي كما توحى الكلمة - عمل ذاتي يحدوه العزم على تقديم الخدمات يمكن أن تخضع للتنظيم المسبق بحيث يؤخذ مجموعة من أبناء مكة والمدينة، وهم يعرفون شعابها، فيعطون فكرة شاملة عما يتوقع منهم مع كل حاج، فلا تلبث أن ترى شباب مكة والمدينة وقد ازدانت صدورهم بما يسبغ عليهم الفخر والاعتزاز، لأنهم يخدمون ضيوف الرحمن يؤازرهم في ذلكم إخوتهم الشباب من بقية مدن وقرى البلاد.

وتلكم إيجابية من الإيجابيات الكثيرة التي يتحلى بها شباب هذه البلاد الطيبة الطاهرة، أصبحت حديث الناس ومضرب المثل.

ويتوقف المرء عند هذا الموسم وهو يسمع هذه الأصوات المتعددة، فيؤثر ألا يسترسل في الحديث فيفسد شيئاً من حلاوة هذا اللقاء مع الله تعالى. ولا يملك إلا أن يدعو بالقبول لكل حاج عاش هذه التجربة وضحي في أشياء كثيرة في سبيل أن يرضي الله تعالى بالقيام بركن من أركان الإسلام، كما يؤديه أي مسلم آخر في صعيد واحد ومؤكدين جميعاً على أنه وإن تعددت الأصوات فالعالم الإسلام واحد. والله المتسعان.

السبت ٧ ذي الحجة ١٤٠٧ هـ

- ١ أغسطس ١٩٨٧ م - العدد ٥٤٢٠

الأمن في الحج..!!

يسعى الإنسان بفطرته إلى تحقيق مجموعة من الضروريات الحياتية التي لا تستقيم حياته إلا بها ولا يؤدي وظيفته التي خلق من أجلها على الوجه المطلوب إلا باتخاذ هذه الأسباب. وهذا ما يمكن أن نسميه بالأمن بالمعنى الشامل والعريض لكلمة أمن بحيث يدخل بها الأمن النفسي والأمن الأسري والأمن الاجتماعي والأمن الصحي والأمن الغذائي والأمن الوظيفي والأمن من الآخرين، والأمن الروحي الذي يُعد بحق أول هذه الأنواع وغيرها وأهمها.

والحج عبادة تؤمن الجانب الروحي من المفهوم الشامل للأمن، وهي عبادة فريدة فيها من المعاني الكثير، ومن معانيها تجمع أجناس مختلفة وفئات متفاوتة من الناس بلغات متعددة وجهات متباينة بين شمال وجنوب وشرق وغرب، ويتبع هذا التفاوت الاختلاف في العادات والتقاليد في الأكل والملبس والتعامل وهذا الاختلاف «المحلي» يتحطم أمام هذه الشريعة الفريدة والأصل فيها أن يكون الناس سواسية كأسنان المشط يقفون بين يدي الله تعالى خاضعين خاشعين لا يفرق المرء فيهم بين غني وفقير وشريف وحقير ولا يختلفون أمام الله تعالى إلا بقدر ما عندهم من التقوى.

والذين يفتدون إلى المشاعر داخلون جميعاً في حدود البشرية التي أراد الله لها أن يعتريها التقصير فتحصل منها التجاوزات التي تؤثر في المفهوم الشامل للأمن، ومن ناحية أخرى فإن جزءاً غير يسير من الوافدين لا يتوقع منهم أن يكونوا على إطلاع كامل بالطرق التي تؤدي بها هذه الشعائر ومن هنا تأتي فكرة المطوفين، فإذا اجتمعت الناحيتان؛ البشرية في الحجاج والمعتمرين وعدم الفقه الكامل بالشعائر المشاعر توقع المرء شيئاً من التجاوزات التي قد ينتظر منها أن تكون عفوية وغير مقصودة.

ومن حكمة الله تعالى وواسع علمه أنه تعالى يحذّر الأمة بأن هذا مكان قد تقع فيه التجاوزات فيؤكد تعالى أن ﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾ بحيث يتحقق الأمن الروحي لجميع الحجاج.

وقد أخذت المملكة العربية السعودية على عاتقها أمانة خدمة الحرمين الشريفين وخدمة الحجاج والمعتمرين وزوّار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحقيق الأمن في هذه البقاع الطاهرة فتسعى الآن كما سعت من قبل إلى تحقيق المفهوم الشامل للأمن في هذه الفترة وفي غيرها من فترات العام. ويمكن للمرء أن يعدد الوسائل التي تتحقق من خلالها هذه الفطرة في الإنسان:

- فالأسعار على السلع والمستهلكات مراقبة، والسلع والمستهلكات متوافرة.
- ووسائل الاتصال السريع متوافرة في كل مكان.
- والمياه لأغراض الاستخدام اليومي موزعة بين المخيمات.
- ومياه الشرب الباردة توزع بين الناس.
- والصحة وخدماتها منتشرة في كل مكان وبإمكانات هائلة.
- الإنارة منتشرة بين المخيمات.

- وشباب الجواله والكشافة بسطوا قلوبهم خدمة لكل حاج .
- ورجال الدفاع المدني على أهبة الاستعداد .
- ورجال المرور يملأون الميادين ، وفرسان المنافذ (الجمارك) يعملون ليل نهار .
- ورجال الشرطة قد انتشروا بين الحجاج .
- والنقل بين المشاعر على طول اليوم والليله .
- وصنّاع القرار ساهرون في مكاتبهم يعملون على تلافي أي عجز أو تقصير .

وغير ذلك كثير من الوسائل بحيث يؤدي الحاج والزائر شعائره باطمئنان ويسر وسهولة ويعود إلى دياره شاكراً الله تعالى أن يسّر له أداء هذا الركن بهذه الطريقة التي لم يكن يؤديها بها أبأوه وأجداده من قبل ، وشاكراً الله تعالى أن سخر لهذه المشاعر من يسهر على خدمتها مبتغياً بذلك وجه الله والدار الآخرة والصدقة الجارية المقبولة بإذن العليم الخبير .

بقي أن نؤكد مرة أخرى على بشرية العباد وأن بعض النفوس ضعيفة وأنها تحاول أن تستغل هذه الشعيرة لمطامع فردية شخصية أو لمطامع سياسية بعيدة عن الروح التي تطفئ على الجو العام لهذه الشعيرة ، فتكون لها هذه الأجهزة بالمرصاد ، فتجعل من تدبيرها تدميراً لها بفضل من الله تعالى وعون منه ، فينتفي في الحج بسبب من هذه الوسائل والأجهزة الرفث والفسوق والجدال ، ويتحقق الأمن بمفهومه الشامل الذي يزداد التأكيد عليه عاماً بعد عام بفضل من الله ثم بجهود المخلصين الذين يخططون ويقومون كل موسم يمرُّ ويأخذون منه العبر ويتخذون من نتائجه القرارات .

وفق الله جميع العاملين على راحة ضيوف الرحمن وعلى أمنهم ، وجعل هذا كله في ميزان حسناتهم ، وكان الله في عون الجميع .

هنيئاً لكم يا هؤلاء

ونحن في بداية موسم طيب نلاحظ أن الأعداد تتزايد متجهة إلى بيت الله الحرام لتؤدي ركناً من أركان الإسلام، وإذا صحت التوقعات فإن مجمع أعداد الحجاج لهذا العام ١٤٠٤ هـ قد يصل إلى ثلاثة ملايين حاج وحاجة جاؤوا من مختلف بقاع الدنيا ليشهدوا منافع لهم ويذكروا الله في أيام معدودات، يعودون بعدها سائلين الله القبول، وقد وطنوا النفس على محاولة تكرار التجربة بعد أن لاقوا من الخير الشيء الكثير بما في ذلك العقبات الصغيرة التي تعترضهم أثناء قيامهم بهذا المنسك، إذ إن وراء العقبات تلك أجراً أن أريد من ورائها ذلك.

ولكن العقبات في هذه الأيام بدأت بالاضمحلال شيئاً فشيئاً، فالذي حج من سنوات عدة وحج بعدها يلاحظ أن كل موسم يختلف عن سابقه من حيث محاولة القضاء على العقبات التي تعترض طريق أداء الحج منذ أن يغادر الحاج منطقته. ونحن نعلم أن الحجاج في فترة زمنية سابقة كانوا يتعرضون إلى ويلات الطريق قبل أن يصلوا إلى المشاعر المقدسة، ويأتي على رأس هذه الويلات قطع الطريق، وربما عدم الوصول إلى المشاعر في بعض الظروف، إذ ربما وصل الأمر إلى أن يفقد المرء حياته شهيداً وهو في طريقه إلى مكة أو في طريقه إلى بلاده بعد أن أدى ما عليه، ثم

بعد هذا تذلل العقبات ويقوم رجال كثير إلى العمل لإخراج موسم الحج بالمظهر الذي يجعل الحاج يحمد الله حمداً كثيراً أن قيض الله لهذا البيت من يخدمونه خدمة جعلوها أحد أسمى إنجازاتهم.

والواقع يثبت أن تذليل العقبات لا يبدأ في بداية الموسم، بل ربما بدأ في نهاية الموسم السابق أو الذي قبله وهكذا، فالمسألة هنا تخضع إلى تخطيط ودراسات للمشاكل التي تعترض كل موسم، ولذلك نرى أن كل سنة تتفوق على سابقتها في إتباع أساليب تذليل العقبات، وهذه الدراسات التي تدور حول الحج ومواسمه لا تبدو لكثير من الناس، ولكن هناك الكثيرين الذين يعملون في هذا المجال ممن لا ينتظرون الدعاية فهم يخدمون غرضاً نبيلاً، إنهم يخدمون بيت الله ويخدمون ضيوف الرحمن.

وإذا تخطينا هذا إلى الملاحظ والمشاهد والذي تبدأ بوادره تظهر للناس عند نهاية عيد الفطر المبارك نجد أن هناك الكثيرين الذين وطنوا أنفسهم لخدمة حجاج بيت الله، وقد لا يسمح المقام هنا بأكثر من التمثيل لهم:

- فهناك الذين يعملون في مدن الحجاج من موظفي أمن ومرشدين وكشافة يهدون المسافرين إلى طريق مكة من أي مكان قدموا. . وقد علمت أن القادمين على مدينة كبيرة أو صغيرة من الحجاج يستقبلون في هذه المدن وتقدم لهم أساليب كثيرة للراحة والإرشاد. فإذا أرادوا المغادرة ركب معهم أحد الفتية من الكشافة ليخرجهم من المدينة سالكين طريق مكة، بعدها ينزل الفتى في محطة معينة مودعاً إياهم راجياً الله لهم حجاً مبروراً.

- وهناك رجال الإحصاء الذين وقفوا على مداخل كثيرة أهمها مداخل الحرم ليفرزوا الحاج من غيرهم، ومن ثم يحصونهم ويتأكدون من سلامة البيانات وتوفر الأوراق، بعدها يفتحون لهم الطريق ليتجهوا إلى بيت الله بادئين مشواراً مليئاً بالروحانية.

- وهناك رجال الأمن الذين اختاروا أن يسهروا الليل كله، وأن يقفوا تحت الشمس موجهين الحجاج إلى الطريق السليم لاستخدام جميع الوسائل التي تعينهم على أداء هذه المناسبة على أكمل وجه، وهم - رجال الأمن - يتبعون في هذا أحدث الوسائل التي ظهرت حتى الآن في سبيل تحقيق الأهداف التي من أجلها يعملون، ومهما قيل في رجل الأمن في هذه المناسبة وفي غيرها فلن يوفيهم القول ما يستحقون .

- وهناك رجال المطافىء - وهم شعبة من رجال الأمن - وقد جندوا الطاقات واستعملوا وسائل تقنية حديثة للتأكد من عدم استفحال مصيبة تسببها شرارة من كبريت، وهم بهذا يتبعون وسائل إرشادية للحجاج والمطوفين تقوم على محاولة الإطفاء الذاتي لأي حريق قد يحدث بين الخيام وذلك باستعمال - طفايات الحريق اليدوية - وحسن استخدامها حتى يصل الأسطول برجاله إن دعا الأمر ذلك .

- وهناك رجال الصحة وما وفروه من وسائل إرشادية أيضاً في محاولة لعدم الاضطرار إلى وجودهم، أما إذا وجدوا فهم رجال أكفاء قد دربوا على أن يعالجوا قضايا وأعراضاً قد تكون خاصة بهذا الموسم مثل ضربات الشمس التي يحتمل أن تحدث لأكثر من حاج في هذه الفترة من الزمن . . وهؤلاء الرجال قد جهزوا بجميع ما يتصور وما لا يتصور من أساليب أداء الخدمة أداءً فعالاً، حتى وصل الأمر إلى استخدام الإسعافات الطائرة لإجراء العمليات جواً إن دعا الأمر لذلك، وتتضافر في هذا جميع الجهود الصحية في وزارة الصحة والخدمات الطبية في وزارة الدفاع والطيران والحرس الوطني ووزارة الداخلية لتقديم خدمة أفضل .

- وهناك إدارة الإرشاد الديني التي تقوم بطبع الكتيبات وتوزيع المعلومات على الحجاج بلغات مختلفة تنير لهم الطريق وتعينهم على أداء الفريضة على أكمل وجه، بحيث تخلو الشعيرة من أمور ربما أفسدت

الحج كله، فيخسر معها الحاج ما بذله من جهد ومال، بل ربما حصل على الآثام في حجه بدلاً من أن يؤدي فرضاً كتب عليه، ومهمة رجال الإرشاد والتوجيه والإفتاء من المهمات الدقيقة، إذ إنها لا تتوقف في أدائها على تقديم خدمات محسوسة بل هي تعالج فكر الحاج ومدى وعيه وتقبله وفهمه لما يراد منه . . وفي هذا الموسم يلاحظ أن كثيراً من العلماء قد وقفوا أنفسهم للفتوى والإرشاد، وجلسوا في مواضع خصصت لهم بحيث يكونون قريين ليجيبوا على قضايا وأمور تحدث في وقتها وتحتاج إلى الرأي المطلع، بحيث تتجنب الاجتهادات الفردية التي لا تقوم على علم شرعي .

- وهناك وسائل الإعلام بأنواعها التي جندت طاقاتها لتقديم معلومات مستفيضة عن هذه الشعيرة، والذي يتابع وسائل الإعلام يلاحظ أنها تتبع وسائل فعالة في أداء هذه المهمة، فالوسائل المرئية عمدت إلى استجلاب العلماء والمختصين وأجرت معهم الأحاديث والمقابلات، بالإضافة إلى الأحاديث التوجيهية التي تقدمها القناة الثانية بلغات متعددة. وتشارك الوسائل المرئية في هذا الوسائل المسموعة حيث نسمع وبلغات متعددة أيضاً البرامج التي تركز على هذا الموسم وتحاول أن تغطيه من جميع جوانبه، أما الصحف فلا تكاد تخلو صفحة من صحيفة دون التعرض لهذا الموسم، حتى لتجد ذكر هذه المناسبة في الصفحات المخصصة للدعاية والإعلان.

- وهناك رجال المواصلات وما يقومون به من توفير وسائل للنقل ووسائل للاتصال من بريد وهاتف ومبرقات . . ويوفر هؤلاء الحافلات التي تنقل الحجاج من منطقة إلى أخرى، بحيث تحمل أعداداً كثيرة منهم، وتقل في الوقت ذاته أعداد السيارات وينتظم السير . . كما أن مراكز البريد وأجهزة الهاتف والاتصال الأخرى تزداد يوماً بعد يوم، ويتسامح رجال المواصلات كثيراً في عدم التأكيد على الحصول على

البديل المادي من الحاج في سبيل أداء مهمة اتصاله، فهم يعلمون الظروف التي تمر بالحاج في هذه الفترة بالذات، ولذلك فهم لا يدققون في توفر البديل المادي بشكل يعترض اتصال الحاج بمن يريد، أو يعترض انتقاله من منطقة إلى أخرى من المشاعر المقدسة.

- وهناك رجال المرور الذين يعملون داخل المشاعر، ويقع على عاتق هؤلاء مسؤولية غير يسيرة، خاصة إذا علمنا أن أداء المشاعر مرتبط بأوقات تكاد تكون محدودة، فيعمل رجال المرور على محاولة إيصال الحاج إلى النقطة القادمة بأسرع وقت وأفضل وسيلة، بحيث لا تؤثر سرعة الوقت على الأنظمة التي رسمت خصيصاً لهذه المناسبة، ورجال المرور على احتكاك دائم مع الحجاج، وكثير من الحجاج يريدون الوصول إلى نقطهم القادمة قبل الغير، فيحاول رجل المرور التنسيق بين هذه الرغبة وبين عدم الإضرار بالآخرين من الحجاج فيضطر إلى عدم تحقيق رغبات شخصية، وعليه فموقعه صعب، ومع المحاولات الإرشادية والنصح بإتباع أساليب المرور يبقى أولئك الذين يتجاوزون أنظمة المرور في سبيل أن يوفروا على أنفسهم دقائق أو ساعات معدودة، وهذا مما يزيد رجل المرور إحراجاً، ولكنه مع هذا يتمشى مع خطة مرورية شاملة يراد بها ومنها أن يصل الجميع إلى النقطة التالية في وقت معقول.

- وهناك شباب الكشافة الذين يقفون عوناً لرجال المرور ويقومون بتوجيه الحجاج وإرشادهم والبحث عن الضال منهم وتوصيل من وجد من «الضالين» إلى أهله. ويقومون بتوفير خدمات كثيرة للحجاج فهم في هذا فئة مساعدة للأصناف الآنف ذكرها فما أجمل المنظر حين ترى كشافاً يقود حاجاً إلى مرفق من المرافق العامة وقد أسلم الحاج القيادة لهذا الفتى مبدياً إعجاب به، وبالفكرة التي يقوم بها وبالرجال الذين عملوا على توفير مثل هذه الخدمة الإنسانية النبيلة.

- وهناك رجال البلدية وما يوفرونه من خدمات جلى لضيوف الرحمن، فهم حريصون على أن يكون الماء متوفراً، وهم حريصون على حقوق الحاج في إقامته ومأكله ومشربه ونظافة المشاعر، والحرص على خلوها من مسببات التلوث.

- وهناك رجال الكهرباء الذين يعملون على توفير النور في كل بقعة بحيث يصبح الليل مضيئاً، فهم مع رجال الإنارة في عمل دائم للتأكد من أن الظلام لا يخيم على مساكن الحجاج وخيامهم وطرقاتهم، وهم في هذا يعملون على تقليص الخطر القائم على استعمال أدوات الإنارة الصغيرة والقائمة على استعمال الغاز أو الكيروسين وقوداً لها، وفي هذه الأدوات خطر، ورجال الكهرباء من خير من يقوم على تلافي ذلك.

- وهناك أهل مكة والمشاعر الذين يستضيفون هذا العدد المتزايد عاماً بعد آخر بصدر رحب، ويجندون لهم أوقاتهم وطاقاتهم ويعملون متطوعين على إسداء بعض الخدمات الإنسانية التي قد لا تنتظر المختصين للقيام بها.. فهناك من أهل مكة من يبذلون أشياء كثيرة من مال ومسكن ومؤن وأطعمة وأخرى نحوها، وجهود أهل مكة في هذا المجال معروفة يضرب بها المثل، فأهل مكة أدرى بشعابها، ولم تطلق هذه المقولة عبثاً، ويكفي هؤلاء فخراً أنهم يستضيفون العالم، وأنهم يقطنون بقعة من أطهر بقاع الأرض على الإطلاق، ولذلك فقط سموا إلى هذا المستوى الرفيع، يشاطرهم في هذا أهل المدينة المنورة، فأولئك أيضاً لهم أياد طويلة في خدمة زوار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم - وما قيل في جميع الرجال في المشاعر ينطبق على المدينة المنورة.

- وهناك الرجال الذين يعملون من وراء الستار وهم أولئك الذين جرى ذكرهم في مستهل هذه الصفحة، إذ إن هؤلاء الرجال قد حملوا على عواتقهم العمل على دراسة العقبات والنظر فيها من جميع الجوانب،

وعليه فقد شكلت اللجان واستعين بالخبراء وعقدت الجلسات على مدار العام، والخطط لمواسم حج قادمة لا للموسم القادم، فالمشروعات الضخمة من شق الأنفاق وتعبيد الطرق وبناء المرافق وإقامة الجسور لا تخضع هذه جميعها لمجهود سنة واحدة، بل حسب ضخامة المشروع. . .
ويقوم بالدراسة وإجراء الأبحاث والتخطيط نخبة من رجال هذا البلد ممن يعملون فكرهم وخبرتهم وعلمهم ويكرسون جهودهم كلها في سبيل النهوض بخدمات الحج عامة وموجهين في هذا من قبل المسؤولين الذين أعطوهم النور الأخضر في سبيل الوصول إلى أفضل السبل وأحدث وسائل التقنية دون النظر إلى الإمكانيات المادية على أنها عقبة تقف في الطريق.

- وهناك الرجال الذين يقومون بالتنفيذ لهذه المشروعات من المقاولين والمهندسين والعاملين فهؤلاء جميعاً يمرون بفترات تجعلهم يشعرون حقاً بأنهم ينجزون عملاً نبيلاً سوف يساهم في تذليل العقبات التي تعترض طريق الحاج، وهم يعلمون أن ما يقومون به من الأهمية بحيث يخدم سير هذه الشعائر.

- وهناك الكثيرون الذين يساهمون في هذا الحدث الإسلامي الكبير مساهمة فعالة بمشاعرهم وأحاسيسهم من خلال تتبعهم لمعظم ما يجري حول الحج. فهم يريدون أن تظهر شعائر الحج على أكمل وجه يمكن أن يقوم به إنسان، فهم يفرحون ويحزنون تبعاً لما يحدث للحجاج على شكل منفرد كأن يضيع حاج أو يصاب آخر أو يمرض ثالث، وهكذا من حوادث جانبية تكاد تكون من مستلزمات هذه المناسبة.

وتتضافر جهود هؤلاء جميعاً وجهود غيرهم من الذين بذلوا ويبدلون في سبيل أن يخرج الحاج بانطباعات إيجابية عن شعيرة من شعائر الإسلام تعينه أن يكون متمسكاً بدينه، شاكراً لجهود العاملين على توفير

الراحة له ولجميع الحجاج دون استثناء . . وهذا من أجمل ما يمكن أن يكون في أسلوب هذه الخدمات المتضافرة وذلك أنها إنما جعلت وسيلة لأن يهتم الحاج بجانب العبادة، ويترك بقية النواحي المادية ويوفر على نفسه حتى التفكير فيها، فهي متوافرة في متناول يده، فلا ينتظر منه أن يلقي في سبيل الحصول عليها أي عناء يذكر مع أن العناء فيه زيادة في الأجر . . فهنيئاً لجميع العاملين في هذا المضمار بالأجر والثواب من الله تعالى أولاً وقبل كل شيء، وهنيئاً لهم راحة الضمير التي يتمتعون بها وهم يقومون بهذه الأعمال الجليلة، وهنيئاً لهم هذا الشرف الذي ينالونه وهم يؤدون أعمالهم بعيدين عن أهلهم وذويهم . . ومهما قيل فيهم ومهما بذل لهم من حوافز إلا أن ما يقومون به فوق هذا كله . . يعجز القلم عن أن يوفيه حقه . . ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾، وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة، العدد ٤٣٥٥

الجمعة ٥ ذو الحجة ١٤٠٤ هـ الموافق ٣١ أغسطس ١٩٨٤ م

الأمّة لا تجتمع على ضلالة!

يزيد عدد المسلمين اليوم على مليار نسمة «١٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠» موزعين على أكثر من خمس وأربعين دولة، ويتكلمون أكثر من سبع وثلاثين لغة، ويتراوح عدد سكان هذه الدول بين «١٤٧,٣٨٣,٠٠٠» مائة وسبعة وأربعين وثلاثمائة وثلاثة وثمانين ألف نسمة في أندونيسيا و «١٥٤,٠٠٠» مائة وأربعة وخمسين ألف نسمة في المالديف، هذا بالإضافة إلى الأقليات المسلمة في مجتمعات غير مسلمة.

وكل بالغ من هؤلاء يرغب الوقوف في عرفة يوم التاسع من ذي الحجة، ليس بالضرورة كل عام، ولكن الرغبة على أي حال موجودة سواء كانت لأداء فريضة الحج لأول مرة، أو للعودة مرات أخرى على سبيل النافلة والتطوع أو الحج عن الآخرين.

والمملكة العربية السعودية التي تخدم الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة لم تغلق أبوابها أمام أي حاج قادم من أي مكان من العالم، وهي لهذا لم تتوقف منذ توحيد البلاد تحت راية واحدة عن تطوير سبل الخدمات في الحج، حتى أصبح هذا الأمر من أولى واجبات البلاد، وجعلت خدمة الحرمين توسعه وتهيئة وتذليلاً للصعاب جزءاً من خططها التنموية الطموحة، ولم تتوان الحكومة في أن تطرق كل السبل

المشروعة في سبيل أن يفد الحاج فرداً أو مجموعة ويقوم بأداء المناسك وهو يدعو في كل حركة يقوم بها لمن كان سبباً في كل هذه التسهيلات .

ومع هذه الجهود فإن الأماكن المقدسة بمساحتها المحدودة لا تستوعب في الوقت الحاضر أعداداً كبيرة . . وعلى ضوءه ربما تولدت مشاكل خلال هذا التزاحم، فأشغلت الحاج ومن يخدمه عن الهدف الأساسي من قدومه للبلاد . . ولربما جعلت حجّه وبالا عليه إما ديناً أو آخرة .

وعليه كان لا بد للأمة أن تجتمع على وسيلة عملية واقعية بعيدة عن التنظير غير القابل للتطبيق، فكانت الوسيلة أن تحدد الأمة الإسلامية بالإجماع نسب الحجاج من كل بلاد، بحيث يكون المجموع العام للحجاج متلائماً مع الخدمات التي تقدم لضيوف الرحمن . واجتمعت الأمة على هذا، والأمة لا تجتمع على ضلالة، وطبقت ما وافقت عليه، بل ما دعت إليه، فكان هذا مدعاة إلى الانسجام والمعقولية في التحرك في المشاعر .

ولم يكن التحديد عشوائياً بحيث يعتمد على العدد من كل بلاد، ولكنه نظر إلى عدد السكان في كل بلاد إسلامية وأخذ من العدد نسبة بغض النظر عن كثافة السكان في كل بلد . والنسبة هذه ثابتة ولكن العدد يزيد على أي حال بسبب زيادة عدد السكان مع مرور السنين . وهذا يعني أن على الحكومة التي تخدم الحرمين الشريفين - حكومة المملكة العربية السعودية - أن تكون على مستوى الزيادة في العدد من حيث التخطيط لأن تكون الخدمات على نمط واحد . ولكن حكومة المملكة العربية السعودية لم تتعهد للأمة أن تكون الخدمات على نمط واحد . ولكن حكومة المملكة العربية السعودية قد أخذت على عاتقها أن تكون خدمات الحاج أفضل مما هي عليه . . وهذا ملحوظ بين عام يأتي وعام مضى، فالزيادة

في عدد الحجاج بين عامين متلاحقين طفيفة ما دامت النسبة لم تتغير وعدد سكان البلاد الإسلامية لم يزد زيادة ملحوظة، ومع هذا فإن خدمات الحجاج في زيادة مضطردة، ليس بين كل عشرة أعوام أو بين كل خمسة أعوام، ولكن بين العام الواحد والذي سبقه والذي يليه. وإخال هذه نعمة من نعم الله على هذه البلاد حين ينعكس خيرها على كل من يؤدي فريضة الحج من أي مكان قدم. ولعل هذا الاهتمام داخل في المفهوم الفعلي والتطبيقي لشكر النعمة الذي هو مدعاة إلى زيادتها.

واجتماع الأمة على هذه الوسيلة العملية لم يأت مجاملة لأحد، فليس في الإسلام مجاملة، ولم يكن يُدعى له في مؤتمر إسلامي على مستوى عال إن كان فيه شبهة المجاملة، ولذا نجد علماء مسلمين في المملكة العربية السعودية والبلاد العربية الإسلامية الأخرى يؤكدون على الأمة أن تلتزم بهذا الإجماع، ويناشدون الأفراد ممن أدوا فريضة الحج أن يتيحوا المجال لإخوانهم الذين لم يؤدوها ليؤدوها بطمأنينة وراحة بال تماشى مع الجهود التي تبذلها الحكومة في المملكة العربية السعودية.

ونجد أيضاً أن زعماء المسلمين وعلماء المسلمين في البلاد الإسلامية يجددون تأييدهم لهذا الأسلوب العملي والتطبيقي في تحديد النسبة - وليس العدد - وينحون باللائمة على الأقلية من أفراد أدركوا الحكمة من هذا الأسلوب ولكنهم أبوا إلا أن يخرجوا على إجماع الأمة، علماً أن هؤلاء الأفراد لا يمثلون بالضرورة رأي المسلمين في بلادهم، بل إن الوثائق الرسمية التي نشرتها الصحافة أخيراً تثبت أنهم لا يمثلون بالضرورة المنطلق الذي يصدر عنهم.

واجتماع الأمة على تحديد النسبة إجماع ضمني على تخويل حكومة المملكة العربية السعودية في رعاية حجاج بيت الله الحرام، وتأمين المتطلبات الضرورية التي تكفل لهم أداء مناسكهم بأمن وطمأنينة وسلام

لا يضيرهم من خذلهم. لا يستغلهم تاجر جشع ولا يغويهم ضال مصر على ضلاله، ولا تكون المناسك مجالاً للشعارات التي لا تتعدى حدود الشعارات بعيداً عن الواقع، بعيداً عن الحكمة من الحج، بعيداً عن الهدي القويم. ولم يستغل الحج منذ أن فرضه الله على أمة الإسلام في الدعوة إلى الخروج على إجماع الأمة في مسيرة أو مسيرات أو في تجمعات أو في توزيع منشورات أو في إلقاء الخطب الحماسية التي تهين الإسلام والمسلمين أنفسهم في الوقت الذي تدعي فيه أنها تمثل الإسلام.

لقد عهد المسلمون موسم الحج تجمعاً طيباً ترعاه عناية الله تعالى يجلس فيه علماء الأمة للوعظ والإرشاد والإجابة على الأسئلة في أحكام الحج بخاصة، وفي أحكام الحياة بعامة. . وهي جلسات قد لا تكون متوافرة في بعض المجتمعات الإسلامية فتكون فترة سانحة للمسلمين من كل مكان أن يفيدوا من العلماء الذين نذروا وقتهم وعلمهم وحكمتهم للأمة، بعيدين عن ترديد الشعارات قريبين من النفس والواقع.

وستظل خدمة حجاج بيت الله الحرام وزوار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخدمة المسلمين في الحج وفي غير الحج سياسة تسيير عليها حكومة المملكة العربية السعودية، وتهيء لها كل ما في وسعها من مشروعات وخدمات أثناء أداء المناسك وبعد أن يعود المسلمون إلى بلادهم. وسيظل رجال هذه البلاد يفخرون بأنهم يسعون صادقين إلى أن يكون حج كل عام أفضل من الذي سبقه. رجال الأمن في مجالهم ورجال المرور في تخصصهم ورجال وزارة الحج في مهماتهم ورجال أمانة مكة المكرمة في مواقعهم. ورجال الإحصاء في وظائفهم ورجال الصحة والطب في سهرهم وعنايتهم، وشباب الجوالة والكشافة في تفانيهم، ورجال التخطيط بين دراساتهم وأبحاثهم ومشروعاتهم، وعلماء الأمة بحكمتهم وعلمهم. ويقف وراء هؤلاء جميعاً من يبارك لهم خطاهم

ويذلل أمامهم العقبات، ويشجعهم على بذل المزيد. وهذا ما عودونا إياه، وهذا ما تعودناه منهم، فكان الله في عونهم، وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة

الحج عرفة

حينما يقف اليوم ضيوف الرحمن في عرفات يكونون قد اطمأنوا على أن حجهم قد وصل إلى مراحلهِ الأخيرة. والاطمئنان هنا اطمئنان في الروح واطمئنان في النفس واطمئنان في الأبدان. وتلكم رغبات قل أن تتوفر عند كثير من الأمم التي لا تتجه إلى الله تعالى أولاً ثم تعمل الأسباب لتوفير هذا الاطمئنان.

خلو الحج من الأمراض والأوبئة ظاهرة تستحق التوقف، إذ أن أولئك الحجاج قد قدموا إلى هذه البلاد الطيبة من كل فجاج الأرض. ولا نفترض هنا أن جزءاً منهم جاء يحمل معه وباء أو مرضاً، ولكننا لا نبعد الاحتمال بأن أفراداً منهم قد يكونون مصابين بأمراض معدية خاصة بين مجموعة كبيرة من الواقفين في صعيد واحد متجهين إلى إله واحد. ولكنها عناية الله تعالى التي تتعدى المحسوس إلى عالم المعجزات والخوارق تنبيهاً للبشر أن فوق كل ذي علم عليم.

وخلو الحج من الحركات الجانبية التي قد تثير عدم الاطمئنان في نفوس الحجاج عموماً يعد فضلاً من الله، ثم يحسب للقائمين على الحج من أولئك الذين آلوا على أنفسهم أن يكون موسم حج كل عام أفضل من العام الذي سبقه. نعم! نحن نتوقع من كل مسلم قيادي أو مواطن أن

يقف جنباً إلى جنب مع قيادة هذه البلاد سعياً وراء تحقيق موسم نجاح بكل معاني النجاح. ولكننا من حيث الواقع قد نجد أن هناك حجاباً من بلاد أخرى آثروا أن يثيروا القلق في نفوس حجاج بيت الله ظلماً وعدواناً قصداً إلى نزع الثقة من سدنه بيت الله والقائمين على خدمته، ولكن هؤلاء الحجاج لم يتركوا ليحققوا أهدافهم على حساب الاطمئنان النفسي والروحي والبدني لأولئكم الذين قصدوا بيت الله تعالى خاشعين تائبين عابدين. فتحقق بذلكم الاطمئنان.

وخلو الحج من سوء التنظيم وسوء المعاملة للحجاج فضل من الله على مواطني هذا البلد حينما يذهبون إلى البقاع المقدسة لا ليقوموا بأداء وظيفة أنيطت بهم، ولكن ليخدموا عباد الله محتسبين من ذلكم الأجر من الله تعالى. وتجد فيهم الروح المعنوية بدرجة قل أن تجدها في أي موظف يقوم بأي عمل يراه عبئاً عليه في دول كثيرة، وينتظر اللحظة التي يتخلص فيها منه. وهؤلاء المواطنون يسدون ثغرات عدة، منهم رجال الأمن ورجال المطافئ ورجال الإسعاف ورجال التمريض ورجال الطب والكشافة البراعم والجوالة المصقولون ورجال الجمارك ورجال الجوازات ورجال الخطوط الجوية والبحرية، ومنهم رجال التوعية والإرشاد والدعوة إلى الله على بصيرة.

هم رجال هذا البلد المتطوعون لخدمة حجاج بيت الله تحت لواء قيادة عربية مسلمة أخلصت عملها لله وحده. هم جهاز متكامل يسهم في أن يكون حج هذا العام خالياً من أي منغص يعكر الصفاء الروحي الذي يريد أن يعيشه أولئكم الذين يقفون بين يدي الله تعالى في يوم عرفة ليغفر لهم ويهيء لهم من يقودهم إلى الخير والفلاح ديناً ودنياً.

وخلو الحج من النقص في الماء والمواد التي تعين الرجال والنساء على مواصلة شعائرهم نعمة من الله أنعم بها على بيته العتيق تجبي إليه

ثمرات كل شيء. ويتعدى الأمر مجرد توفير الماء البارد والمستعمل للأغراض الأخرى وتوفير الغذاء إلى أن يوزع الماء والغذاء مجاناً على حجاج بيت الله، فتجد في منى وعرفة ومكة الحافلات المعدة للتبريد وقد شرعت أبوابها وتمديد الخير منها خيراً عميماً ولسان الحال يقول: اجتهدوا في عبادتكم ودعواتكم واتركوا الباقي علينا، فإنما نحن في خدمتكم ما دمتم في ضيافتنا، اطمئنوا فالأطمئنان مدعاة إلى كمال الحج.

وخلو الحج من الزحام في المواقع التي اعتاد الحجاج فيها الزحام مدعاة إلى النظر في التخطيط السليم الذي أسهم في التفريغ عن الحجاج وساعدهم في القيام بشعائهم بطمأنينة أغنتهم عن الدفع ورد الدفع والانشغال بشق الطريق على حساب الدعاء والعبادة. تلکم الأنفاق والجسور لم تقم شامخة لتشير إلى الترف والتسابق في ماديات الحضارة، وإنما قامت لأن في قيامها خدمة لعباد الله لا ينتظر منها مقابل، فلا تدفع المكوس مقابل العبور من خلالها أو عليها كما يفعلون في بلاد أخرى بعيدة عنها في مسافاتها وفي منطلقاتها وفي القصد من مشروعاتها. أمتنا بفضل الله أمة متميزة تحس بما عليها من مسؤولية تجاه الأمم الأخرى وتسعى إلى تحقيق هذه المسؤولية من خلال تلکم الإنجازات التي لم تتوقف يوماً واحداً منذ أن أنعم الله على هذه البلاد بوحدتها وأمنها وطمأنيتها، فامتد الأمن والطمأنينة إلى الأمة كلها حتى صارت تنظر إلى هذه البلاد على أنها مثل يحتذى رغم الشعارات التي ظهرت في العقد الأخير في بلد إسلامي وأشعرت البعض بأنها تريد أن تكون مثلاً يحتذى، فما كان منها إلا أن ضربت مثلاً خبيثاً في أنواع القلق وفقدان الأمن والطمأنينة.

وغداً يطل علينا جميعاً عيد الأضحى المبارك فننحر الأضاحي وينحر الحجاج الهدي ونقتدي بأبينا إبراهيم عليه السلام وبسنة رسولنا

محمد عليه الصلاة والسلام. ولسنا بحاجة أبداً إلى أن ننسى أننا في بلد
قد أنعم الله عليه بالاطمئنان في الروح وفي النفس وفي الأبدان. وفق الله
الجميع لما فيه خير الأمة، وجعله عيداً مباركاً على كل مسلم ومسلمة.
وقبل الله من الحجاج حجهم وأعادهم إلى أهلهم وبلادهم وهم مغمورون
بالأمان والاطمئنان. وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة، العدد ٥٧٧٧

السبت ١٠ ذو الحجة ١٤٠٨ هـ ٢٣ يوليو ١٩٨٨ م

الحج . والجاليات . والوضوح !

يتزايد الإقبال على الإسلام في كل مكان . وتقول بعض الدراسات أن المسلمين سيفوقون الديانات الأخرى في غضون القرن الخامس عشر الهجري / الحادي والعشرين الميلادي رغم المحاولات الجادة في تحويل المسلمين عن دينهم عن طريق الغذاء والدواء والتعليم والتدريب .

وفي المملكة العربية السعودية نرى هذه الظاهرة واضحة من خلال إسلام كثير من ذوي الاتجاهات والديانات الأخرى على أيدي العلماء والقضاة وأئمة المساجد وأصحاب الشركات والعاملين في مجال الدعوة إلى الله . ومما يدعو إلى مزيد من التفاؤل قيام مكاتب تحرص على متابعة الجاليات غير المسلمة تبين لهم الإسلام على حقيقته من حيث أصوله وأحكامه ، ثم تترك الفرد يقرر بنفسه حول رغبته في التحول إلى الإسلام أو الاستمرار على معتقده ولكن برؤية واضحة عن الإسلام . ولا تتردد هذه المكاتب في تقديم الإسلام ، فلا يثنيها عدم هداية بعض المنتفعين المستفيدين من المعلومات التي تقدمها ، فالهداية من الله تعالى .

ولأن المسلم يعيش الإسلام فإنه لا يتصور بحال ذلكم الشعور الذي ينتاب ذلك الفرد القلق جداً الذي يبحث عن الطمأنينة والاطمئنان على مستقبله البعيد والقريب ، فإذا علم نظرة الإسلام للمستقبل والحياة

ومصدر الرزق ومصدر الشفاء ومصدر الهداية وجدته ينهر لما يعيشه الفرد المسلم من تفاعل مع الحياة.. هذا التفاعل الذي تقوده تلك الرؤية الواضحة. فيقبل هذا على مراكز الجاليات يدرس أكثر ويناقش أكثر ويقرأ أكثر ويتأكد أكثر من ذي قبل، فيبدأ منطلق التحفظ يخف عنده، خاصة أنه قد أعطي صورة غير صادقة عن هذا الدين، رسخها أولئك الذين نظروا إلى هذا الدين على أنه يهدد منافعهم الذاتية.

وتحرص مراكز الجاليات رغم إمكاناتها المحدودة على أن تتابع الجاليات في برامج منها القيام بحملات إلى مكة المكرمة في رمضان المبارك لأداء العمرة وفي موسم الحج لأداء فريضة الحج لدى هؤلاء الأفراد الجدد في معلوماتهم عن الدين بالعموم، ويلاحظ هؤلاء الأشخاص الموجهون شيئاً من البطء في الفهم عند التطبيق في المناسك والمشاعر، لأن الحديث النظري على جوانب تطبيقية لا يكفل القدرة على التطبيق دون استمرار في التوجيه. وليس هذا مقصوراً على المناسك، بل هو واضح حتى في الصلاة التي تتكرر مع المرء خمس مرات في اليوم على الأقل. ومثل هذا يحتاج إلى شيء من الصبر والتحمل ممن يجعل من نفسه موجهاً لشخص يمارس الشعائر لأول مرة، وفي وقت وعمر يكون متأخراً في حياته.

** * من المناسب في حق هؤلاء القادمين الجدد أن تسير الأمور في المناسك سيراً جيداً بحيث تراعى فيها الدقة والصحة في أدائها دون اللجوء إلى الاجتهادات الجانبية التي ليست بالضرورة محل إجماع من علماء الأمة. فإذا جاز للمتمرس المتنقل أن يلجأ إلى بعض الآراء ذات الطابع المرن. فلعله قصداً إلى كمال الحج ألا يلجأ هؤلاء وللوهلة الأولى إلى هذا، إلى أن يتبين لهم بوضوح جواز هذا وهذا ولكن أحدهما أفضل من الآخر وربما ينطبق الآخر على حالات خاصة كالكبر والمرض أو نحوهما.

** * ومن المناسب أن يظهر موسم الحج أمام هؤلاء القادمين الجدد وأمام العالم كله الذي بدأ يرقب هذا الموسم بالمظهر اللائق الذي يناسب والإمكانات التي بذلت والخدمات التي قدمت وتقدم الإنجازات التي تترى، فلا يسمح لفئة مهما كان توجهها أن تستغل هذا الموسم الروحاني في ممارسات لا تليق به، ولم تمارس منذ أن شرع الله الحج والعمرة على أمة محمد ﷺ. فيكون الحج صافياً نقياً بعيداً عن الشعارات والتهافتات والمهاترات التي يقصد منها الإساءة إلى هذا التجمع الطيب الذي يتحقق فيه مفهوم الأمة. وعلى هؤلاء المشوشين أن يجلسوا مع أنفسهم جلسة صادقة «موضوعية» فيها بناء واعتبار للآخرين القادمين من كل حذب وصبوب ليؤدوا مناسكهم بيسر واطمئنان، ويجلسوا مع أنفسهم ويدرسوا مصداقية ما يقومون به من أنشطة اتفق علماء المسلمين على أنها تتنافى مع الروح الجماعية والمشاعر الإيمانية التي تصحب عادة كل منسك من مناسك الحج.

** * والمسلم الجديد على الإسلام، والمسلم الذي شط وأراد أن يعود عودة صادقة لا يريد أن يرى مثل هذه الممارسات الشائنة في المشاعر من أولئك المارقين خاصة إذا كانت تقاد باسم الدين، ولم يكن الدين قائماً في يوم من الأيام على الشعارات والتهافتات وممارسات الغوغاء. ولا يصدق هذا على المسلم الجديد وعلى المسلم العائد فحسب، بل هو وارد لدى كل المسلمين ولكن الفئتين الأولى والثانية من المسلمين نتيجة لعدم الإدراك قد تؤثر هذه الممارسات على إسلامهم أو على عودتهم. أما المسلم فإنه يرفض هذا الأسلوب ويمجه فيزداد تمسكاً بدينه ويزداد فهماً لما ينطلق منه أولئك النفر الذين لا يمثلون بحال إلا فترة من الزمن في تاريخ الإسلام، ومن ثم يزداد هؤلاء تأييداً لرفض هذه الأساليب، فيصدر هذا منهم عن قناعة، وقد كانوا من قبل يجدون في أنفسهم شيئاً كان نتيجة للدعاية التي أثبتت الواقعية عدم صدقها.

* * إن المراكز التي تهتم بالجاليات والتي بدأت تنتشر في البلاد بمباركة من المسؤولين عن الدعوة وبما تقوم به من أنشطة عملية وميدانية تحرص على أن تقدم لهؤلاء القادمين الجدد هذا الدين ناصحاً واضحاً بعيداً عن الغموض والتخيلات والطقوس التي هرب منها هؤلاء، فلا يقبلون العودة إليها والوقوع فيها بطريقة أخرى.. والحج تجسيد لوحدة الأمة فيه من المعاني العملية ما تفقده الأمم الأخرى، فليس من الحكمة أن يعكس صفو هذه الوحدة الممارسة على الواقع بعض التصرفات الناتجة عن فئة محدودة جداً، بل من أفراد قد لا يؤمن كثير منهم بما يقومون به، والأحداث أثبتت شيئاً من هذا. ولسنا بصدد العودة إلى أحداث موثقة.

والدعوة إلى الوقوف في طريق المعكرين لا تقتصر على موسم الحج، بل إنها مصاحبة للدعوة إلى الله والحرص على تكثير الأمة في العدد والنوع. وهذا يتطلب تكثيفاً في الجهود وتوحيداً في الصف ما دام الاتفاق على المبدأ والمنطلق متوافراً. فكان الله في عون الجميع.

الجزيرة، العدد ٦٤٧١

الأحد ٢٤ ذو القعدة ١٤١٠ هـ الموافق ١٧ يونيو ١٩٩٠ م.

الحجاج.. والتخلف!!

تحت عنوان «الحجاج: ما له وما عليه» أصدرت وزارة الحج والأوقاف التعليمات الخاصة بحج هذا العام. وقد جاءت التعليمات بمقدمة وثمانية أبواب وخاتمة.

وكانت المقدمة بياناً صادراً عن وزارة الداخلية يؤكد على عدم سماح الحكومة في المملكة العربية السعودية بسوء استغلال موسم الحج للأفكار التي تتنافى مع الروح المتوخاة للحج.

وجاءت الأبواب الثمانية على النحو التالي:

الباب الأول: واجبات الحاج الكريم، وتتعلق الواجبات بما ينبغي للحاج أن يقوم به من إجراءات حال وصوله إلى البلاد.

الباب الثاني: أجور الخدمات والنقل وكيفية سدادها.

الباب الثالث: مواعيد القدوم والمغادرة، سواء كان ذلك عن طريق البر أو البحر أو الجو، وفصل هذا الباب مواعيد الانتقال بين الحرمين الشريفين.

الباب الرابع: الواجبات والخدمات التي تقدمها المؤسسات الأهلية للحجاج مثل المطوفين، والأدلاء والوكلاء والزمامة. وهذا الباب جاء

من أوسع الأبواب الثمانية نظراً لضرورة ضبط الخدمات وعدم تركها لاجتهادات المؤسسات الأهلية أو اجتهادات الأفراد في فرض خدمات قد لا تكون من طبيعة ما تقوم به المؤسسات الأهلية.

الباب الخامس: ضوابط إسكان الحجاج الموافق عليها بالأمر السامي الكريم رقم ٥٦٨/ في ١١/٧/١٤١٠ هـ.

الباب السادس: التعليمات الواجبة على النقابة العامة للسيارات وشركات سيارات نقل الحجاج.

الباب السابع: تعليمات عودة الحجاج إلى بلادهم.

الباب الثامن: تعليمات عامة قد لا تكون داخلية في الأبواب السبعة السالفة ذكرها.

وجاءت الخاتمة تؤكد قيام وزارة الحج والأوقاف بالعمل على تذليل جميع الصعوبات التي قد تواجه الحاج وهو يؤدي هذه الشعيرة، وتؤكد على حرصها على تنفيذ التعليمات الصادرة، تعاونها في هذا الأجهزة المتخصصة.

وكل باب من الأبواب الثمانية يحتاج إلى وقفات يبين فيها مدى «التطور» الذي تمر به خدمات الحجاج ومدى حرص الوزارة على نجاح كل موسم، بحيث تكفل هذه التعليمات سهولة في الأداء واحتراماً لمشاعر الحجاج وحفظاً لحقوقهم وتأكيداً على ما عليهم من واجبات. والذين سبق لهم الحج في السنوات القليلة الماضية يدركون تماماً أن الوزارة تعني ما تقول في هذه التعليمات وتعمل على تطبيقها من أجل الحاج نفسه.

وما يمكن التوقف عنده من هذه التعليمات في هذه الزاوية هو الباب السابع الذي يتعلق بعودة الحجاج إلى بلادهم بعد أدائهم الفريضة، وجاءت مغادرة البلاد بعد إعلان وزارة الصحة نظافة الحج. واتخذت

اعتبارات لحجاج الجو واعتبارات لحجاج البحر واعتبارات أخرى لحجاج البر، فلكل وسيلة نقل ظروفها، ولكن الوزارة أكدت على حجاج البر مغادرة مكة المكرمة في موعد أقصاه الخامس من محرم، وقد هيأت الدولة مدن الحجاج لمن تتأخر عودتهم نظراً لظروف حجوزاتهم أو اعتبارات وسائل النقل. وعلى أي حال فالمتوقع ألا يتخلف حاج من حجاج أي عام بعد نهاية شهر محرم.

والتأكيد هنا ينصب على عزم هذه التعليمات عدم السماح بالتخلف مقصداً إلى العمل بالمملكة العربية السعودية. فالعمل تحكمه تعليمات محددة. ومسؤولية مغادرة الحاج للبلاد ليست مقصورة عليه، ولكن تتحملها معه وسائل النقل التي تحمله في طريق العودة، ويطلب منها تقديم بيانات مناسبة بأسماء وأرقام جوازات من تعود بهم. وتقرن بالبيانات التي تبين القدوم، وينظر إلى أسباب الفرق إن وجد. وعادة ما يوجد الفرق إذا ما قرر الحاج سلفاً تغيير وسيلة النقل بحيث تختلف وسيلة العودة عن وسيلة القدوم وهكذا. والأمر لا يبدو يسيراً. ولكن الرجال العالمين في هذه المهمات يجعلونه بعون من الله تعالى في حكم اليسير.

ومع هذا فيحصل أحياناً نسبة يسيرة من الحجاج الذين لا يطلع على مغادرتهم البلاد، فيأخذون حكم المتخلفين قصداً إلى البحث عن عمل ولو بأجر زهيد عند أشخاص يتسترون عليهم لما يوفرونه لهم من مادة في الأجر وفي تكاليف الحصول عليهم من القنوات الرسمية.

ولكنهم يدركون أن الأجر زهيد، فيبدأون بالبحث عن مزيد من الدخل، إما بترك صاحبهم أو بالعمل في الأوقات التي لا يعملون بها عند صاحبهم.

والتعليمات هنا واضحة في عدم التستر على المتخلفين مهما كانت

نوعية العلاقة بالمتخلف. وهناك طرق نظامية تسمح بالتخلف إلى أجل، ولكن مجرد التخلف والتستر عليه بطريق غير نظامي يُخضع المتستر للعقوبة المحددة نظاماً، كما يخضع المتخلف لعقوبة تليق به ربما كان أقلها ترحيله من البلاد.

وغالبا ما تتحمل الجهات الرسمية نفقات ترحيل المتخلفين، وربما رأى البعض أن هذا لا يكفي في العقوبة، فيدعو نظرياً إلى مصادرة ما حصل عليه المتخلف من ريع في الفترة التي تخلف بها، إن بقي معه ريع يذكر. وهذه نظرة تعين على صرامة الإجراء، ولكنها قد لا تكون من الناحية الإنسانية مرغوباً فيها نظراً أولاً لأن هذه الإجراءات تتخذ ضد أناس مسلمين بالدرجة الأولى، ونظراً ثانياً إلى أن هؤلاء المتخلفين فقراء في الأصل، وتخلفهم دعت إليه حالهم المادية ورغبتهم في استغلال فرص العمل المتوافرة في البلاد، ونظراً ثالثاً إلى أن القصد من هذا كله حماية البلاد من الأضرار التي تنجم عن التخلف، فتخل بالأمن الوطني وتعين على سوء المعاملة مع المتخلفين، وتزيد في جشع بعض الناس في عدم دفع الكفاية مقابل العمل الذي يقوم به المتخلف. وفي الأمر هذا كله حماية وحفظ لكرامة هذا الإنسان الذي اضطرت ظروف العيش إلى أن يتبع هذا الأسلوب في البحث عن لقمة العيش. ومع التعاطف الإنساني ومن منطلق إسلامي مع هذه الفئة من الناس إلا أن البلاد محدودة في قدرتها على استيعاب الأعداد، وفي حاجتها إلى العاملين، وفي رغبتها في تنظيم الحياة الاجتماعية للمواطن والمقيم على حد سواء، بحيث لا يكون هناك في هذا التنظيم ما يجعله متعذر التطبيق.

ولذا جاء من التعليمات ما يؤكد على عدم السماح باستغلال الأرصفة أو المساجد في العيش أو النوم أو الإقامة. والعيش على الأرصفة والنوم عليها من المظاهر التي تتنافى مع ما وصلت إليه هذه

البلاد من تقدم ووعي في نظامها وفي تطبيقه. وليس من الحكمة أن يكلف الحاج نفسه مالا ليصل إلى مكة المكرمة، وعندما يصل إليها يفترش الأرض بين المحلات التجارية أو جوار الحرم. ولعل هذا يتنافى مع الركن والأمور هنا تعبدية محكومة بالنصوص، وليست اندفاعاً عاطفياً يغفل جانب التفكير السليم والتخطيط للمرحلة الطويلة سلفاً وتأمين المسكن والمعيش، أو أن تكون الرحلة قصداً إلى التكسب المادي إما بالعمل غير المشروع نظاماً أو باستغلال عواطف الحجاج والتسول بينهم.

ومسألة التسول في الحج قضية تحتاج أيضاً إلى توقف مع إدراك لما تقوم به وزارة الحج والأجهزة الأمنية الأخرى في القضاء على هذه المشكلة، إلا أن التعامل مع الإنسان يقوده دائماً إلى شيء من النقص غير المقصود نظراً لأن هذا لإنسان يبتكر عادة طرقات لا تسمح للنظام أن يقع عليها، فكان الله في عون القائمين على الحج، وكان الله في عون الجميع.

عزّت أمة ترفرفين عليها

كنت في سفر خارج مدينة الرياض وفي الطريق كانت تمر بي قوافل من حجاج بيت الله من بلاد الخليج والشام. وكنت أرى هذه القوافل وكأنها تتدافع إلى مجمعات أقيمت على مسافات معقولة من الطريق.. زودت هذه المجمعات بالوحدات الطبية ووحدات الدفاع المدني وكل ما يلزم الحاج من المأوى والخدمة التي يحتاج إليها. وفوق كل هذا زودت هذه المجمعات بالرجال الذين يضحون بالشيء الكثير في سبيل خدمة حجاج بيت الله امتداداً لخدمة الحرمين الشريفين ممثلين في هذا كله الجهود التي تبذلها حكومة خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي العهد: هؤلاء الرجال هم رجال الجواله والكشافة ورجال الدفاع المدني والهلال الأحمر ورجال الجوازات والجمارك وغيرهم من الرجال كثير.

كانت القوافل تمر بي أو تقابلني وأنا عائد فتعيد إلى الذهن ما كان عليه الحاج قبل أن تنعم هذه البلاد بنعمة الأمن والاستقرار. كنت أتصور معسكرات لقطاع الطريق على الحاج بدلاً من مجمعات اليوم. وكنت أتصور قوافل الحجاج تتدافع خائفة وجلة لا تأمن على نفسها فلا ترى ما يدعو إلى إلقاء عصا الترحال لبرهة من الزمن حتى يلتقط الحاج أنفاسه، وترتاح العير وتتزود بما يعينها على السفر ومواصلة المسير. وكنت أتصور

أهل الحاج وهم يودعونهم من مصر أو الشام أو العراق أو غيرها من بلاد المسلمين، فلا يعلمون أيعود إليهم سليماً قد أدى فريضته أم لا يعود على الإطلاق. تلكم أيها الإخوة كانت معسكرات وهذه اليوم مجمعات وشتان بين معسكرات يسودها روح العدوان، ومجمعات تسودها روح الخير والصلاح. مجمعات اليوم ترفرف عليها وفي وسطها راية التوحيد تملي على كل حاج يقف تحتها النهج الذي أخذ أبناء هذه البلاد عليه العهد أن يرعوها ويرعوا كل من يقف تحتها. وقلت في نفسي وأنا أمر بهذه المعسكرات ترفرف عليها الراية: «رايتي! عزت أمة ترفرفين عليها. أمتي عزت راية ترفرف عليك».

الأمان في الحج

وسمعت خطبة الجمعة قبل الماضية من إذاعة القرآن الكريم، ولعلها كانت تنقل من المسجد النبوي الشريف، ركز فيها الخطيب على الأمان في الحج ونبه كل من تسول له نفسه، إرباك مسيرة الحاج سواء عن طريق النشل من متاع الحاج أو عن طريق التشويش على الحجاج بعذاب الله لهم يوم القيامة حيث يدنسون شعيرة من أفضل الشعائر. وذكرهم كذلك بسياسة هذه الحكومة التي تخدم الحرمين الشريفين في عدم تهاونها مع هؤلاء ومع جميع من قد يستغلون هذا الموسم لتحقيق رغبات دنيوية خارجة عن الروح التي يجب أن يكون عليها الحج حيث لا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج.

والأمان في الحج لا يقتصر على هذا فحسب، بل تحرص حكومة خادم الحرمين الشريفين على جميع أنواع الأمان. أي أنها تحرص على كل ما يخدم الحاج ويجعله يؤدي فريضته دون أن يشغل نفسه في التفكير في الحصول على الماء البارد في فصل الصيف أو الحصول على الغذاء

والمأوى، فقد أعفي كل حاج من هذا العناء، وكأن القائمين على الحج يقدمون له بطاقة عند دخوله حدود هذه البلاد الآمنة. وقد كتب عليها: مرحباً بك حاجاً إلى بيت الله الحرام. اتجه إلى الله تعالى ودع الأمور الأخرى لخدمتك كلها علينا.

وتذكروا أن بطاقة مثل هذه كأنها وزعت على أكثر من مليون حاج، وهي تحمل الصيغة ذاتها دون النظر إلى خلفية هذا الحاج المادية ومكانته الاجتماعية وثقله السياسي، لأن هذه الخدمات يسرتها بلادنا للجميع، كما أن الجميع يلبسون الإحرام والجميع في هذا سواسية، وخيرهم من قرب إلى الله بالتقوى. ذلكم أمان أي أمان عندما يتعدى الأمان من الخوف إلى الأمان الغذائي والأمن الاجتماعي والأمن في عبادة الله. وعزت أمة ترفرف عليها راية الأمان.

المتطوعون في الحج

واستقبل موسم هذا الحج الفكرة الجديدة وهي وجود مجموعات غير قليلة من المتطوعين لخدمة حجاج بيت الله الحرام. لقد تعودنا في مواسم الحج الماضية أن نرى رجال الأمن ورجال المرور ورجال الحرس الوطني وشباب الجوالة والكشافة يخدمون حجاج بيت الله. وكنت ترى الشاب الكشاف وهو يقود حاجاً كبير السن إلى حيث يسكن هذا الحاج، وترى الحاج وقد (تشبث) بيد الكشاف لسانه يلهج له بالدعاء ولمن أعان على وجوده هنا يهديه إلى حيث يريد. وترى في هذا الموسم تكثيف الخدمات حينما يقبل المسؤولون عن الحج بفكرة وجود متطوعين تراهم في المشاعر فتعرفهم من خلال ما يرتدون، يتفانون في تقديم ما يحتاجه الحاج من راحة، ويتنافسون في هذا وهم لا يرجون من وراء ذلك كله إلا الثواب من الله تعالى.. ويقبل المسؤولون عن الحج في بلادنا لهذه

الفكرة الخيرة فلا يحرمون الباحثين عن الأجر والثواب هذه الفرصة ولكنهم لا يدعون هذه الفكرة دون أن تخضع للضوابط التي تخدم المصلحة العامة لحجاج بيت الله الحرام.

الموسم المتجدد

إن موسم الحج أيها القارئ الكريم، أيتها القارئة الكريمة، موسم متجدد. ومن حيث الخدمات فإنه في كل موسم ترى التحسين في الخدمات. ولم تتوقف المشروعات أن تتوقف بإذن الله. . انظروا إن شئتم إلى الأسلوب المتجدد في الاستفادة من الهدى وقارنوه إن شئتم بالأساليب الماضية التي لا تزيد عن عشر سنين. اليوم يستفيد من الهدى فقراء المسلمين في كل مكان من بلاد المسلمين. ويستفيدون منها على مدار العام بفضل من الله ثم بفضل من استخدام التقنية الحديثة وتطويعها لهذا الغرض. ولا بد من التذكير بأن هذا الأسلوب ليس مجال تجارة أو ربح، وإنما هو خدمة تقدمه هذه البلاد إلى العباد المسلمين في كل مكان.

وانظروا إن شئتم إلى مشاريع التوسعة للحرمين الشريفين وما سوف توفره للحجاج من مقدرة على أن يصلي ويطوف ويسعى بكل راحة وطمأنينة. وانظروا إن شئتم إلى نظام الطوافه والمطوفين كيف ترعاه الدولة وتشرف عليه وتسئله الأنظمة التي تكفل راحة الحاج. وانظروا إن شئتم إلى عرفة الأمس وعرفة اليوم وعرفة الغد، وكذا منى ومزدلفة الأمس واليوم والغد. . ومع هذا كله تجدون ردود المسؤولين على من يشيد بهذه المشروعات والإنجازات بأنهم لم يؤدوا أكثر من الواجب عليهم خدمة للحرمين الشريفين وقاصديهما من حجاج بيت الله الحرام، وتلكم نعمة من نعم الله تحتاج من الجميع إلى الشكر لتزيد.

عود على المجمعات

الذي لفت نظري في هذه المجمعات أن بعض البلديات في القرى والمدن التي يمر بها طريق الحاج سواء المتوجه منهم إلى المدينة المنورة أولاً أو المتجه إلى مكة المكرمة هذه البلديات بدأت تنصب الخيام وتضع اللافتات الترحيبية بحجاج بيت الله فقلت في نفسي: هل سيكون هذا النهج مجالاً للتنافس بين البلديات في سبيل خدمة الحجاج، فتجد الطاقات الموجودة في كل مدينة أو قرية، ويتطوع الشباب في الخدمة وتقوم الجمعيات الخيرية بتقديم خدماتها للحجاج؟ هذا ما لمستته كنهج إسلامي مخلص في بلادنا. وهي نظرة شاملة لدى الجميع من مواطني هذه البلاد على تقديم كل ما يحتاجه الحاج من خدمة وتسهيلات توصله إلى المشاعر وتعيده إلى بلاده وقد حمل معه انطباعة طيبة عن إخوته في بلاد الخير والهناء والاستقرار، في بلاد أخذت على عاتقها حماية وخدمة مصالح المسلمين في كل مكان. وأخذت على نفسها العهد بأن تحمي وتخدم بيوت الله. فكان الله في عون هؤلاء، وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة

حملات الحجاج..!

الحج مثل غيره من العبادات علاقة قوية مع الله تعالى متجددة، فالذين حجوا عشرات السنين يجدون في كل حجة نوعاً جديداً من العلاقة مع الله تعالى. لا يستطيع الحاج أن يقول إن حجه عاماً مضى كان يشبه تماماً حجه عاماً سبقه أو عاماً لحقه، فكل حجة لها طعمها الخاص. ومثل ذلك صيام شهر رمضان المبارك والصلوات الخمس، إذ ليست صلاة المغرب مثلاً يوم السبت مثل صلاة المغرب يوم الأحد أو يوم الجمعة، هي علاقة متجددة بعيدة عن الرتابة والاعتیاد.

يبدو أنه كلما أحس المرء بتجدد العلاقة كان أقرب إلى الله تعالى من ذلك الشخص الذي تبدو له الأمور سواء في حجه وصومه وصلاته وزكاته وأمور عبادته ومعاملاته مع الله تعالى ومع الناس.

ورحلة الحج والمناسك هي كذلك متجددة. وكل عام يمر يختلف عن العام الذي سبقه، وهذا فضل من الله تعالى أن هياً لهذه البلاد من القادة والرجال من جعلوا جل همهم أن يقدموا للحجاج كل وسيلة تعين على أداء أفضل لهذا النسك الطيب.

ولا يقتصر هذا على المناسك نفسها، ولكنه يشمل رحلة الحج من المنطلق إلى الوصول إلى المشاعر، فالرحلة نفسها تمر بتطورات جميلة يستفاد فيها من عقبات الماضي في دراسات تقويمية مستمرة.

وفي مجتمعنا اليوم ومع نهاية شهر رمضان المبارك نبدأ نلاحظ الإعلان عن حملات الحج. وهذه ظاهرة مستجدة عندنا، وإن كانت موجودة من قبل في مجتمعات إسلامية أخرى، إلا أننا كنا ولا يزال بعضنا يركب سيارته مع أهله أو صحبه ويتوجه إلى بيت الله الحرام حاجاً وقد ضمن الزاد والراحلة. فيلقى شيئاً من عنت السفر وتعب تحديد المكان ونصب الخيمة وغيرها من المتطلبات التي كانت مثار متعة وتسلية للنفس لما فيها من احتساب الأجر عند الله مع زيادة المشقة.

والحملات اليوم تأخذ الحاج من بيته وتعيده إلى بيته، ولو سمح الشرع لبعضها لحجت عنه وهو في بيته لما لديها من الخدمات والتسهيلات والمتابعة الدقيقة ليس في الجوانب المادية فحسب، ولكن أيضاً من توخيها أفضل السبل لأداء حج مبرور يكون جزاءه الجنة، فيكون في الحملة رجال مخلصون وفيهم العالمون بالنسك المتفقهون في آراء العلماء في كل حركة من حركات الحج، وتكون الرحلة ماثرة سواء كانت عن طريق البر أو عن طريق الجو عندما يستغل وقت الرحلة بالمفيد وتتجنب الممارسات التي قد تدخل في الرفث أو الفسوق أو الجدل، إذ لا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج.

وأظن أن مستقبل رحلات الحج سوف يركز على هذه الحملات وسوف تتضاءل الرحلات «الشخصية» مما يستدعي من المسؤولين مزيداً من الضبط وأخذ الاحتياطات تجنباً لاستغلال هذه الفكرة الطيبة من بعض ضعاف النفوس ضعاف الإيمان أولئك الذين يسعون إلى الكسب المادي البحت.

هنيئاً لحجاج بيت الله الحرام يتجدد عهدهم مع الله تعالى وبخوضهم تجربة جديدة، وإن كانوا قد خاضوها من قبل فليس حج الأمس كحج اليوم، مما يستدعي حمد الله تعالى والثناء عليه على هذا التيسير المتواصل. وكان الله في عون الجميع.

البلاد، العدد ١٠٢٠٤

الإثنين ٧ ذو الحجة ١٤١٢ هـ الموافق ١٩٩٢ م

ثالثاً:

السعوديون ومكافحة المخدرات

المتحدثون عن المخدرات..!

أولاً: مسلمات

لا بد من التسليم هنا بمجموعة من النقاط في مجال المخدرات على النحو التالي :-

- ١ - المخدرات ضرر على المجتمعات بشتي أنواعها بغض النظر عن اتجاهاتها ومشاريها.
- ٢ - أن المصلحين والمواطنين الصالحين يحاربون المخدرات بقدر ما أوتوا من قدرة.
- ٣ - أن الحديث على المخدرات يحتاج إلى حصيلة علمية واجتماعية ونفسية - ولو - محدودة.
- ٤ - أن لكل مقام مقالاً، فالحديث على المخدرات للبالغين يختلف أسلوباً وعرضاً عن الحديث عليه لطلبة المستويات الابتدائية والمتوسطة بنين وبنات، ولكل بضاعته وإن كانت المواد الأولية واحدة.
- ٥ - أن من أخطر ما يقال وما يكتب أن يكون فيه تعميم، فتطلق الأحكام جزافاً بينما المقصود هم الفئة التي تحتاج إلى توجيه.

- ٦ - أن المخدرات اليوم مشكلة عالمية فيها مستفيدون ويقف وراءها منظمات تستفيد مادياً، وتستفيد في تنفيذ أهداف بعيدة المدى.
- ٧ - أن مواجهة المخدرات تحتاج إلى مجموعة من الاستراتيجيات تنطلق من الإدارة العاملة لمكافحة المخدرات، وتعاضدها في هذه المساجد والمراكز والمدارس والجامعات والنوادي والبيوت. وتتعدى الاستراتيجية هذه النظرة المحلية إلى التخطيط الإقليمي.
- ٨ - أن من يقع في حبال المخدرات يحتاج إلى عزل تام عن المجتمع حتى لو كان هذا المجتمع خاصاً بالسجون، فلا يخلط المتعاطون والمدمنون والمروجون مع بعض، ولا يخلطون مع المحكومين في قضايا غير المخدرات.
- ٩ - أن كل مجتمع يكتنف عناصر شريرة، وأن الشيطان يغذي جانب الشر في الإنسان، ويهمه أن يكون له حلفاء يؤدون المهمات. ولكن هذه العناصر تختلف من مجتمع لآخر. وأن هذه العناصر واضحة في مجتمعات وغير واضحة في مجتمعات أخرى. وإن كان جانب الشر في بعض المجتمعات محدوداً طبقاً لتطبيق هذه المجتمعات للإدارة الإلهية في الإنسان والحياة مثل مجتمعنا السعودي المسلم.
- ١٠ - أنه ليس كل من تأهل في فرع من فروع المعرفة المتعلقة بالإنسان والمجتمع بقادر على نقل ما تعلمه للآخرين مشافهة أو كتابة، فالبعض يستطيع أن يكتب ويخاطب ويتخاطب، والبعض لا يجيد الكتابة، وبعض ثالث لا يجيد لغة ومقومات الخطابة.
- ١١ - أن الحديث على المخدرات يحتاج إلى الحذر الشديد جداً عند التطرق لنتائج المتعاطي وما تتركه من أثر لدى المتعاطي، ولا بد من التفريق هنا بين أن يتوهم الإنسان شيئاً بفعل مخدر وبين أن يحس به حقيقة وطبيعة دون الاستعانة يعامل خارجي.

١٢ - أن الحديث على المخدرات يحتاج إلى عوامل أنتمائية لهذا المجتمع، بحيث لا يقاس بغيره من المجتمعات الأجنبية عنا شرقاً وغرباً، تلكم المجتمعات التي تقبلت اليوم كثيراً من التصرفات التي لا نراها مقبولة سواء في مجال العلاقات الاجتماعية أو في مجالات الترفيه والتسلية وأنماطهما. ننطلق من هذا من مفهوم الحلال والحرام والإباحة وما بينهما من الاستجابة والكرهية.

١٣ - أن حكم الإسلام في المخدرات لا يحتاج إلى نقاش، وأن الذين لا يزالون يناقشون حرمة المخدرات لا يخدمون المجتمع المسلم، بل لا يخدمون المجتمع العالمي، لما سترتب على مثل هذا النقاش من نظرة للمخدرات من زاوية الطروحات والتنظير عند الحديث عليها.

١٤ - أن حكم المملكة العربية السعودية بالإعدام لمروجي المخدرات صادر عن فتوى نابعة من الكتاب والسنة، وليست قانوناً قابلاً للتعديل أو النقض أو التقيح، وعليه لا يحق للآخرين - من منظمات دولية أو جماعات أو جمعيات - أن تنتقد هذا القرار، وهي في مجتمعاتها تعاني من المشكلة وترفض اقتلاعها من جذورها.

١٥ - أن الحكم الإسلامي في المخدرات لا بد أن يحترم على أنه حكم تعبدي، في تنفيذه تقرب إلى الله تعالى وفيه إنقاذ للمجتمع من الجنون والهلوسة والمشكلات الكثيرة التي تترتب على الإدمان والتعاطي.

١٦ - أن الإدارة العامة لمكافحة المخدرات ترحب ترحيباً صادقاً بكل شكل من أشكال التعاون في سبيل الحد من المشكلة، ومن ثم القضاء عليها - بإذن الله - ويعنيها مثل هذا التعاون.

ثانياً: الحديث على المخدرات:

وأود هنا أن أتوقف عند النقطة الرابعة التي تدور حول الحديث على

المخدرات من منطلق لكل مقام مقال. وأجدني مشدوداً إلى رسالة وصلت من امرأة غيورة، غيورة على دينها، غيورة على مجتمعها، غيورة على بنات جنسها لقد حضرت محاضرة ألقتهأ أخصائية نفسية في أحد المستشفيات على جمع من طالبات المرحلتين المتوسطة والثانوية في إحدى المدارس. وليس المجال هنا ذكر الأشخاص والأماكن فليس المقصود هنا التجريح، وإنما القصد بالعبارة من هذا كله.

وتؤكد المرأة الغيور هنا أن الطالبات خرجن وهن مشوشات لكثرة التنظير والفرضيات حول المخدرات، حيث قد «وفقت» الأخصائية في العرض، ولكنها لم توفق في ربط العرض بالتوعية الجادة والتحذير الصارم، وكأنها هنا تتحدث مع مجموعة من الناضجات أو المتخصصات. وهنا مكنم الخطر عندما يخلو الحديث في هذا الموضوع فلا يربط بالمجتمع ولا يؤكد المتحدثون على القصد من الحديث ولا يجعلون من النصوص مجالاً لتقوية ما يريدون من وراء الحديث.

إن الأمر لا يقتصر على العلم بالشيء فقط، فالعلم بشيء يمثل جانباً، والمقدرة على عرضه تمثل جانباً آخر. وتركز الأخت الغيور على التشكيك في الأسلوب الذي عرضت فيه الفكرة. ولعل من ذلكم تكرار ما تؤدي إليه المخدرات على أنها حقائق، بينما النتيجة لا تخرج عن كونها وهما يتوهمه المتعاطي، بدليل زوال هذا الشعور بزوال المخدر. وهذه ناحية لا بد من التركيز عليها. ولا بد من التأكيد على أن تلكم النتيجة وهم. وربطها بالوهم يغير تماماً من نظرة الناس إليها.

العرض أيها الإخوة فيه خطورة إن لم يكن مدروساً من قبل. معرفة مستوى المخاطبين لا بد أن تعرف من قبل. اللغة المناسبة للمخاطبة لا بد أن تعرف من قبل، وهكذا مجموعة من المقومات لا بد أن تتوفر في المتحدث في موضوع ما. فإن أحس أنه يفقد واحداً منها مهماً، فالأولى

له أن يعتذر فيعفي نفسه من الإحراج ويعفي الآخرين من أن يخرجوا بانطباعاً سلبية تصل أحياناً إلى الطعن في فكر المرء وتوجهه، وليست المسألة هنا محصورة على الاختلاف في وجهات النظر، وإلا لما استحق الموضوع مثل هذا التنبيه.

فإذا كانت هذه الجوانب من مسؤولية المتحدث فإن مسؤولية المنظمين لمثل هذه الأحاديث والمحاضرات لا تقل عن مسؤولية المتحدث. فعلى هؤلاء مسؤولية الاختيار أولاً، ثم عليهم توجيه المتحدث إلى المطلوب والأسلوب الذي يعرض به المطلوب، فيعطى المتحدث خلفية عن المتلقين من حيث العمر والمستوى الفكري والثقافي والتعليمي والإدراكي والاستيعابي، بعد أن تحدد الأهداف واضحة من الحديث ويركز على الغاية. هذا في كل مجال من مجالات الحديث وفي مجال الحديث في المخدرات بخاصة، لما لهذا الموضوع من حساسية عندما يطرق بين الفتيان والفتيات لم تتكوّن فكراً بعد، وهي لا تزال قابلة للتأثر السريع والمباشر. ومهما طلب من هذه الفئة الحرص على عدم التأثر السريع إلا بعد إخضاع المعروض للموازنين والمعايير التي يسير عليها المجتمع دينياً ومن ثم اجتماعياً وفكرياً وثقافياً، فإن النتيجة لن تكون كما يتوقع ومن هنا يأتي الحذر الشديد.

ولا بد من التأكيد هنا على التقدير التام للجهود القائمة، ولولا كثافة هذه الجهود الموفقة وأنها تسير في خط سليم لما ظهرت مثل هذه النتائج الإيجابية السريعة، ولولا أن هناك قناعة بخطورة مثل هذه الحالة لما لزم التنبيه لها. وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة - العدد ٥٦٩٣

السبت ١٤ رمضان ١٤٠٨ هـ - ٢٠ أبريل ١٩٨٨ م

مكافحة المخدرات والجريمة...!

كلما مررت على الإدارة العامة لمكافحة المخدرات على طريق صلاح الدين الأيوبي شرق السرياض، أو رأيت صورة اللواء الميهان مدير عام الإدارة أو تذكرت فرسان المنافذ، رجال الجمارك أو قرأت عن طريقة جديدة في صناعة المخدرات تذكرت أننا أمام مشكلة تهدد جميع المجتمعات وأن هذه المشكلة مستمرة وجهود مقاومتها مستمرة.

وكلما تطورت جهود المقاومة والمكافحة تطورت معها جهود التهريب والترويج والتصنيع تقدم في بعض المجتمعات على جهود المكافحة والتصدي، وما هذا إلا جزء من الصراع بين الحق والباطل وبين الخير والشر الذي يفوز فيه دائماً الحق على الباطل والخير على الشر ما قبض الله للحق وللخير رجالاً ونساء يرفعون رايته.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية ثبتت مجموعة من التهم على مأنويل نوريجا حاكم بنما السابق، كل هذه التهم تتعلق بتيسير مرور المخدرات عن طريق بلاده إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وربما يصل الحكم عليه إلى مائة وعشرين سنة سجن.

ومحاكمة حاكم بلاد في أمريكا الوسطى، وما يجري في كولومبيا من صراع عنيف بين السلطة ورجال المخدرات، ومتابعة الذين يحققون

في الموضوع ويكتبون فيه ، ومحاربتهم وتحذيرهم وتهديدهم بوسائل عجيبة لعل أقبحها إرسال لسان مقطوع بالبريد إلى كاتبة صحفية محققة في موضوع المخدرات ، كل هذا وغيره يوحي باستشراء هذا المرض الاجتماعي المخيف .

وفي التلفزيون المصري تقوم الآن حملة ضد المخدرات متخذة من حملة أمريكية سابقة شعاراً لها : قل لا للمخدرات .

وفي المملكة العربية السعودية تستمر الحملة ضد هذا الوباء على جميع المستويات ، ومن ضمنها الحملة الشعبية المتمثلة في القافلة التي جابت البلاد في رحلة توعية وتحذير . وكانت لها آثارها الحسنة ، مما يتوقع معه أن تتكرر مثل هذه الحملة مع الإفادة من التجربة الأولى بالحذف والزيادة ، ومن الزيادة إقامة الندوات والمشاهدة التمثيلية على الهواء الطلق في أوقات الصيف وفيها مشاهدة درامية مؤثرة يتقنها شبابنا ، ومنها تزويد المراكز الصيفية بنصوص مسرحية يطلب منها تنفيذها ، ومنها الاستمرار في الإعلانات والملصقات . . والوسائل متعددة وكثيرة ولكن المهم هنا هو الاستمرار في الوسائل وإخضاعها للتنوع والتشويق .

والمخدرات هم يشترك فيه كل الناس من المسؤول الأول في الدولة إلى الأب لشباب مراهقين ، ومن بنينهم أهل الخير الذين يسعون إلى البناء في المجتمع ويحرصون على سلامته من الآفات من رجال الفكر ورجال العلم الشرعي ورجال الأمن العام ورجال هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجميع رجال المجتمع الصالحين ونسائه الصالحات في المنازل والمدارس والمكاتب والمحلات والجمعيات والمستشفيات وفي كل مكان ، ولا يرغب واحد من هؤلاء أو واحدة أن يروا أنفسهم في موقف المتعاطي ناهيك عن المروج ، وأن يروا عزيزاً لديهم في هذا الموقف ، أو أن يروا شخصاً عادياً يترك أبواب الشر والباطل .

وهذه كانت خاطرة أحيي فيها الرجال الواقفين على هذه الثغرة في الإدارة العاملة لمكافحة المخدرات، وفي منافذ البلاد البرية والجوية والبحرية، وبقية المهتمين وكل من يسهم في القضاء على الشر ويعين الحق في صراعه مع الباطل، وفيها تذكير بأن هؤلاء الرجال على هذه الثغرات بحاجة إلى التعاون من كل إنسان فالدال على الخير كفاعله والدال على مواطن الجريمة كمن يكافحها والمهزوم في هذه الجهود كلها هو الشيطان في الأخير.

مكافحة الجريمة

ومكافحة الجريمة لا تقل شأنًا عن مكافحة المخدرات، إلا أن الواقع أخف هنا، لأن الوضع في الجريمة أوضح من المخدرات، وذلك من خلال الإعلان في الصحف المحلية عن إقامة الحدود الشرعية على من ثبت عليهم الجرائم باختلاف صيغها وأنواعها.

ولدينا مركز مكافحة الجريمة ويغلب عليه الطابع البحثي العلمي لدراسة ظاهرة من ظواهر والتوصية بالوقاية منها، وهذا هو أهم ما في الإنجاز العلمي حول أي موضوع له طبيعة مضرّة في الفرد أو المجتمع، إذ تسعى الدراسات إلى البحث عن سبل الوقاية قبل البحث عن سبل العلاج لشيء حصل ولم يكن يراد له أن يحصل، تماماً كالأعراض المعدية تؤخذ جرعات للوقاية منها قبل الوقوع فيها وعلاجها.

ولعل من مهمات مركز مكافحة الجريمة مكافحة المخدرات لأنها تدخل - عندي - في مفهوم الجريمة، فتعاطي المخدرات جريمة، وترويجها جريمة، وتهريبها جريمة، إلا أن النفس تميل إلى تخصيص مركز لمكافحة المخدرات من خلال البحوث العلمية وإيجاد مركز معلومات حديث ومكتبة غنية، لأن المزيد من الأبحاث حول هذا الوباء مطلوب.

وحول مركز مكافحة الجريمة يتوقع المتابع أن يرى بحوثاً تنشر أو دراسات يعرض لها في الدوريات المتخصصة، مثل مجلة الأمن العلمية المحكمة التي تخطو خطوات طيبة في طريق العلمية، مع العلم أن هناك دراسات يراد الإفادة منها مهنيًا في مجال مكافحة الجريمة ولا تقبل النشر، لأن نشرها قد يخل بالأمن الوطني، وهذا أمر معلوم، إلا أنه لا ينطبق على جميع الدراسات التي يجربها المركز فيما يبدو لي، وعلى أي حال فالموقف هنا موقف إشادة بالجهود واعتراف بالفضل لأهل الفضل من العاملين على أمن هذا البلد الطيب، بلد الأمن والأمان، البلد الذي يصير على ترسيخ قواعد الأمن على جميع المستويات من خلال اقتلاع جذور الجريمة بالمعنى الشامل لمفهوم الجريمة.

ويظل الشيطان مع هذا كله يعمل على استقطاب بعض المعاونين يسخرهم لتدبيراته ويجندهم للإخلال بالبنية الأمنية في المجتمع وعلينا التعايش مع هذا الأمر لأنه أزلني ولن يعدم أي مجتمع من وجود عناصر الشرف فيه، ولم تعد المجتمعات قديمها وحديثها من هذا، إلا أن النسبة تزداد أو تنقص بقدر ما يحكم شرع الله في أرضه وعلى عباده.

ويظل الحق يقوى بقوة أهلة والداعين إليه والمتبينين لسبله ووسائله، فيعطي الحياة معنى، ويقود الإنسان إلى الخير والنجاة، قوّى الله أهل الحق والخير وأعانهم على المضي قدماً في طريق السعادة في الدارين، وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة - العدد ٧١٣٧

الاثنين ١٠ شوال ١٤١٢ هـ - ١٣ ابريل ١٩٩٢

المخدرات... المؤتمر والوقاية!

في إحصائية صدرت عن المعهد الوطني للمخدرات في الولايات المتحدة الأمريكية اتضح أن أكثر (٥, ٢٦٪) من الأمريكيين استخدموا نوعاً أو آخر من أنواع المخدرات. وهذه الإحصائية تشمل اليافعين من السنة ١٢ - ١٧ والناشئين «الشباب» من ١٨ - ٢٥ والبالغين من ٢٦ سنة فأكبر، كما تشمل الإحصائية وأولئك الذين سبق لهم استخدامها، وأولئك الذين لا يزالون يستخدمونها. وقد بلغ عدد الذين تم القبض عليهم في سنة واحدة من تعاطي المخدرات حوالي (٤٣٦, ٨٧٦) أربعمئة وستة وثلاثين ألفاً وثمانمئة وستة وسبعين رجلاً وامرأة، وقد ارتفعت النسبة في السنة التالية، وبلغ عدد المقبوض عليهم بهذه التهمة «٥٦٢٤٠٠» خمسمئة واثنين وستين ألفاً وأربعمئة رجل وامرأة، منهم حوالي «٤٠٠٧٠٠» أربعمئة ألف وسبعمئة من البيض، و«٢٢٢٠٠» وألفان ومائتان من الأجناس الأخرى. والعجيب هنا أن هذا التوزيع يتعارض مع الفكرة السائدة في أمريكا من أن السود والملونين يفوقون البيض في الجريمة عموماً بما في ذلك تعاطي المخدرات. ويمكن أن يشك في مثل هذه الأرقام وتوزيعها، لولا أنها وردت من «٩٧٨٩» مؤسسة وهيئة تخدم «١٨٦٤٨٠٠٠٠٠» مائة وستة وثمانين مليوناً وأربعمئة وثمانين ألفاً، كما

تحدد ذلك من قبل مكتب المخابرات الفيدرالية «إف.بي.آي». وبما أننا مقبلون على نهاية العام الميلادي الحالي ١٩٨٥ م فإن إحصائيات جديدة يتوقع أن تظهر قريباً تغطي هذا العام والعام الذي سبقه، وتصدر عن معاهد ومؤسسات علمية متخصصة ومتابعة لمسيرة المخدرات في العالم عموماً، وفي المجتمعات الغربية بخاصة، ويتوقع أن لعبة الأرقام في الإحصائيات الجديدة ستشهد تغيراً ملحوظاً، إذ إن التقارير اليومية المنشورة في الصحف الغربية - عند متابعتها - لا تبشر ببوادر الحد من تسلط هذه الظاهرة على الناس، بغض النظر عن مواقعهم ومواطنهم ما لم يكن هناك اتفاق عالمي موحد يكون جبهة قوية ضد هذا الوباء الخطير الشامل، وإنما أوردت إحصائيات الولايات المتحدة هنا لكونها متوفرة أثناء تسطير هذه المقالة. وكلنا يتابع حركة المخدرات في مجتمعات عزيزة علينا يكاد الأمر فيها يتفشى لولا أن يتدارك الوضع في الوقت المناسب.

والذين مروا بالتجربة القاسية وخرجوا منها سالمين من هذا الوباء ينادون بأعلى أصواتهم بالقضاء على هذه الظاهرة، فقد ولدت لديهم التعاسة المركبة، إذ إنهم لم يتعسوا وحدهم، بل جروا معهم كل من حولهم، فتأثر بذلك الأهل والولد، وهدمت بيوت على أهلها، وضاع أطفال غير قليلين، وترملت نساء، وثكلت أمهات، وأبيضت عيون من الحزن، ولذا يدعو هؤلاء غيرهم إلى عدم التردّي في هذه الهاوية، حيث يصعب الخروج منها بالبساطة التي تبدو للبعض. فكم من مدمن باع كل ما يملك في سبيل الحصول على ما يشبع رغبة جارفة في لحظة عابرة، وكم عقول ضاعت في مهب «الدخان» المتطاير من تلکم السرطان الخبيث. وليس في ذلك كله متعة إلا أن يفرح بلكم الشيطان!.

وفي الأونة الأخيرة إزاء هذا التغير الواضح في تفشي هذه الظاهرة

تنفق دول العالم على مشروع قدمه الأمين العام للأمم المتحدة حول عقد مؤتمر عالمي لمعالجة هذه القضية ويكون، موعد هذا المؤتمر في العام ١٩٨٧ م، ومقره في فيينا عاصمة النمسا، حيث مقر لجنة المخدرات التابعة للأمم المتحدة، ويسبق ذلك الإعداد لمثل هذا الحدث الهام دولياً من إعداد البحوث والدراسات واقتراح الحلول والوقاية، واقتلاع المخدرات من جذورها في كل مجتمعات الأرض، وعدم الاكتفاء بالتركيز على وسائل العلاج «الترقيعية» التي تكفي بالتسليم بهذه الظاهرة فتحاول اتخاذ أساليب علاجية لها بعد حدوثها، كما جرت العادة في كثير من المجتمعات الغربية التي تفسى فيها هذا الداء.

وقبل سنين ليست بالبعيدة عقد في «المدينة المنورة» مؤتمر لمكافحة المخدرات اشتركت فيه مجموعة من البلاد العربية والإسلامية، وخرجت منه بتوصيات كانت في طابعها العام تقدم تلکم الحلول الوقائية قبل العلاجية، ولعل هذه التوصيات تجد من يتبناها ويقدمها لهذا المؤتمر العالمي الذي سيبحث ولا شك عن الحلول المستمدة من قاعدة عالمية غير محلية، وقد اتصفت توصيات مؤتمر المدينة المنورة بالعالمية، لأنها قامت على قاعدة من كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - اللذين يراد لهما أن يكونا شاملين لكل زمان ومكان.

ومثل هذه التوصيات والحلول لا شك أنها ستعجب الكثيرين إذ إن التشريع الإسلامي لا يزال، وسيظل، مرجعاً من مراجع القوانين العالمية في الأحوال الشخصية والمدنية وغيرهما من صنوف الحياة.

وما طبق هذا التشريع في أمر من الأمور، إلا وكان الأمثل والأشمل، ولا نعلم حتى هذه اللحظة ما إذا كانت المملكة العربية السعودية ستشارك في هذا المؤتمر، والذي نعلمه أن هذه البلاد - بفضل من الله ثم بفضل من تطبيق شرعه تعد من أقل دول العالم تأثراً بهذه

الظاهرة، إلى درجة أن بلادنا «لا تذكر» حينما تعد الإحصائيات حول هذا الموضوع على المستوى العالمي، لعدم وجود المشكلة في أرضها على النحو الذي يعانيه غيرها من دول العالم. وإذا كنا لا نعلم اشتراك المملكة في هذا المؤتمر، وإذا كانت لن تشترك فيه فلعل من المناسب أن «تقترح» على المؤتمرين توصيات مؤتمر المدينة، المنورة على اعتبار أنها هي التي تبنت ذلك المؤتمر ورعته على أرضها. ولعل الأمر يتعدى ذلك إلى أن يكون هناك تمثيل عربي شامل في المؤتمر العالمي المنتظر توضح فيه وجهة النظر العربية الإسلامية حول القضية بكل أبعادها.

ولا يكاد يخلو حديث على المخدرات إلا وترتبط معه المؤامرة الصهيونية العالمية التي تخطط إلى أن تغزو العالم وتسيطر عليه من خلال القضاء التام على عزائم رجاله، وإذا كنا ندرك ذلك تماماً، وإذا كانت بروتوكولات حكماء صهيون أصبحت مكشوفة اليوم، فإنه ليس هناك ما يعذرنا في سبيل التصدي لهذه المؤامرة، إذ لا يكفي أن نكشف لبعضنا أن ما يدور اليوم في عالم المخدرات إنما هو تنفيذ جزئي لتلك البروتوكولات، فهذا الكشف لن يرد عنا سيل المخدرات الجارف، ما لم نعمد إلى بناء السدود القوية المتينة الصلبة، في عالمنا العربي والإسلامي، وهذه يمكن البدء بها حينما نزرع في أذهاننا وأذهان أبنائنا وأحفادنا مخاطر هذه الظاهرة الواضحة، بحيث نكون واضحين مع أنفسنا ومع من نعول. ولعل هذا أسلوب تربوي في القضاء على ظاهرة المخدرات من جذورها، تعينه في ذلك أساليب أمنية وثقافية وقضائية وإعلامية تشرح خطورة هذه الظاهرة في نفوس وأعماق العامة، وقد صرح نائب وزير الداخلية سمو الأمير أحمد بن عبد العزيز في مؤتمر صحفي في إحدى المناسبات الطيبة أن المملكة تقف بالمرصاد أمام هذه الظاهرة. وتوحي هذه العبارة مما توحيه بعزم المسؤولين عموماً، ومسؤولي الأمن بخاصة على التصدي لكل

ما من شأنه أن يحدث الخلل، أو الخدش في مجتمع متلاحم مترابط قريب من الله سبحانه وتعالى. وكما هو المعتاد فإن هذه العبارة تترجم إلى واقع وعمل يلحظه كل من لهم ارتباط مباشر أو غير مباشر بقطاع مكافحة المخدرات، ولا يسع المرء إلا أن يسبغ على قلبه الإحساس بالطمأنينة حينما يرى مجموعة من الرجال تعمل ما في وسعها في سبيل الوقوف أمام سرطان المخدرات. والوقوف أمام مثل هذا السرطان يحتاج حقاً إلى هذه النوعية من الرجال، بعد أن وقع في حبالته الكثيرون من أولئك الذين جعلوه مصدراً للكسب والعيش والتوسع المادي في دول الشرق والغرب.

كما تحولت المسألة إلى «مافيا للمخدرات» تتحكم في تصديره، وتتبع السبل والخدع التي قد لا تخطر أحياناً على بال الآخرين في سبيل تصديره والحصول في المقابل على «ربطات وحزم» من المبالغ النقدية. وليس في هذا تهويل في الأمر، ولكنه الوقع الذي تعاني منه كثير من البلاد. واكتشاف هذه المؤامرات دائماً ينتج عند القبض على أطنان من حمولات المخدرات تقدر أثمانها بملايين الدولارات. . وهذه الأطنان وهذه الملايين قد تكون في حد ذاتها إحدى «اللافتات» التي دعت الأمم المتحدة إلى تبني مؤتمر عالمي للمخدرات تسعى فيه إلى الحصول من الدول الأعضاء المعنية على تعهد صادق في محاربة هذه الظاهرة وتعاون فيه جميعاً في القضاء عليها من قبل المصدرين أولاً بأساليبهم الخاصة في ملاحقة المصدرين، ومن قبل الدول المستوردة في أساليبها الأمنية المتقدمة في عدم استقبال «شحنات» المخدرات ومصادرتها قبل أن تنزل إلى الشارع، وكل ما يتمناه المرء لهذا المؤتمر العالمي أن يدرك أبعاد المؤامرة وينظر إليها من جذورها، وعندها يمكن أن يكتب له التوفيق بإذن الله.

الجزيرة - العدد ٤٨٢٥

السبت ٢ ربيع الثاني ١٤٠٦ هـ الموافق ١٤ ديسمبر ١٩٨٥ م

المُخدرات... وفرسانُ المنافذ!!

آخر أخبار المخدرات اكتشاف نوع جديد يسمونه الآن «النشوة» يعد أكثر خطراً من جميع الأنواع السابقة، بما فيها الهيروين . والحصول عليه ميسور نسبة إلى الحصول على الأنواع الأخرى وستظل الأنواع هذه تكتشف، لأن المسألة كلها تدخل في الصراع المستمر بين الخير والشر، وبين الحق والباطل على طول الأيام والسنين .

وقبل ذلك صادرت مصادر رسمية لبنانية من ملصقات للأطفال دُهنَ صمغها بمخدر يحول الأطفال إلى مدمنين، وتمثل هذه الملصقات في صور وألعاب للأطفال مخدرة تضخها «المافيا العالمية» إلى أسواق العالم الثالث، ومن هذه الصور صور لسوبرمان وصور لفراشات وطيور يلصقها الأطفال على دفاترهم أو حقائبهم أو مناظدهم وتأتي بألوان مشعة وبراقة، وتحتاج إلى أن يبليها الطفل بلعابه / كالعادة/ لإصاقها.

وقبل ذلك بكثير ذكر أن السلطات اليهودية في فلسطين المحتلة وزعت حلوى بين المخيمات وعلى الشواطئ التي يرتادها الفلسطينيون - بخاصة - فيها مخدر قصداً إلى استمرار المحاولات في قطع دابر الفلسطينيين في الأراضي المحتلة وخارج الأراضي المحتلة .

وليس الفلسطينيون وحدهم مستهدفين في هذا، وليس دول العالم

الثالث وحدها مستهدفة في هذا، بل العالم كله عرضة لهذا الوباء القاتل للمجتمع وليس للأفراد فحسب، فكم من بيوت انهارت، وكم من أسر تصدعت وكم من أعراض بيعت، وكم... وكم... وكم...

وحيث إن هذا كله يدخل في الصراع بين الخير والشر وبين الحق والباطل فإننا مؤمنون أن الخير هو المنتصر وأن الحق هو الظاهر، لأن الله تعالى يريد بعباده الخير ويحثهم على توسم الحق في جميع تصرفاتهم، ولذا نجد أن الله تعالى يهيبء رجال الخير والمصيرين على الحق يكشفون هذه الأباطيل ويكشفونها للناس محذرين منها أولاً، وعاملين على حماية المجتمع منها بالوسائل المادية والمعنوية ثانياً. وقد تقدمت وسائل الكشف عن المخدرات مع تقدم وسائل تهريب المخدرات في سباق مستمر بين الخير والشر، يسبق فيه الخير دائماً.

وفي مطلع شهر رجب ١٤١٢ هـ كشف تقرير عن مصلحة الجمارك في المملكة العربية السعودية عن مجموعة محاولات تم ضبطها وهي تحاول تهريب المخدرات إلى الأرض الطيبة المباركة. وقبل الدخول في إعادة ذكر الأرقام لا بد من وقفة مع أولئك الرجال الذين يقفون وراء هذه الأرقام والحالات. فقد هياً الله تعالى أن يقف على منافذ البلاد فتية - على العموم - نابهن يلهمهم الله تعالى كشف الشر حين قدومه، ويروون في هذه المنافذ الواحد والعشرين روايات عجيبة حول كشفهم للممنوعات كلها بما فيها المخدرات، وقد تعمل الروايات أحياناً إلى حد الإلهام من الله تعالى حينما يرى الفتى الرجل رؤيا في المنام يكشفها واقعاً في اليوم التالي، أو حينما ينظر إلى شخص من الأشخاص فتكفي النظرات في كشف ما لديه من ممنوعات، وحالات ذاتية كثيرة عدا الحالات التي جاءت بها التقنية الحديثة وأعانت على الكشف.

وخالة واحدة فقط تكشف مدى القدرة الذاتية بعيداً عن التقنية التي

ألهم بها الفتية الرجال على منافذ البلاد البرية والبحرية والجوية. ويذكر أن أحد الفتية الرجال قد كشف مخدرات مهربة في جوف طفل رضيع ميت ومحنت لفترة معداً إلى هذه اللحظة فقط حينما تنفذ به المرأة التي يراد منها أن تكون أما لرضيع حي، بينما هو أداة أو وسيلة لتهرب المخدر!! فيلاحظ الفتى الرجل انعدام الحركة لدى الطفل، وعوامل أخرى كاضطراب الأم المزعومة مثلاً أو غيرها من العوامل الأخرى، فيتابع الطفل فترة من الزمن حتى يتأكد من حدسه، فيطلب الطفل من المرأة فتنهار المرأة، ويوجد أنه طفل ميت حشي جوفه بالمخدرات!! وهذه حالة من حالات تستهدف في ظاهرها الكسب المالي الرخيص، وتستهدف في باطنها مجتمعاً بأكمله.

هذه الفئة من الرجال العاملين على المنافذ تستحق منا نحن جميعاً كل تقدير وإشادة بما يقومون به، وعليهم بعد الله تعالى الاعتماد في الاستمرار في استخدام خبراتهم وقدراتهم الذاتية التي يعين عليها - دون شك - إخلاصهم لمجتمعهم وأمتهم بعامة، وأعددهم أصلح المواطنين الصالحين الذين يحرص عليهم بالحوافر والتشجيع المادي من خلال المكافآت والفرص الوظيفية والدورات العلمية، والمعنوية من خلال إشعارهم دائماً بأهميتهم، وأنهم يقفون على ثغور يمكن أن تؤتى الأمة كلها من خلالها إذا ما شعر واحد منهم يوماً بالهوان، فلا تهنوا أيها الرجال.

ونعود إلى الأرقام التي نشرها التقرير من السنين الثلاث التي تم حصر الحالات فيها ١٤٠٩ - ١٤١١ هـ/ ١٩٨٨ - ١٩٩٠ م. فقد أحبط الرجال أكثر من ٥٧ كيلو غرام من الحشيش ومشتقاته، وأكثر من ٦١ كيلو غرام من الهيروين، وأكثر من ٥٨٤ كيلو غرام من الأفيون، وأكثر من ٢٠٠٠ كيلو غرام من القات، وأكثر من مليون وستمئة ألف حبة

(١٦٠٠,٠٠٠) من الحبوب المخدرة الممنوعة، وأكثر من ألفي زجاجة (٢٠٠٠) خمور، وخمسمائة وخمسة وعشرين (٥٢٥) لتراً من الخمر، وثمانمائة وخمسين (٨٥٠) من حلاوة الويسكي!! وهذه جديدة علي إذ أذكر أن الناس في الغرب يخلطون النبيذ مع الحلاوة، أما الويسكي فهذا جديد، وينبغي على أي حال توقع أي شيء اليوم، فقد خلطوا كما ذكرت المخدرات مع الحلاوة.

وأقل هنا بعض البيانات للمقارنة بين السنين وبخاصة السنتين الأخيرتين من التقرير، حيث ضبط حوالي ٢١٦٦ راكباً عن طريق الجمارك الجوية، وحوالي ٢٠٩٥ راكباً في المنافذ البرية، وحوالي ٧٢ راكباً في المداخل البحرية وكان عدد المضبوطين من الذكور ٢٩٣٢ راكباً، ومن الإناث ٣٧٥ راكبة بينما قيدت ١١٢٧ حالة ضد مجهول يتكونها ويهربون عندما، يشعرون بأنهم مكشوفون لا محالة. وللمزيد من البيانات يمكن العودة إلى التقرير الصادر عن الجمارك، وأعلنته الصحف يوم ١٤١٢/٧/٦ هـ.

ونقف وراء هؤلاء الرجال ندعمهم من الداخل حينما تستمر الحملة ضد المخدرات ترويجاً وتعاطياً في خطب الجمعة وفي محاضرات العلماء وطلبة العلم والمتخصصين في أمور الصحة والاجتماع والنفس، وفي المعاهد العليا في مجال الأبحاث في الجامعات والمؤسسات العلمية البحثية، وفي الحملات بين الشباب في أماكن وجودهم وفي وسائل الإعلام بأنواعها، فالحملة على المجتمع السعودي بخاصة والعالمي بعامة مستمرة وتستدعي التصدي لها بحملة وقائية في البداية التي ستقلل من الحملات العلاجية دون ريب، ولعل الأمر يصل إلى حملات تحطيم أوكار زراعة المخدرات وصناعتها وأماكن تصديرها، وإن لم يتم التحطيم فليكن مرحلياً على الأقل من خلال إكساد البضاعة وإصدار البدائل لها

ببضاعات تنفع المجتمع وتنفع أولئك الذين رأوا في تجارة المخدرات طريقاً مختصراً إلى الشراء.

والحق أنه ليس طريقاً مختصراً إلى الشراء، إذ إن الشر يأكل بعضه بعضاً كما تأكل النار الهشيم، فالحروب بين المروجين أنفسهم طاحنة، والمؤامرات على بعضهم البعض مستمرة والاختيالات بينهم أصبحت علامة من علامات السيطرة على السوق، ولذلك يسمونهم اليوم بمافيا المخدرات العالمية.

وقد علمنا أن البؤس والشقاء يلاحق الشر وأهله أينما كانوا، فليس هناك شخص يتسلط على غيره بشر إلا ويسلط الله عليه شراً أعظم من شره على غيره، وهذه سنة من سنن الله في عباده، فما أعلم جهة تسعد بترويح المخدرات، ولا نعلم شخصاً مرتاحاً لعمله في صناعة المخدرات، والشيطان يسول للبعض ويملي لهم كيداً، ولكن كيد الله متين، وما يفقدون من معاني الحياة يفوق ما يجنونه منها بكثير، هذا بالإضافة إلى المصير المحتوم بعد الممات إن لم يتدارك الناس أنفسهم فيتوبوا إلى الله ويكفروا عن مناصرتهم للشر وأهله.

وحيث نقدر أن هناك مؤامرة تحيكها أياد خفية، وتوجهها إلى شعوب العالم الثالث فإننا نؤمن بأن من يتقي الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب، كما نؤمن بأن الله تعالى يدبر ويقدر للناس وهو غالب على أمره، فمهما تطاول الباطل فإنه زاهق، وما علينا إلا اتخاذ الأسباب من خلال وسائل الوقاية من الأخطار المحيطة بنا، فنأبى الاستسلام للمؤامرة فنتغلب عليها فتندحر بنا، وكان الله في عون الجميع.

حول المروّجين!! سلكوا لمحاولة الثراء درباً أسود!!

يقول مقدم لقصيدة الوحوش البشرية: مهربي المخدرات ومروجيها للشاعر السعودي عبد الله محمد جبر: «لو كان هناك عقوبة أشد من الإعدام لأستحقها هؤلاء المتاجرون بالمخدرات. تلك الوحوش البشرية التي تحمل الدمار إلى الأوطان والخراب إلى البيوت..».

«الرابطة، العدد ٢٧٤ السنة ٢٦. جمادى الأولى ١٤٠٨ هـ ديسمبر ١٩٨٧ م».

ويذكر الشاعر جبر في قصيدته هذه بيتاً أتوقف عنده يبرر فيه ما يلجأ إليه المروجون والمهربون:

غير أن الأبالس الرقط تهوى أن ترى الكون كومة من حطام
ولعل الشاعر هنا يلمح إلى أن المخدرات في ترويجها لا تخضع
لمعايير شخصية يبحث من ورائها بعض الأشخاص عن الثراء الفاحش
والسريع. لا بد من التأكيد دائماً أن هناك قوى خفية وراء غزو المخدرات
للعالم الذي بدأ يتجه أخيراً إلى تحكيم العقل والعودة إلى الاستقرار
الروحي والاجتماعي بعد فورة من الضياغ في السبعينات والثمانينات
الهجرية / الخمسينات والستينات الميلادية التي شهدت تعبيرات عدة عن
مشكلات اجتماعية في بلدانهم.

والمجتمع العربي من حيث كونه جزءاً من المجتمع العالمي لم يتأثر مباشرة بسمات الضياع في العقدين الماضيين، لأن المجتمع العربي كان، ولا يزال، مشغولاً بالتنمية البشرية التي ركزت، ولا تزال تركز على الإنسان عموماً، والشباب بخاصة ودورهم في بناء المجتمع. وإن كانت هناك بعض الإشارات في بعض البلدان العربية للتأثر فإنما كانت حالات شاذة مستوردة.

ثم لجأت القوى الخفية إلى أسلوب لعين شيطاني من خلال ترويج المخدرات بين أوساط الشباب. ترى هل لليهود دور بارز في انتشار المخدرات والعمل على ترويجها؟ لا يستبعد أحد ذلكم، لأنهم اليوم يعملون جاهدين لإضعاف شباب الأمة في سبيل أن يقر لليهود قرار. لو لاحظنا السيل من الحجارة التي يحارب بها الفلسطينيون داخل أرضهم المغتصبة لوجدناها تنزل على هامات اليهود من قبل أياد شابة، بل ويافعة أيضاً، وعليها فقد تركز في أذهان هؤلاء اليهود بأنه لا بد من القضاء على هؤلاء اليافعين قبل أن يشبوا عن الطوق فيحملوا البندقية والقنبلة ويزعزعوا أمن واستقرار اليهود الصهاينة الذين يتطلعون إليهما من خلال التخلص من عوامل منغصاتهما.

وحيث إن القضية الفلسطينية ليست قضية الفلسطينيين وحدهم فإن ما يمكن أن يطبقه اليهود على شباب فلسطين لا بد من تطبيقه على شباب الأمة كلها. إذ القضاء على شباب فلسطين - لو تم - لن يكفل لليهود الأمن المنتظر، وهم يعلمون ذلك.

أضيفوا إلى ذلكم أن اليهودية هي الأرض الخصبة المثمرة للصهيونية العالمية منذ أن قام هذا التنظيم. وتعليمات الصهيونية تصرح بالقضاء على الأمم كلها دون نظر إلى الاتجاهات والانتماءات العقيدية، ولكن وحيث إن الانتماء إلى الإسلام هو المهدد المباشر للصهيونية ومن

ثم لليهود في فلسطين فلا بد من أن القضاء على هؤلاء المنتمين قضاء حسيماً لن يتم، لأن المنتمين لهذا الدين يفوقون اليوم الألف مليون نسمة في مشارق الأرض ومغاربها، ونسبة من هذا العدد غير قليلة من الشباب. وعليه فلا بد من القضاء على «شبابه»، هؤلاء الشباب من خلال «نزع» عقولهم، مواطن تفكيرهم وانتمائهم، بحيث يصبحون في النهاية مجرد أشباح لا يحركون ساكناً ولا يدعون لفضيلة.

ربما يستغرب البعض مثل هذه الدراسات واستنتاجاتها ويعتب على عطاء اليهود ثقلاً أكثر من ثقلهم الواقعي. ويستبعد أن يكون لهم دور بارز ومستمر في ترويج المخدرات سعياً وراء القضاء على الأمة، ويحتج هؤلاء بأن موجة ترويج المخدرات موجة شاملة لا يكاد مجتمع يخلو منها، بغض النظر عن حجم الترويج واختلافه من مجتمع لآخر، ولشمولية الترويج والتعاطي فإن من الطبيعي أن يكون من المتأثرين به شباب اليهود أنفسهم. هذا ما قدر يتبادر إلى ذهن من يرى أن دور اليهود في هذه الفكرة محدود. والذي يبدو أن دورهم غير محدود للأسباب التالية :-

أولاً: أن ترويج المخدرات يفضي إلى الشراء الفاحش واليهود مشهورون بجمعهم المال بغض النظر عن الأسلوب الذي يجمعون به المال.

ثانياً: أن في ترويج المخدرات تحقيقاً لأهداف اليهود في التطلع إلى العيش بأمن وسلام على أرض فلسطين عن طريق التخريب والإعاقة الفكرية والعقلية.

ثالثاً: أن الانطباع اليهودية عن الأمم الأخرى هي أنهم لا يزيدون على أن يكونوا أمميين أي أقل درجة من اليهود ولن يتحقق هذا في الوقت الراهن إلا من خلال القضاء على أي عائق يحول دون رسوخ هذه

الفكرة، وأول العوائق الفكر البشري القائم على التعقل والتطلع إلى حرية الإنسان.

رابعاً: أن اليهود من خلال معسكراتهم «الكوبوتز» ينشئون أبناءهم تنشئة أشبه ما تكون بالتنشئة العسكرية، ويعملون جاهدين على تجنيبهم كل ما يمكن أن يخل في الدور المنتظر منهم في بناء وطن قومي لليهود في فلسطين على جماجم أبناء فلسطين الأصليين.

خامساً: أن اليهود الذين وقعوا في حبال المخدرات لا يشكلون نسبة كبيرة من اليهود الذين يرون أنفسهم حقاً أنهم «هم» اليهود، فالفلاشا ويهود الشرق عموماً لا يدخلون حقاً في مفهوم «اليهودية» من حيث كونها جنسية لا ديناً يتبع.

سادساً: أن الحرب العالمية الثانية شاهدة على أن اليهود «الصهاينة» ساهموا مساهمة واضحة في القضاء على يهود «الجيتو» في ألمانيا وبولندا وماجاورهما من البلدان التي كان يقطنها بعض من فقراء اليهود. وهذا العامل ليس اعترافاً بالهولوكوست الذي يردده اليهود كلما أرادوا استدرار عطف الآخرين، ولكنه اعتراف بأن هناك يهوداً قد قتلوا في الحرب العالمية الثانية بغض النظر عن العدد، وأن الذي دل عليهم هم اليهود أنفسهم. وأذكر هنا بفلم عرض في إحدى شبكات التلفزيون الأمريكي حول مغنية يهودية كانت تطرب الجنود الألمان الذين كانوا - كما يزعم البعض - مهينين للقضاء على بني جلدتها، في الوقت الذي لم تكن فيه مغلوبة على أمرها. إذا سلمنا بأن اليهود يمكن أن يقضوا على اليهود في سبيل تحقيق أهداف عليا، فعلينا أن نسلم هنا أن اليهود يمكن أن يوقعوا بعضاً منهم في حبال «الوحش القاتل» لذات الأسباب التي يوقعون بها الأمم الأخرى.

سابعاً: لا يشترط للترويج أن يكون عن طريق اليهود مباشرة، ولكن

يكفي اليهود هنا أن يوقعوا غيرهم في شرك الترويج والتعاطي ويلبثون يراقبون عن بعد ويضرمون الناس بالحطب، كلما كادت تخبو زودوها بما يضمن استمرار اشتعالها، والبحث عن التجار الكبار دولياً مصداق لهذا الإدعاء. ونحن هنا نتذكر أن اليهود يرمون بشحنات من المخدرات لتطفو عائمة في البحور يقودها الموج إلى الساحل فيلتقطها ضعاف العقول ويستفيدون منها، ونحن هنا نتذكر «تطعيم» بعض الفواكة بالمخدرات بما يضمن الإدمان ومن ثم الانخراط في تجارة المخدرات ونحن هنا - لا نستبعد - أن يحاولوا خلط المخدرات مع الأدوية التي تصرف للشباب الفلسطيني وللأمهات الحوامل بحيث يولد الجنين «مدمناً». وتخلط بالحليب الذي يرضع منه الطفل في أرض فلسطين ونحن لا نستبعد أبداً واليوم بالذات أشكالاً وأشكالاً من جر الأشخاص إلى الإدمان، فالقصص في هذا كثيرة وحين التقصي تثبت لك الأحداث أن مصدرها واحد وهو اليهود.

كما أنه لهذه الأسباب، ولعوامل أخرى يلجأ إليها اليهود يتحقق أن لليهود دوراً بارزاً في ترويج المخدرات على المستوى العالمي، ودورنا يأتي من إدراكنا لجذور المشكلة متزامناً مع المحاولات الجادة والعملية في مكافحة المخدرات على المستويات المحلية والإقليمية والعالمية، ودور الشباب أن يدرك أنه المستهدف الأول من وراء هذه الحملة القذرة. وما على الشباب إلا أن يتذكر الحوادث التي قضت وتقصي على شباب لهم تطلعات مثل تطلعاتهم وآمال مثل آمالهم، ولكنها تحطمت على صخرة صلبة كان مبعثها الأول التجربة أو المغامرة أو محاولة إبراز الذات، وليس بين الشباب والمخدرات اليوم إلا حماية الله ثم عناية المسؤولين في العالمين العربي والإسلامي، ورعايتهم من الوقوع فريسة للمخطط الصهيوني الحاقد الذي يهدف إلى أن يرى جميع شباب الأمة يبيعون كل ما يملكون في سبيل الحصول على حبة أو ذرة من مخدر.

وكم يرتاح المرء عندما يجلس مع مجموعة من الشباب يكون موضوع جلستهم تحذير بعضهم بعضاً من أحدث الوسائل في ترويج وتعاطي المخدرات. ولا بد من استغلال مثل هذه الجلسات لتبيان مخططات من يقفون وراء هذا السيل العارم من الأساليب الملتوية للقضاء على الشباب، كما أن لبعض المرافق دوراً في زيادة معدلات التوعية أذكر منها:

١ - المسجد عموماً، والمساجد الجوامع بخاصة: من خلال الخطب والمواعظ والتذكير والمحاضرات.

٢ - البيت: فالوالدان والأخوة والأخوات لهم دورهم في هذه الحملة والزوجة لها تأثيرها المباشر على من يكاد يقع في هذا المأزق.

٣ - المدرسة. ونحن ندرك جميعاً دور المدرس والمدرسة ولربما اضطراب بالمدرس أن يشعل سيجارته أمام تلاميذه إذا كان ممن وقعوا في مصيدة التدخين.

٤ - النوادي الرياضية التي بدأت اليوم تكثف من جهودها الثقافية والاجتماعية.

٥ - تجمعات الشباب في المخيمات والمعسكرات وبيوت الشباب.

٦ - الإعلام في صحافته وإذاعته وتلفزته والدور هنا لا يقتصر على التوعية بل يمتد إلى تجنب كل الأجواء التي تعين على ترسيخ فكرة المخدرات فالإيقاع الموسيقي والفنانون الأجانب ونوعيات الحضور كلها مناظر قد تعين على تهيئة الجو ولعل هذا يعطي الإنطباع أن مشكلة المخدرات ذات أبعاد متعددة لا بد من الإحاطة بها في سبيل إحتواء المشكلة سعياً وراء التغلب عليها، وفق الله العاملين على سلامة الأمة وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة - العدد ٥٥٨٨

السبت ٢٧ حمادى الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٦ يناير ١٩٨٨ م

المخدرات.. والتبرع بالدم..

أدرك الكثيرون ممن يرغبون استعباد الشعور وإعاقة نهضتها منذ زمن ليس بالبعيد ما للمخدرات من تأثير على نهضة الأمم ووعيها ونموها، فسعوا إلى إيقاف هذا النمو والوعي من خلال بث أصناف المخدرات بين الأجيال الناشئة لتصرفهم صرفاً ذهنياً وعقلياً عن المساهمة في الخروج من ربقة ما كان يسمى بالاستعمار الذي أريد له أن يدوم بأشكال متعددة إن لم تكن مباشرة، فليس أقل من الاستعمار بأشكاله غير المباشرة كما يتهم الكثيرون اليوم اليابانيين بمحاولتهم استعمار العالم اقتصادياً بعد أن فشلوا في استعماره عسكرياً.

تأتي المخدرات لتعين على سيطرة فئة من الناس على بقية العالم وقد حدث أن سلطت المخدرات على شعب الصين بأكمله فساهمت في وجود فجوة بين العالم من جهة وبين الصينيين الشباب من جهة أخرى، وكان للمخدرات أثر فعّال في تأخر الصين وسيطرة الشيوعية عليه فترة من الزمن بدأت اليوم تزول تدريجاً بعد أن بدأ الشعب الصيني «يصحو» من نشوة المخدرات، فتنازلوا عن الاشتراكية وحاكموها وحاكموا أهلها كخطوة أولى نحو التخلص من الشيوعية ذاتها، والتي أصبحت وشيكة الهلاك رغم ما يقال إنها سوف تمر بمرحلة طويلة المدى قبل أن يدفن

آخر معقل من معاقل الشيوعية في الصين ويواري التراب .

سلط المستعمر المخدرات على الصينيين فكان أن سرت عدوى المخدرات إلى شعب المستعمر ذاته، فأصدر قانونا يقضي بالإعدام على كل من تاجر وتعاطى المخدرات كحل جذري للقضاء على هذه الظاهرة التي أرادوا من ورائها القضاء على أمم أخرى فعادت الكرة عليهم وقضت على شبابهم وشباباتهم بأسلوب لم يسبق له مثيل، خاصة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وتفرغ القوم للتقدم العلمي والتكنولوجي .

وقد شهدت نهاية السبعينات والثمانينات الهجرية / الخمسينات والستينات الميلادية نموذجاً فريداً لضياح الشباب، نظراً لعوامل اجتماعية متعددة صحبتها عوامل أخرى جعلت الشباب في تلك البلدان يلجأون إلى المخدرات التي وجدوا فيها أسلوباً من أساليب النسيان للأوضاع التي كانوا يعيشونها، ثم تحولت الفكرة إلى الإدمان والمفاخرة حتى أصبحت سمة من سمات هذه الفترة خاصة في المجتمعات الغربية التي كانت ولا تزال تشهد في الوقت ذاته تطوراً علمياً تكنولوجياً أوصلها إلى الصعود إلى القمر وتثبيت وسائل الاتصال في مدارات حول الأرض .

* * وليس سراً اليوم أن شخصيات سياسية كبيرة في دول أمريكا اللاتينية ساهمت في نشر المخدرات وتصديرها إلى المجتمع الغربي في أمريكا الشمالية وغرب أوروبا. وليس سراً اليوم كذلك أن حقول المخدرات فاقت في بعض هذه البلاد حقول القمح والذرة والمحصولات الغذائية الأخرى. ولعل منطقة ميامي في ولاية فلوريدا بالولايات المتحدة خير شاهد على تسرب هذه المخدرات، حيث تشهد هذه المنطقة حملات عنيفة من قبل سلاح الحدود وخفر السواحل الأمريكية وشواهد ذلك مجموعات من الطائرات المتروكة بعد أن فر أصحابها بجلودهم وتركوها مليئة بأطنان من المخدرات بأنواعها.

والذي قد يغيب على البعض أن هناك أيادٍ خفية تعمل على ترويج هذه الأنواع من المخدرات ليس لأن لها مردوداً مادياً فحسب، بل لأن ترويجها يخدم الغرض نفسه الذي عمدت إليه البلاد التي استعمرت الصين فترة من الزمن، فالذي لا بد من الاعتراف به حقيقة واقعة أن هذه الأيادي قد أخذت على عاتقها عقيدة تدمير الأمم والقضاء عليها في سبيل السيطرة على العالم وفرض مبادئ معينة عليه يؤمن بها ويتمي إليها. ولعل الذين عاشوا في المحيط الغربي يدركون إدراكاً محسوساً هذا المنطلق من خلال تتبعهم للأحداث ومحاولتهم تحليلها التحليل الدقيق الذي يذهب بحثاً عن المسببات والأهداف التي تسعى إليها بعض المنظمات، وغني عن البيان أن منظمة الصهيونية العالمية تقود هذه الحملة وتسعى إلى توسيعها، وذلك بتيسير الحصول على المخدرات والتشجيع على زراعتها وتصنيعها وبيعها بأسعار زهيدة بحيث تصل إلى يد الفرد بمبلغ طفيف يتحملة بغض النظر عن مقدرته المادية.

وهناك محاولات من بعض الأفراد في مجلس الشيوخ الأمريكي للقيام بحملة ضد هذه الفكرة، خاصة أن المجتمع الأمريكي والأوروبي الغربي يأتیان في المقدمة في نسبة «استهلاك» المخدرات وتعاطيها وتجارتها. والذين يقودون مثل هذه الحملة يحاولون مع الرئيس الأمريكي في فترته الثانية لإقناعه للتدخل في المساعدات التي تمنحها الإدارة الأمريكية لبعض دول أمريكا اللاتينية التي تصدر مثل هذه الأصناف للولايات المتحدة.

* * وفي تقرير لجريدة النيويورك تايمز نشرته يوم الجمعة ٢٥/٥/١٤٠٥ هـ الموافق ١٥/١٩٥٢ م أفاد أن إنتاج المخدرات بأنواعها في عام ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م قد فاق الإنتاج في العام الذي قبله ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م. وجاء هذا التقرير تحليلاً للتقرير السنوي الذي أصدرته وزارة الخارجية

الأمريكية حول إنتاج المخدرات على المستوى العالمي، وقد أصدرته الخارجية الأمريكية في ذات اليوم الذي نشرت النيويورك تايمز تقريراً عنه، ويورد التقرير بعض الإحصائيات الخاصة بكل دولة تنتج المخدرات، وقد وصلت الزيادة في بعض منها إلى الثلث مما كانت عليه في السنة المنصرمة ١٤٠٣ هـ. ولم يورد التقرير إحصائيات إجمالية يمكن الإستعانة بها في هذا الحديث. ويكفي أن نذكر هنا أن زراعة وإنتاج المخدرات يزدادان عاماً بعد عام، وهذا ما حدا بكثير من رجال الدولة في أمريكا وغيرها إلى التنبيه على خطورة الموقف وسوء استخدام هذه المنتجات والاقترار على استخدامها في الاستعمالات الطبية، على اعتبار أن بعضاً من هذه الأنواع يدخل في المستحضرات الطبية، مع التحفظ من قبلنا على هذا الأسلوب في الإستخدام.

والتركيز على جهة معينة تزرع وتنتج المخدرات لا يعني أن هذا الإنتاج محصور فيها، بل إن مناطق في شرق وجنوب شرق آسيا تساهم مساهمة واضحة في ترويج المخدرات والاتجار بها. وفي هذا دلالة على أن المشكلة لا تقتصر على منطقة بذاتها يمكن محاصرتها ومصادرة منتجاته، بل إن الأمر قد اتسع اليوم بحيث تطلب اتفاقاً دولياً على الحد من انتشار هذا الوباء الخطير. والاتفاق الدولي هذا إنما يقوم على توقيع العقوبات الصارمة على مروجي ومدمني المخدرات بشكل علني، يوضح للآخرين من خلاله هذا الجزاء وأنه ينطبق على كل من تتحقق عليه تهمة الترويج أو تعاطي المخدرات. وقد لوحظ أن هناك اتفاقاً مبدئياً على هذا الأسلوب على اعتبار أنه الأسلوب الوحيد الذي يمكن أن يحد من انتشار المخدرات في المجتمعات.

** * ولعل مؤتمر المدينة المنورة الذي دار حول مكافحة المخدرات واشتركت فيه مجموعة من الدول العربية والإسلامية قد أكد

على هذه الفكرة ووافق عليها ودلل على ذلك من الكتاب والسنة، والواقع الذي تعيشه كثيرا من البلاد العربية والإسلامية، فهذه البلاد العربية والإسلامية جزء من المجتمع العالمي من خلال إبراز مساهمة هذه الدول في التغلب على مشكلة ترويج المخدرات.

والحديث على حملات تحد من ترويج المخدرات لا يغفل دور وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة وتلفزيون للمساهمة في هذه الحملة من خلال البرامج والتحقيقات والاستطلاعات والندوات المزودة بالصور الحية لتأثير المخدرات على الأفراد والجماعات، ولن أنسى تحقيقا كتبه إحدى المجلات العربية حول نوعية واحدة من المخدرات، وزودت التحقيق بالصور المخيفة حقاً والتي جعلت كل من قرأ هذا التحقيق يعقد العزم على عدم التفكير في طرق هذا الباب، بل ربما نصب من نفسه جندياً وداعية ضد هذه المخاطرة وترويجها.

وعلى المستوى المحلي نجد أن هناك الإدارة العامة لمكافحة المخدرات منبثقة عن الأمن العام بوزارة الداخلية، وجهودها في هذا المجال لا تنكر بأي حال من الأحوال. فهي مساهمة في هذا المجال بحكم طبيعة عملها لا من حيث ملاحقة هذه الظاهرة فحسب، بل من حيث نشر الوعي بين الناس من خلال وسائل الإعلام المختلفة بما فيها خطب الجمعة والمحاضرات العامة ونحوها وهذا الأسلوب هو بحد ذاته أسلوب إيجابي فعال في سبيل القضاء على هذه الظاهرة، وإذا أضيف إليه أسلوب القبض على من تسول له نفسه تعاطي هذا الخطر ومصادرة ما لديه ومعاقبته تضافرت الجهود، واستطاع هذا المجتمع محق هذه الظاهرة لو وجدت. وقد شدني أحد خطباء المساجد في يوم الجمعة عندما تحدث على هذه الظاهرة وبين ما لها من سلبيات وما لها من خطورة، ثم دعا الجميع إلى مساندة الإدارة العاملة لمكافحة المخدرات من خلال عدم

التستر على متعاطي المخدرات من جهة، ومن خلال إبلاغ الإدارة عن أي إشتباه شبه مؤكد حول من يعتقد أن لهم ضلعاً في ترويجها والإتجار بها. وهذه حملة من حملات التوعية ويمائلها الوصول إلى الشباب خاصة في المدارس وإعطاؤهم فكرة تبعدهم عن هذه الظاهرة بأسلوب مقنع إذ إن بعض أساليب الحملات ربما جرت البعض إلى ما تنهى عنه - عن غير قصد - إذا أسيء فيها أسلوب العرض. حمى الله شبابنا وحمانا جميعاً من أن نكون فريسة لمخدر أو عقار أو مرض أو داء.

السنوات الحرجة في تاريخ المخدرات

يجيء الكتاب السابع من سلسلة كتب مركز أبحاث مكافحة الجريمة بوزارة الداخلية تحت عنوان (السنوات الحرجة في تاريخ المخدرات . . نذر الخطر وعلامات التفاؤل) لمؤلفه الدكتور محمد فتحي عيد حلقة جديدة ومهمة لاستكمال الجهود العلمية حول ظاهرة المخدرات، وقد أصدر المركز عملين قبل هذا في مجال المخدرات يدوران حول المخدرات والعقاقير المخدرة والإدمان، ودراسات شاملة ذات طابع تشخيصي تحليلي للخصائص النفسية والاجتماعية لمتعاطي المخدرات.

وتأتي هذه الإسهامات امتداداً للدعوة إلى التكثيف من الجهود العلمية في دراسة ظاهرة المخدرات، سواء كانت تشكل مشكلة في مجتمع من المجتمعات، أم أنها مجرد ظاهرة عابرة يسعى للتخلص منها إلى جانب التوعية المستمرة على كافة الأصعدة والمستويات.

وتأتي طبعة الكتاب في هذا العام ١٤١٠ هـ متزامنة مع انطلاقة قافلة التوعية ضد أضرار المخدرات التي تصل هذا الأسبوع ٢٢ - ٢٨/٧/١٤١٠ هـ إلى محطتها الأخيرة، أملاً في مزيد من قوافل التوعية، بعد وقفة تقويم وتحليل للنتائج التي أسفرت عنها القافلة خلال شهر من الزمان.

الكتاب:

ويقسم المؤلف الكتاب إلى قسمين يوحى بهما العنوان الفرعي للكتاب، فالقسم الأول يخصص لنذر الخطر، والقسم الثاني خصصه المؤلف لعلامات التفاؤل.

وفي القسم الأول يتطرق إلى ظاهرة المخدرات، وحجم مشكلة المخدرات على مستوى العالم، وحجم مشكلة المخدرات على المستوى العربي، والتهريب، والتكلفة الاقتصادية لمشكلة المخدرات، وظاهرة المخدرات والمشاكل (المشكلات) الأمنية المعاصرة، ونظام العدالة الجنائية وإعدام مجرمي المخدرات.

وفي القسم الثاني يتحدث المؤلف اللواء الدكتور محمد فتحي عيد على الأجهزة الوطنية المعنية بالمخدرات، والأجهزة الدولية المعنية بالمخدرات، والمؤتمر الدولي وإعلانه العالمي، والمخصص الشامل، والإتفاقية الجديدة لمكافحة الاتجار غير المشروع في المخدرات، والاستراتيجية العربية، والقانون العربي النموذجي الموحد للمخدرات، والاتفاقية الجديدة لمكافحة الاتجار غير المشروع في المخدرات، والاتفاقية العربية الموحدة للتعاون القضائي.

ثم يضع المؤلف خاتمة لهذا العمل يلحقها بالوثائق حول إعلان كيتو، والإعلان الصادر عن المؤتمر الدولي، ثم المراجع فبعض من الصور الملونة التي توضح أشكال المخدرات ووسائل تهريبها، هذا وقد جاء هذا العمل العلمي في مائتين وثمانين صفحات.

نذر الخطر

ويذكر المؤلف في مطلع الحديث على نذر الخطر أن (الظاهرة الإجرامية للإتجار غير المشروع في المخدرات والمؤثرات العقلية

وتعاطيها جزء من مكونات ظاهرة الإجرام عموماً وهناك طرق علمية لدراسة الظاهرة الإجرامية، فهي إما أن تتناول الجريمة نفسها، أو تتناول المجرم، والطرق التي تتناول الجريمة هي الدراسة الإحصائية والمسح الاجتماعي، أما الطرق العلمية التي تتناول المجرم فهي تقوم على الفحص البيولوجي والفحص النفسي والملاحظة والاستبانة، والمقابلة ودراسة الحالة ماضياً وحاضراً، وآمال مستقبلية.

حجم المشكلة (١)

أما حجم المشكلة على المستوى العالمي فإن المؤلف يشير إلى أن تقرير الأمم المتحدة لعام ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م قد وصف مشكلة المخدرات على أنها من المفاصد الاجتماعية الهائلة التي تدمر حياة ملايين لا تحصى من البشر، وهذه المفاصد الاجتماعية تؤثر على الكيان الإداري والاقتصادي لبعض دول العالم (النامي). ويرصد المؤلف أنواع المخدرات ذكراً أرقاماً إحصائية هائلة من الأطنان المضبوطة في كل نوع على المستوى السنوي، ولو أخذنا مثلاً واحداً فقط لهذه الأرقام على مستوى العالم لوجدنا أن ما ضبط من الحشيش كان على النحو التالي:

مع ملاحظة الزيادة المطردة.

١٩٤٧ - ١٩٦٦ م ٣٤٢ طناً سنوياً.

١٩٦٧ - ١٩٧٤ م ٢٥٠٠ طن سنوياً.

١٩٧٥ - ١٩٨٦ م ٩٥٠٠ طن سنوياً.

ويدخل في هذه الإحصائية ما ضبط عام ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م، إذ بلغ (١٨٠٠٠) طن من الحشيش، والمؤسف أن مناطق هذه الأطنان من البلاد (النامية) وتدخل معظم البلاد العربية والإسلامية في هذا الاسم.

حجم المشكلة (٢)

أما حول حجم مشكلة المخدرات على المستوى العربي فإن المؤلف يذكر تقرير بعثة الأمم المتحدة لدراسة مشكلة المخدرات في الشرق الأوسط، وكان هذا التقرير إثر زيارة للبعثة سنة ١٣٨٠ هـ - ١٩٥٩ م، ثم يذكر بعض فقرات التقرير، ولكني - هنا - سأقفز مع المؤلف للعقد الهجري الميلادي المنصرم الذي يسميه المؤلف (الفترة الحرجة) حيث أجرى المكتب العربي لشؤون المخدرات دراسة اعتمد فيها على الاحصائية السنوية المتوفرة لدى المكتب الدولي العربي خلال الأعوام ١٤٠٠/١٤٠٦ هـ - ١٩٨٠/١٩٨٦ م، وتشير نتائج دراسة المكتب العربي لشؤون المخدرات إلى أن الحشيش هو المخدر الأكثر شيوعاً، وقد بلغ إجمالي ما ضبط منه خلال سنوات الدراسة السبع ٤٣٨ طناً - بمعدل سنوي قدره ٦٢ طناً - وقد ضبط ما يقرب من ثلث هذه الأطنان في سنة واحدة هي سنة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، إذ بلغ المضبوط فيها ١٣٥ طناً من الحشيش فقط.

ومثل هذه الأرقام - وليس في مقدارها - تذكر لأنواع أخرى من المخدرات، فقد بلغ ما ضبط من المواد المؤثرة على الحالة النفسية على شكل حبوب (٥٥,٥٠٠,٠٠٠) حبة، وحتى تكتب حرفياً لئلا يعتقد أن هناك إضافة في صفر أو صفرين (خمسة وخمسين مليوناً وخمسمائة ألف حبة) بمعدل سنوي مقداره ثمانية ملايين حبة، وكان أكبر عدد قد ضبط في سنة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م. إذ بلغ تسعة عشر مليون حبة!! وفي البحث المزيد من الأرقام المذهلة.

التهريب

وعند الحديث على التهريب يتطرق المؤلف لطرق ووسائل

وأساليب التهريب بدءاً بالجمال والسفن، وغواصات الجيب، ووسائل البريد، والحقيبة الدبلوماسية، واستغلال الجثث بحشوها بالمخدرات - والطرق في زيادة الابتكار صارت حديث المجالس - وأصبحت مهمة المكافح للمخدرات أن يبحث في كل شيء ذي تجويف.

ويتحدث المؤلف على مجموعات المهربين من حيث الجنسية موزعاً على المجموعات كل حسب جنسيته ويتعرض هنا للحديث على الأرقام الهائلة.

تقدير التكلفة

وعند الحديث في أسلوب تقدير التكلفة الاقتصادية لمشكلة المخدرات يشير المؤلف إلى الاهتمام الملحوظ بهذا الجانب - ولا زال الأمر بحاجة إلى مزيد من الأبحاث والدراسات للوصول إلى نتائج قريبة من الواقع - ويتحدث الباحث على النفقات من حيث ثمن شراء المخدرات ونفقات الأجهزة الدولية ونفقات الأجهزة الوطنية ويقسم الأجهزة الوطنية إلى أجهزة تابعة لوزارة الداخلية، وأجهزة تتبع وزارة الصحة، وأخرى تتبع وزارة الشؤون الاجتماعية، ورابعة تابعة لوزارة الإعلام، وأجهزة تابعة لوزارة الدفاع، وسادسة لوزارة المالية، وأخرى لوزارة العدل، وثامنة لوزارة الخارجية، وأجهزة أخرى.

ويشير المؤلف إلى الأموال المعطلة في خلال ممارسة النشاط الآثم في الاتجار بالمخدرات، ويصعب تقويم الإضرار من خلال حصر المدمنين لأنهم لا يظهرون على مسرح الأحداث.

وهناك جانب المكاسب والإيرادات عند تقدير التكلفة الاقتصادية لمشكلة المخدرات، وهذه تنحصر في الاستعمالات العلمية للمخدرات، والغرامات التي تجبى من المحكوم عليهم بجرائم المخدرات، ومصادرة

الأدوات ووسائل النقل المستخدمة في ارتكاب جرائم المخدرات، وما تمت مصادرته من الأموال المتحصلة من الاتجار غير المشروع - وتطرح المكاسب من النفات ليتبين ما تتكبده الدولة من نفقات في ملاحقة المشكلة أو الظاهرة والقضاء عليها - أو محاولة القضاء عليها.

المشكلات الأمنية

أما المشكلات الأمنية المعاصرة لظاهرة المخدرات فيمكن أن تنطلق من إثبات وجود علاقة بين الإتجار غير المشروع بالمخدرات وجرائم الاعتداء على النفس والمال والعرض، وجرائم أخرى صغيرة تثبت وجود علاقة بينها وبين تعاطي المخدرات، إذ هناك علاقة بين المخدرات والاتجار غير المشروع بالأسلحة والمفرقات، وعلاقة بين الإتجار غير المشروع بالمخدرات والفساد، وعلاقة بين المخدرات والعنف، وهذه العلاقة قائمة بين الإتجار غير المشروع بالمخدرات وهذه الجرائم الأخرى، والأقل، أما العلاقة القائمة بين تعاطي المخدرات والجرائم الأخرى الأقل خطراً فيمكن أن ينظر إليها من خلال لجوء المتعاطي إلى السرقة، وقد يصحبها عنف، وقد ضبط شاب ألماني سنة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م ارتكب ستمائة (٦٠٠) حادث سرقة مبكرة، والسرقة قد تكون في المال أو السيارات، والمنازل والمتاجر وبيع (الأجساد) بالنسبة للإناث المدمنات، هذا بالإضافة إلى أخطار تنجم عند تعاطي المخدر وقيادة السيارة أو المركبة، وفي ولاية واحدة أثبتت الإحصائية أن ٧٩٪ من المسجونين قد تناولوا (تعاطوا) مخدرات قبل ارتكابهم الجريمة.

نظام العدالة

وفي نظام العدالة الجنائية وإعدام مجرمي المخدرات يتعرض المؤلف لقرار هيئة كبار العلماء رقم ١٣٨ وتاريخ ٢٠/٦/١٤٠٦ هـ

بالإجماع، الذي تضمن أن مهرب المخدرات يعاقب بالقتل، وأن مروج المخدرات تعزيراً بليغاً وفي مصر أخذت دار الإفتاء بالقتل تعزيراً عقوبة لمهرب المخدرات والمتجر بها.

وفي خاتمة هذا القسم يؤكد الباحث على أن مشكلة المخدرات قد بلغت ذروتها في العقد المنصرم، واتضح الرؤية حول أضرارها، وعقد العزم على التصدي لها من خلال الأحكام والاتفاقيات ووسائل التصدي الأخرى كالتوعية وإبراز الأضرار. ويدعو الباحث إلى التأكيد على عقوبة الإعدام لمهربي ومروجي المخدرات، واتباع هذه العقوبات في جميع المجتمعات وخاصة الإسلامية منها التي ربما كانت مستهدفة من خلال التهريب والترويج.

البقية

وهذه العرض يغطي القسم الأول من الكتاب الذي خصصه الباحث اللواء الدكتور محمد فتحي عيد للحدوث على نذر الخطر. وأجدي مضطراً للتوقف عند هذا أملاً في استعراض القسم الثاني من الكتاب الذي يتحدث على علامات التفاؤل، ويشغل نصف الكتاب تقريباً من ص ٩٥ - ١٨٨، ولا أقول إن هذا العرض يغني عن الرجوع إلى الكتاب، بل لعل قد وفقت إلى محاولة جلب القارئ المهتم بهذا الأمر - وكلنا مهتمون - والمتخصص إلى التزود من معلومات الكتاب الحديثة الحقائق منها والبيانات الإحصائية التي أطلق عليها المؤلف كلمة (هائلة) وهي - حقاً - مذهلة، لا أقول يندى لها الجبين، ولكني أقول يشيب لها الرأس الذي لم يشب بعد، وهي جزء يسير من محاولة لإقناع الأمة الإسلامية جمعاء بالخطر المحقق بها، رغبة في التصدي لهذا الخطر على المستوى الدولي، والوطني الحكومي والأهلي. ولعل القافلة التي تجوب البلاد

اليوم جزء يسير جداً - مع الجهود المشكورة - من حملة التصدي، ولنا وقفة أخرى مع الجهود والاستراتيجيات - بإذن الله - في عرضنا للقسم الثاني من كتاب (السنوات الحرجة في تاريخ المخدرات... نذر الخطر وعلامات التفاؤل) للواء الدكتور محمد فتحي عيد. وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة - العدد ٦٣٥٢

الأحد ٢٣ رجب ١٤١٠ هـ فبراير ١٩٩٠ م

المخدرات.. والوقاية قبل العلاج

اعتاد بعض الناس على التمهّل وطول التبصّر في بعض المشاكل ليس عجزاً أمامها، ولكن في سبيل مواجهتها من خلال مجموعة من الحلول لمعالجة ما خلفته وتخلّفته هذه المشكلة أو تلك. وهنا تكمن المشكلة في حل المشكلات.. إذ يغفل البعض البحث عن جذور هذه المشكلات لاقتلاعها من المجتمع ويشغلون أنفسهم في البحث عن سبل العلاج.

مشكلة المخدرات اليوم في العالم من العمق والصعوبة بحيث إنها أصبحت تهدد مجتمعات غربية وشرقية متكاملة برجالها وأطفالها ونسائها وشبابها. تسربت المشكلة إلى المدارس الابتدائية، أدخلت في الحلوى وفي الزهور وفي أدوات الزينة والتزين. لم يترك المروجون وسيلة خداع لسلطات الأمن إلا اتبعوها. وهم بصدد خداع الكلاب التي تدرّب على كشف المخدر أينما كان. هناك صناعة على مستوى عال تهتم بسبل خداع الآخرين. ليست المشكلة مقتصرة على أفراد من أبناء مجتمع ما انحرفوا عن الطريق. هناك ما يسمى بالجريمة المنظمة التي تتبنى الترويج. في مجتمعات تعيش حروباً طاحنة ضحيتها الأبرياء من الناس في وقت لا يمكن أن تصل شظية طائشة حقلاً من حقول المخدرات. وانظروا إن

شتم المجتمع السياسي في بعض دول جنوب ووسط أمريكا وأماكن أخرى من العالم تجدون أن بعضاً من الرجال ناشطين يقفون وقفات واضحة لحماية حقول المخدرات التي تشغل حيزاً غير يسير من مساحة البلاد. حتى فكرت بعض البلاد التي تضررت من هذه الحقول بإبدال مخدراتها بمحصولات تنفع الناس والأنعام من الحبوب والخضر والفواكه. ولكن ما ينفع الناس قليل المكسب لدى هؤلاء السامسة ممن باعوا مع المخدرات ضمائرهم وسعادتهم، فكانت لهم من المصائب ما لا يستطيعون لها صموداً فانفقوا فيها ما كسبوه من حقول المخدرات، واللّه سبحانه وتعالى يمهل ولا يهمل.

إذا فمشكلة المخدرات في تلك البلدان، أن هناك من يحميها ومن يملك القوة في حمايتها، ومن هنا يجب أن يبدأ التفكير في اقتلاع هذه المشكلة من جذورها. قد يتصور المرء أن هناك أسلوباً سحرياً يمكن أن يعين في القضاء على هذه المشكلة كما تقضي الطائرات «الزراعية» على الجراد من خلال رشها بالمبيدات. وكذا مزارع المخدرات يمكن أن ترش من الطائرات بمحلول يصيرها إلى هشيم تذرره الرياح، ولكن هذا توقع نظري.

ولأن وضع المخدرات على هذه الشاكلة يتعين أن ينظر إلى المشكلة على أنها لن تحل بين يوم وليلة، فالأمر هنا يعود إلى القنوات النظامية في الهيئات الدولية التي يقع على عاتقها حماية المجتمع العالمي من الآفات التي تصيبه ويعاني منها، فالمفترض في اليونسكو أن تقضي على الجهل عند الأمم، والمفترض في اليونيسيف أن تهتم بالطفل والجوانب الصحية فيه والمفترض في الفاو أن تعالج القضايا الزراعية وهكذا، ولا بد من أن تهتم منظمة أو أكثر من هذه المنظمات مسنودة من مجلس الأمن ومن الحكومات الأخرى في سبيل شن حملة عالمية ضد هذا الوباء الشامل.

وبعض الحكومات أصدرت ونفذت العقوبات الصارمة ضد فئة المروجين، وهذه قرارات حكيمة تحمي تلك البلدان من الترويج في الداخل، ولكنها قد لا تستطيع - بحكم الأنظمة الدولية - أن تلاحق المروجين من الخارج، أولئك الذين يمونون المروجين الصغار في مختلف، كما اتجهت المجتمعات التي تريد حماية نفسها من هذا البلاء إلى إنشاء مؤسسات تعنى بالعلاج في وقت يوجد فيه بعض من ابتلوا بالتعاطي والإدمان.

وإذا كانت الإفادة من تجارب الآخرين واردة إلا أن حلولاً وضعت لبعض المجتمعات لا ينتظر منها بالضرورة أن تكون قابلة للتطبيق في جميع المجتمعات نظراً للتفاوت في النظرة إلى الحياة بشكل عام، أولئك يبحثون كثيراً في العلاج على حساب الوقاية، ونحن بحكم الدين لسنا بأية حال وعلينا التركيز على هذا والدعوة إليه، وإن التعاليم عندنا لا تتهاون في الحكم على كل من يهدد أمن واستقرار المجتمع بأي شكل من أنواع التهديد، وأن الموضوع في هذه التعاليم تقويم لا يدع مجالاً للمناظرة أو النقاش حول تطبيق حكم أقل صرامة من حكم آخر، لأن فضائل تطبيق أحكام الله لا حصر لها في اجتثاث الجريمة من المجتمع وذلك سلوك غير سوي.

ثم تأتي بعد ذلك حملات التوعية على جميع المستويات، تبدأ في المسجد فالمدرسة فالبيت فالصحف والمجالات والإذاعة والتلفزيون والمحاضرات والندوات والمنشورات والتحذيرات، وغيرها من الأساليب التي تبين للناس خطر المخدرات، وتؤكد لهم أن بلادهم عازمة من خلال قيادتها على حمايتهم وحماية الأجيال القادمة من الوقوع في هذا الداء، وأن هذا الأمر أصبح اليوم من أوليات اهتمامات الدولة.

وقد يتصور البعض أن الاتفاق الدولي من خلال المنظمات

والهيئات الدولية غير متحقق الآن في عالم الواقع، ولكن هذا التصور يحتاج إلى التعديل، لأن الأمر هنا لا يصطدم بأي ثقافة ترفضه، كما قد يُفرض أسلوب ثقافي على حساب ثقافات أخرى وهو لا يحتاج إلى مزيد من التوضيحات في الأنفس والأموال، فالأموال التي تنفق على المخدرات والضحايا التي تسقط نتيجة الإدمان أكثر بكثير مما ينفق على بعض مستلزمات الحياة اليومية، ولعل ما يزيد الأمر سوءاً في كثير من الدول الصناعية التي ابتليت بتفشي المخدرات أن الضحايا قد تبقى في أجسامها حين تذهب عقولها، فتكون عالة على المجتمع تقام لها المؤسسات والمصحات والبيوت الخاصة. وعليه فلا بد من النظر إلى القضاء على المشكلة على أن فيه توفيراً مالياً وبشرياً للأمم، وستفقد الكثير إن لم تعمد إليه. هذا بالإضافة إلى أن هناك إتفاقاً دولياً على خطر المخدرات على العالم كافة. ولعل لقاء فيينا في العام المنصرم ١٤٠٧، ١٩٨٧ م يعتبر خطوة إيجابية في تحديد سياسة موحدة للقضاء عليه. ولن يقف في طريق هذا المشروع إلا ذوو المصالح الذاتية المؤقتة في تلك الدول التي تشجع زراعة هذا البلاء. وهي لا تتعدى مجرد الطمع في الكسب الحرام حينما يكون هؤلاء أسرى الشيطان يصرفهم كيفما يريد.

وإن المرء ليتطلع إلى اليوم الذي يرى فيه المجتمعات البشرية وقد اجتثت من واقعها داء المخدرات. وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة - العدد ٥٧٨٤

السبت ١٧ ذو الحجة ١٤٠٨ هـ - ٣٠ يوليو ١٩٨٨

القافلة... العزم والجزم والحزم

أكد المدير العام لمكافحة المخدرات بالإنابة أن المملكة العربية السعودية - بفضل من الله - لا تعاني من مشكلة المخدرات، فهي لا تنتج المخدرات، ولا تصنع المخدرات ولا تصدر المخدرات (الخام والمصنعة)، ولا تستورد المخدرات.. وما تقوم به المملكة من حملات توعية وملاحقة إنما هي للقضاء على نماذج لا تشكل ظاهرة بالمجتمع السعودي، ولا يعني هذا انعزال هذا المجتمع عن القرية التكنولوجية التي تحول إليها العالم، فهناك نماذج على قلتها وضآلتها في هذا المجتمع ربما تأثرت بهذه الظاهرة، إما عن طريق الاحتكاك بالآخرين خارج البلاد، وإما نتيجة احتكاك الآخرين من خارج البلاد بالمجتمع عن طريق الاستعانة ببعض العاملين في الأعمال التي تعج بها البلاد، فيستغل بعض من هؤلاء وجوده ويحاول الشراء السريع والمحرم عن طريق الترويج.

وقد انطلقت يوم السبت الماضي الموافق ١٤١٠/٧/١ هـ قافلة التوعية بأضرار المخدرات على النفس وعلى المجتمع تجوب البلاد، وسطها وشرقها وغربها. وهي فكرة فريدة تبناها الأهالي من خلال اللجنة الوطنية لمكافحة المخدرات ورعتها الرئاسة العامة لرعاية الشباب، بالتنسيق والتعاون مع الإدارة العامة لمكافحة المخدرات، ورأينا جزءاً من

الحملة وفيها مجموعة من الشباب يدب فيها الحماس والعزم على أن يصلوا إلى كل منزل وإلى كل شاب وشابة. وهذه فكرة طيبة تنبه الغافل، وتذكر الناسي، وتثير الفضول لدى الجاهل وتؤكد ما لدى العالم... فالمخدرات هم يهدد مجتمعات ويهدد جيلاً كاملاً، ويهدد الأمة.. وكل شاب معرض للوقوع في حبال هذا الطاعون ما لم تتخذ الاحتياطات الوقائية والتي يأتي على رأسها الفتوى التي صدرت عن هيئة كبار العلماء بالإجماع والتي - هذه الفتوى - تقضي بقتل مهرب المخدرات. وإنزال أقصى العقوبة بالمروج الذي يسعى بالفساد بين الناس، وكان من أثر هذه الفتوى:

- ١ - انحسار انتشار المخدرات وتهريبها بمعدل ٤٠٪ بعد صدور القرار.
- ٢ - ارتفاع قيمة المخدرات ارتفاعاً باهظاً - وهذا يوحي بزوال وجودها.
- ٣ - الزيادة في وعي الناس تجاه المخدرات وإدراكهم لمدى خطورتها.
- ٤ - إحجام بعض من تسول لهم أنفسهم التهريب أو الترويج.

ويشير الدكتور إبراهيم بن مبارك الجوير في بحث قدمه في «ندوة آثار الأمر السامي بتوقيع عقوبة الإعدام على مهربي المخدرات» وعنوانه (المخدرات: المشكلة والعلاج) وأصدرته الرئاسة العامة لرعاية الشباب بالتعاون مع اللجنة الوطنية لمكافحة المخدرات والإدارة العامة لمكافحة المخدرات، وصدر في رمضان سنة ١٤٠٨ هـ إلى إجراءات بنائية يقترح مراعاتها للحد من انتشار المخدرات ترويحاً وتهريباً ويدخلها في الأسس التربوية لتكوين شخصية المسلم. ومن هذه الإجراءات باختصار:

١ - الحد من استيراد العمال الأجانب - ويعبر عنه البعض بالعمالة الأجنبية.

٢ - الحد من السياحة السيئة - وقصد بها السياحة خارج البلاد.

- ٣ - وبالمقابل تشجيع السياحة الداخلية في مدن المملكة ومناطقها.
 - ٤ - الدقة في الجمارك.
 - ٥ - زيادة التعاون الفعال مع الدول - الدولة السعودية هنا - في مكافحة المخدرات.
 - ٦ - القضاء على المخدرات في مراكز إنتاجها - وإبدال نشاط من يزرعها في تلك البلدان بما ينفع من المحصول.
 - ٧ - تربية الشعور الإيماني في النشء والشباب والعامه.
 - ٨ - توجيه أنظمة التربية والتعليم والتركيز على الشعور بالانتماء العقيدي والانتماء للأمة.
 - ٩ - توجيه أجهزة الإعلام نحو الإسهام بقيام الأجهزة بأثر بناء وفعال في المجتمع.
 - ١٠ - التوعية بأضرار المخدرات إعلامياً معهوداً وإعلامياً غير معهود كالقافلة مثلاً.
 - ١١ - قيام الأسرة بواجبها.
 - ١٢ - القدوة الحسنة - في الأقران والأساتذة والرؤساء - والمحيط كله.
 - ١٣ - استغلال أوقات الفراغ لدى الشباب.
 - ١٤ - الاهتمام بأثر المسجد التربوي والروحي والاجتماعي.
 - ١٥ - القوة في بناء الشباب عقلياً وجسماً وعاطفياً.
 - ١٦ - التحكيم الصادق والكامل للإسلام والفتوى برهان على ذلك.
 - ١٧ - إقامة المعارض المتنقلة التي تجوب المدن والقرى، والقافلة مثال على ذلك.
- ولم يهمل المؤلف الأسلوب العلاجي لمن تورطوا في المخدر..

والنتائج التي يقوم بها هذا الأسلوب توحى وتبشر بخير بإذنه تعالى .

ويقترح الدكتور أحمد محمد البناني في بحث سماه «المخدرات ومنطلقات الأمر السامي» وطبع كما سالفه أربعة اقتراحات خرج بها من بحث مطول حول المنطلقات الدينية والأمنية والاقتصادية والصحية والاجتماعية وهذه المقترحات تتلخص في التالي :

١ - العمل بالخيارات كلها التي أتت بها الآية الكريمة في قوله تعالى : «إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يُقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم» وذلك بحسب حالة المهرب أو المروج .

٢ - نشر الوعي للتدين الصحيح المبني على العلم والتعقل واحترام المتدينين من الشباب والشابات والرجال والأطفال بحيث يصبحون قادرين على تبوء مكانة القدوة .

٣ - تحديد مكافآت مقطوعة - تحكماً لائحة - أو دائمة للمشاركين في عمليات الكشف عن المروجين والمهريين ، وكل حالة بحسبها .

ويذكر الدكتور موسي بن سليمان الدويش في بحث عنوانه «أثر المخدرات على الضرورات الخمس» نشرته الرئاسة العامة لرعاية الشباب في المناسبة نفسها قوله :

« .. فضرر المسكرات واضح للعيان ، أما المخدرات فإن ضررها أعظم لأنها صنعت خصيصاً لهذا الغرض المدمر .

لذا فإن أفضل علاج هو حسم الشر من بدايته قبل أن يستفحل بأفضل العقوبات الرادعة .

ويجب أيضاً تقوية الوازع الديني في نفوس الناس ، وذلك بالأمر

بالمعروف والنهي عن النكر، واستعمال أفضل الأساليب في توجيه النشء وتربيتهم تربية إسلامية سليمة، فكلما قوي الإيمان في نفوس الناس ابتعدوا عن تلك الخبائث، ويجب ألا ننسى موقف المسلمين من الخمر عندما جاء تحريمها في نهاية الأمر حيث أريقت الخمر الموجودة عند الناس، استجابة لنداء الله».

وفي بحث تحت عنوان «أثر المخدرات على الأمة وسبل الوقاية منها» يقدم الباحث الدكتور أحمد عطية بن علي الغامدي جملة من الاقتراحات في سبيل الوقاية والعلاج من هذه البلوى. ومجمل هذه الاقتراحات كالتالي:

- ١ - دعوة الأسرة إلى النهوض بواجبها في إعداد النشء ورعايته وفقاً لأسس التربية الإسلامية الصحيحة.
- ٢ - العمل على التوسع في تشجيع مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين أفراد المجتمع.
- ٣ - تنقية المجتمع المسلم من كل ألوان الفساد والانحراف ومقاومة جرائمه والقضاء على أسباب الجريمة.
- ٤ - العناية بالجانب السلوكي لدى الطالب عند إعداد مناهج التعليم في جميع مراحلها وفقاً لمبادئ الإسلام الخالدة.
- ٥ - عرض البراهين الإسلامية في التحذير من المسكرات والمخدرات في مناهج التعليم في المراحل المختلفة، وشرح أضرارها التي تهدد العقل والخلق.
- ٦ - وضع خطة شاملة لمعالجة مشكلات الشباب النفسية والاجتماعية والسلوكية في ضوء أحكام الإسلام وتوجيهاته، وتقوم بهذا الجهات المعنية برعاية الشباب.

- ٧ - عدم الفصل بين المسكرات والمخدرات، نظراً للترابط الوثيق بينها فتحاربان بالحزم والقوة نفسها.
- ٨ - التركيز في معالجة المدمنين على العلاج النفسي، وتطوير أساليب هذا العلاج والحد من استعمال العقاقير.
- ٩ - قيام المجتمع بمسؤوليته تجاه أفراده وأمته بعدم التستر على كل من له أثر في نشر المخدرات بالتهريب أو الترويج أو التعاطي.
- ١٠ - التحذير من صحبة الأشرار ورفقاء السوء من المتعاطين والمروجين والمهربين بيان خطرهم وفضح أساليبهم.
- ١١ - إحكام الرقابة على المادة الإعلامية التي تبثها وسائل الإعلام، بحيث تكون بناء تسهم في جلب النفع للمجتمع في المجالات الثقافية والأخلاقية والصحية.
- ١٢ - العناية بأسر من يقعون فريسة للمخدرات والمسكرات ورعايتهم دينياً واجتماعياً ومادياً حماية لهم من الضياع والانحراف.
- ١٣ - إقامة معارض طبية متنقلة في أماكن تجمعات الشباب توضح الغوائل الناشئة عن تعاطي المسكرات والمخدرات.
- ١٤ - التدقيق في شخصية كل من يستقدم للعمل في المملكة، ومحاولة معرفة ماضيه السلوكي والحد من استقدام العاملين من الخارج.
- ١٥ - إجراء فحص طبي دقيق على كل من يتقدم بطلب رخصة قيادة أو جواز سفر أو بطلب الالتحاق بالوظيفة للتأكد من عدم تعاطية لأي مسكر أو مخدر.
- ١٦ - الدعوة إلى تعاون وثيق بين أقطار الأمة الإسلامية كافة من أجل محاربة المخدرات، والبحث عن طريق المؤتمرات عن السبل الكفيلة بتحقيق هذا التعاون.

وبعد، فهذا عرض سريع لأربعة أبحاث تدور حول آثار الأمر السامي بتوقيع عقوبة الإعدام على مهربي المخدرات، وتبقى أربعة أخرى يتم عرضها في وقفة قادمة - إن شاء الله - ثم نخرج بنتيجة عامة حول وجهة هذه الأبحاث، وسنلاحظ أن العزم والجزم والحزم التي انطلقت بها القافلة تتمثل في مجموع هذه الأبحاث. وفق الله العاملين على هذه القافلة من المسؤولين والشباب المهتمين والمخلصين، وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة - العدد ٦٣٣٨

الأحد ٩ رجب ١٤١٠ هـ - ٤ فبراير ١٩٩٠ م

القافلة.. التوعية والعضوية

تأتي القافلة وهي تؤدي أثراً أو آثاراً إيجابية نبيلة من هذا المجموعة، فجانبا التوعية برزت أهميته واضحة خلال العرض لهذه الاسهامات، وتمثلت في القافلة ثلاث مرافق مهمة في هذا الصدد وهي الرئاسة العاملة لرعاية الشباب، والادارة العامة لمكافحة المخدرات، واللجنة الوطنية لمكافحة المخدرات.

بمناسبة جولة القافلة السعودية للتوعية بأضرار المخدرات التي بدأت مسيرتها مع غرة شهر رجب، وقفت السبت الماضي مع أربعة أبحاث قدمت لندوة الأمر السامي بتوقيع عقوبة الإعدام على مهربي المخدرات، التي أقامتها الرئاسة العامة لرعاية الشباب بالتعاون مع اللجنة الوطنية لمكافحة المخدرات، والإدارة العامة لمكافحة المخدرات.

ويطيب لي اليوم أن أعرض لأربعة أبحاث أخرى قدمت في الندوة المذكورة، ثم أحاول أن أخلص إلى النتيجة من الأبحاث الثمانية حول موقف هذا المجتمع - حكومة وشعباً - تجاه آفة المخدرات.

وقد قدم الدكتور خضير بن سعود الخضير بحثاً في الندوة بعنوان «عوامل تحقيق الأمن الاجتماعي»، وتحدث فيه في المنطلقات الإسلامية للأمر السامي، وكذلك المنطلقات الاجتماعية والمنطلقات الاقتصادية على

المستوى الشخصي، والأسري، والعام، والمنطلقات الصحية، والمنطلقات الأمنية. . وقد قام البحث المذكور على دراسة شارك فيها «٢٢٢» فرداً من أعضاء هيئة التدريس والموظفين السعوديين بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن. وخرجت بنتائج جاءت منثورة في الدراسة. والمهم هنا في هذا العرض الوقوف عند مناقشة النتائج حيث أكدت الدراسة على:

- ١ - أهمية التمسك بالعقيدة الإسلامية كمبدأ أساسي لخلاص الأمة من جميع المشكلات.
- ٢ - وأشارت إلى أن غفلة رب الأسرة وانشغاله يعدان سبباً رئيساً في انحراف الأبناء.
- ٣ - ورأت الدراسة أن السفر إلى الخارج يشكل سبباً مباشراً في انتشار ظاهرة المخدرات.
- ٤ - كلما تقدمت السن بالأبناء أصبحت مشكلة ظاهرة المخدرات تشكل قلقاً واضحاً لرب الأسرة.
- ٥ - ضعف الأثر الذي تقوم به وسائل الإعلام المختلفة في مجال التوعية، ولدى هذه الوسائل القدرة على تقديم الكثير في مجال التوعية، لقدرتها على الوصول إلى الأفراد أينما وجدوا.
- ٦ - ترى الدراسة كفاية الأمر السامي، الخاص بقرار العقوبات بحق المهربين والمروجين، في الحد من مشكلة انتشار المخدرات، مع ضرورة مساندة الآباء وأولياء الأمور في مراقبة الأبناء.
- ٧ - وخرجت الدراسة بنتيجة تقرر وتشيد بمناسبة التوقيت للقرار في تخليص الأمة من شرور وأخطار المخدرات.
- ٨ - أكدت الدراسة على أن من أهم أسباب تعاطي المخدرات قرناء السوء.

٤ - وسبب آخر من أسباب تعاطي المخدرات يكمن في تفكك الأسرة، الذي قد يؤدي إلى الحاجة إلى المال، أو يؤدي إلى توفير السيولة لدى الشاب مع توفر الفراغ، وانعدام الرقيب.

وإزاء هذه النتائج خرجت الدراسة بمجموعة من التوصيات، لعل من أهمها باختصار:

- ١ - التكثيف من الندوات المتعلقة بتبيان مضار المخدرات.
- ٢ - تشجيع البحوث في مجال مكافحة المخدرات والإفادة من الدراسات السابقة.
- ٣ - التأكيد على أهمية وسائل الإعلام في التوعية بأضرار المخدرات.
- ٤ - تكثيف المراقبة في المدارس العامة، لئلا يتعرض التلاميذ للإغراءات بالمخدرات.
- ٥ - تزويد تجمعات الشباب من مدارس وأندية وبيوت بالنشرات والأفلام العلمية التي تبين مضار أخطار المخدرات.
- ٦ - إيجاد البديل، بإعداد البرامج المناسبة لشغل أوقات الفراغ لدى الشباب.
- ٧ - التأكيد على أثر الرئاسة العامة لرعاية الشباب والإدارة العامة لمكافحة المخدرات في الاتصال بأولياء الأمور من موظفي الدولة والعاملين في القطاع الأهلي وتزودهم بالنشرات للتوعية.
- ٨ - تزويد منافذ المملكة - ومداخلها - بإشارات ثابتة تحمل ما يتضمنه القرار من عقوبات لمهربي ومروجي المخدرات.
- ٩ - توزيع النشرات الإعلامية من قبل الرئاسة العامة لرعاية الشباب والإدارة العامة لمكافحة المخدرات في تجمعات الشباب مثل الرياضية في الملاعب أثناء إقامة المباريات.

١٠ - الدعوة إلى تعميم مضمون القرار السامي على الدول التي تعاني من تفشي ظاهرة المخدرات، حيث كان أثر القرار انحسار نشاط مهربي ومروجي المخدرات بمعدل ٤٠٪ منذ صدور القرار «تصريح للواء إبراهيم الميمان/ المدير العام لمكافحة المخدرات بالإنبابة في جريدة الجزيرة، عدد ٥٤٣٥ ليوم الخميس ١٠/١/١٤٠٨ هـ».

ويدرس الدكتور محمد إبراهيم زيد الجوانب الاجتماعية والأمنية لمشكلة المخدرات، فيعرض للجوانب المتعددة لمشكلة المخدرات، وي طرح مجموعة من الاسئلة حول حقيقة المشكلة وكونها مشكلة اجتماعية، والعلاقة بين الإدمان والسلوك الإجرامي، وحجم المشكلة على المستويين المحلي والدولي، وإمكان مجابهة مشكلة المخدرات في حالة الإدمان والاستراتيجيات الفعالة لمكافحة المخدرات، والنتائج العلمية المستقرة في ميدان المعاملة والمكافحة، وأثر الطب والتحليل النفسي والعمل الاجتماعي على عمليات العلاج، وإعادة التأهيل ومدى اقتصار معاملة المدمنين على فريق متخصص دون فريق آخر، وأثر الدين في مجال مكافحة تعاطي المخدرات، وأثر التشريع في عملية الرقابة والمكافحة والمعاملة والعلاج. . وغيرها من الاسئلة التي تدل على أن هناك جوانب متعددة لظاهرة المخدرات. ويؤكد الباحث عل النظرة الشمولية لهذه الجوانب عند معالجة هذه الظاهرة، لئلا تبوء المحاولات بالفشل إذا ما ركزت على جانب دون آخر، أو على جوانب دون أخرى.

ثم يعرض المؤلف لعقوبة الإعدام بعد أن يتوسع في الجوانب الاجتماعية لمشكلة المخدرات، والجوانب الأمنية للمشكلة. وفي عرضه لعقوبة الإعدام يحاول الرد على بعض المشككين من ذوي الأهداف المشبوهة، ويلخص الردود في أن المسألة لا تتعدى الانطباعات الشخصية التي يبثها هؤلاء أو الأغراض ذات الخلفيات المغرضة على المستوى

الدولي، والآراء النظرية والتحليلات الغائبة، وأن الدعوة من قبل هؤلاء حول العقوبة تتلوها دعوات لإلغاء المؤسسات العقابية.

ويؤكد على أن من منطلقات الداعين إلى إلغاء العقوبة هي محاولات التشكيك في الجوانب الدينية الخلقية في أثر العقوبة، وأن عقوبة الأعدام تتعارض مع حقوق الإنسان كما يدعون «!!».

ويسهم الدكتور محمد بن علي البار في الندوة ببحث خصصه للمنطلقات الصحية للأمر السامي: الأضرار الصحية للمخدرات، فيعرض لبعض أنواع المخدرات، ثم يتحدث على مثبطات الجهاز العصبي المركزي، ومثبطات الجهاز العصبي «الكحول» والمواد المنبهة المسببة للاعتماد.

والعرض في مجمله متخصص، وقد يكون من الصعب التوسع فيه هنا لعلميته الدقيقة، وميله إلى المصطلحات الطبية، إلا أنني أستطيع القول إن البحث يرصد أضرار المخدرات الصحية رسداً دقيقاً «مجدولاً» ولا يقتصر على المفهوم الشائع في رصد الأضرار، ولكنه يدخل في مفهوم المخدرات والمكسرات والمنبهات الأخرى بما فيها الشاي والقهوة وما تحتويه من الكافين.

والوقفه الأخيرة في العرض للأبحاث المقدمة في ندوة آثار ما قرره كبار العلماء والأمر السامي بتوقيع عقوبة الإعدام على مهربي المخدرات مع بحث قدمه الدكتور عبد الله العلي الركبان بعنوان «حكم المخدرات وعقوبتها في الشريعة الإسلامية» عرض فيه المؤلف لحكم المخدرات بعد تعريفه العلمي لغة واصطلاحاً لمفهوم المخدرات، ثم أورد أدلة التحريم وناقشها من الكتاب والسنة وأوصلها إلى ستة أدلة. ثم تعرض لحكم الاتجار بالمخدرات وترويجها.

وتحدث على عقوبة المخدرات من حيث تناول أو الاتجار

والترويج وينقل عن الشيخ «محمد بن إبراهيم» رحمه الله تأكيداً على أن عقوبة متعاطي المخدرات تعزيرية قوله: «ونحيطكم علماً بأن باب التعزير واسع يستطيع ولي الأمر عن طريقه أن يفرض من العقاب ما يكون كافياً للزجر، مانعاً الإجرام»، عن فتاوى الشيخ ١١٦/١٢. ويؤكد الباحث على عقوبة الإعدام بالنسبة للمتاجرين والمروجين، ويؤيد ما يذهب إليه بمبررات خمسة يحسن الرجوع إليها للفائدة.

وعندما يتحدث على الآثار المتوقعة من صدور الأمر السامي المتضمن توقيع عقوبة القتل على مروجي المخدرات، يؤكد على فعالية الفتوى والأمر السامي في الأحكام عن الجريمة، ما دام الحزم مقترناً بتلك العقوبة عند التطبيق.

ثم يحدد الباحث بعض السبل للوقاية من تفشي المخدرات في المجتمعات الإسلامية مثل:

- ١ - تقوية الإيمان في النفوس.
- ٢ - القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- ٣ - بيان حرمة الاختلاط بأصحاب المخدرات والجلوس معهم.
- ٤ - توعية المجتمع بما يترتب على المخدرات من أضرار.
- ٥ - الحزم عند تطبيق العقوبات على أصحاب المخدرات.
- ٦ - التوسع في سبل العلاج كالمصحات للمدمنين.
- ٧ - العناية بتربية النشء تربية إسلامية صحيحة.
- ٨ - العمل على توفير سبل العيش الكريم، والحياة المطمئنة لكافة أفراد المجتمع.

التهمة..

ومن خلال استعراض الأبحاث الثمانية نجد أن هناك اتفاقاً على

مجموعة من الجوانب التي ستعمل على الحد من تفشي مشكلة المخدرات في أي مجتمع، ومجمل هذه الجوانب:

- ١ - ضرورة زرع الوازع الديني في المجتمع والتأكيد عليه.
- ٢ - التأكيد على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- ٣ - التأكيد على أثر أولياء الأمور في الرقابة والمتابعة.
- ٤ - التأكيد على أثر المدرسة وتجمعات الشباب في الرقابة والمتابعة.
- ٥ - التأكيد على وسائل الإعلام وأثرها في التوعية بالنشر أحياناً، وبعدم النشر أحياناً أخرى.
- ٦ - التأكيد على شغل الفراغ لدى الشباب بما يصرفهم عن التفكير في الانحراف.
- ٧ - التأكيد على القرناء وأثرهم في توجيه من يخالطهم.
- ٨ - التأكيد على أثر الرئاسة العامة لرعاية الشباب والإدارة العامة لمكافحة المخدرات في التوعية.
- ٩ - التأكيد على الدراسات والأبحاث والندوات والمحاضرات والمؤتمرات في الجانب العلمي.
- ١٠ - التأكيد على توجيه برامج التربية نحو بناء الإنسان الصالح بكل مقومات الصلاح.
- ١١ - التأكيد على أثر الأهل في الإسهام في الحملة ضد المخدرات.
- ١٢ - التأكيد على الحد من استخدام العاملين الأجانب، والتحري حولهم قبل استخدامهم.
- ١٣ - التأكيد على تضييق نطاق السفر إلى الخارج مع إيجاد البدائل المناسبة.
- ١٤ - التأكيد على أثر منافذ - مداخل - المملكة، وما يناط بالعاملين بالجمارك من مسؤوليات، وكذا سلاح الحدود.

١٥ - التأكيد على أثر المساجد وخطباء الجمعة، وحلقات العلم والدرس .
١٦ - التأكيد على سبل العلاج والرعاية بعد الوقوع في الخطر، ورعاية أسر الواقعين .

١٧ - التأكيد على التعاون الوثيق بين الدول الإسلامية على الخصوص .

١٨ - التأكيد على الجوانب المتعددة لظاهرة المخدرات عند الوقاية، أو العلاج .

١٩ - التأكيد على أن هناك قوى يهملها الترويج وتفشي المخدرات في المجتمعات .

٢٠ - التأكيد على الحزم في توقيع العقوبات، وعدم الالتفات إلى الأصوات المغرضة .

وتأتي القافلة وهي تؤدي أثراً أو أثاراً إيجابية نبيلة من هذه المجموعة، فجانب التوعية برزت أهميته واضحة خلال العرض لهذه الإسهامات، وتمثلت في القافلة ثلاثة مرافق مهمة في هذا الصدد وهي الرئاسة العامة لرعاية الشباب، والإدارة العامة لمكافحة المخدرات، واللجنة الوطنية لمكافحة المخدرات، التي قال عليها صاحب السمو الملكي الرئيس العام لرعاية الشباب أنها بدأت المشاركة الفعلية مع القافلة، وكان الله في عون الجميع .

الجزيرة - العدد ٦٣٤٥

الأحد ١٦ رجب ١٤١٠ هـ - ١١ فبراير ١٩٩٠ م

التدخين.. في صناديق الطائرة..!

الحديث على التدخين والمدخنين حديث يبدأ دائماً ولا ينتهي .
فالتدخين اليوم أصبح قاسماً مشتركاً بين الشعوب، وأصبح وجبة سريعة يتناوله الفقير والغني، الكبير والصغير فكثير من الصغار، يقلدون فيه الكبار زعماً منهم أنهم إلى منازل الكبار وصلوا.

وبالرغم من إدراك الكثيرين لأضراره إلا أن البعض يكاد يسلم فيه على أنه شر لا بد منه في حياة الكثيرين خاصة إذا وصل البعض إلى درجة عدم المقدرة الذاتية في الكف عنه أو نسيانه كما إذا ارتبط بالمجهود الذهني والفكري فصار المفكر لا يستطيع التفكير أو طرق أبوابه حتى يرى عقداً من الدخان يتطاير بخيلاء وغنج من لفافة التبغ وهي تقبع متحرية على جانب من «الطفاية» أو بين أصبعي صاحبها الشاهد والأوسط معلنة له أن هذا الدخان المتطاير في الفضاء كان الأولي به أن يأخذ مكانه بين رثتيه ليصفى هناك ثم يخرج دخاناً آخر بشكل عصبي سريع مناقض تماماً لما كان عليه قبل أن يزور الرثتين ويعمل بهما عمله .

ولأن التدخين يعمل هذه الأعمال وغيرها كثير تجد البعض من المدخنين لا يرتاح كثيراً عندما يرى شيئاً سلبياً يذكر عن التدخين، وهذا أمر مشترك في كل مكان، فترى المدخن يعترف بضرره ولا يناقش في

ذلك أحداً لكنه لا يجب أن يعاد عليه هذا الأمر في كل وقت وبكل مناسبة، وربما أحياناً بغير مناسبة والبعض ربما أدى به الأمر إلى الإصرار عليه كلما تكرر الحديث السلبي عليه، خاصة من أولئك الذين تربطهم به علاقة قوية من قرابة أو صداقة أو نحوها.

والتدخين اليوم تجارة عالمية فالذين لا ينتجون التدخين ولا يزرعون التبغ يضربون عليه المكوس العالمية، فضريبة التبغ مصدر اقتصادي في بعض الدول ولا تكاد تستغني عن هذا الضريبة وإن كان الأفراد فيها لا يقرون هذا الأسلوب.

وعلى طريقة «مصائب قوم عند قوم فوائد» ظهرت أيضاً النظريات والاقتراحات التي تدعو إلى مساعدة العامدين إلى ترك التدخين أو الإقلاع عنه كما يقال عادة، وأقيمت جمعيات كثيرة ومتنوعة للمدخين، وتبيان أضراره وملاحقة البحوث حوله وتعميم نتائجها واتباع كل الأساليب التي تعود في النهاية بمحاولة إقناع المدخين بتركه أو التخفيف منه، وتجري لذلك الدراسات المستفيضة والمنوعة كذلك، والتي أصبحت تأخذ طابعاً تنظيرياً يعمد إلى استعمال الأسلوب الإحصائي في تحليل الدراسات فيخرج منها الطريف والظريف وربما خرج منها أحياناً نتائج عجيبة تكاد لا تصدق، ومن ذلك الدراسة التي خرجت بنتيجة نأن الرجال يقلعون عن التدخين بشكل تدريجي، والنساء في مجتمعات أخرى يقبلن على التدخين بشكل تدريجي، ففي الوقت الذي يخف فيه المدخنون تزداد فيه المدخنات من النساء.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية استطاع المناوئون للتدخين أن يجعلوا يوماً واحداً في السنة خاصاً بهم، يدعون فيه المدخين منهم خاصة إلى الإقلاع عن التدخين في هذا اليوم المذكور، وتتبعوا نتائج هذه الدعوة مع من يستجيب لها فوجدوا نسبة لا بأس بها ممن يقلعون عن

التدخين ذلكم اليوم يتركونه نهائياً، والبعض يقلل منه على أقل تقدير، والبعض يتعاطف مع الدعوات ولكنها لا تؤثر فيه من قريب أو بعيد.

الحوالات ضده

ويصبح التدخين اليوم مجالا من مجالات السياسة، ففي مدينة كبيرة جداً مثل سان فرانسيسكو في كاليفورنيا كان أحد شعارات الترشيح لعمدة هذه المدينة هو فرض حظر على التدخين في الأماكن العامة وفي الماتب ووسائل المواصلات العامة، وفي الوقت ذاته وجد ممثلون للتدخين يدافعون كثيراً عنه في المحافل والمجالات الأخرى ويدعون إلى تخفيف ضرائب الدولة عليه، وذلك ليستطيع من يمثلهم هؤلاء الممثلون أن يبيعوا وينتجوا أكبر قدر ممكن من التبغ، وربما يزرعونه كذلك. . واشتعر أحد رجالات السياسة هناك بدفاعه المستمر عن التدخين، وكان يفضل دائماً أن يخرج للعامة وقد قبض على «سيجار» ضخم من النوعية المصنعة في كوبا المشتهرة في صنع مثل هذا النوع من وسائل التدخين.

ويتعدى التدخين المجال السياسي ويصبح الموقف منه موقفاً سلبياً مجالا آخر ولكن من الناحية الاقتصادية، فقد عمدت إحدى شركات الطيران الأمريكية إلى منع التدخين على متن طائراتها في رحلاتها المحلية، وركزت على ذلك وأصررت عليه، وكانت تجربة تنبأ لها البعض بالفشل الذي ربما أدى بهذه الشركة إلى الإفلاس إذا ما أصررت على موقفها من التدخين، أو تعود عن هذا الموقف وتتيح الفرصة للمدخين أن يدخنوا كما شاءوا متى ما شاءوا. . ولكن هذه الشركة أصررت على موقفها، ولم يتغير إقبال المسافرين عليها، وكان قرارها قد قوبل بالقبول والإعجاب في وقت تتردد فيه في ذلك المجتمع عبارة «إن الزبون دائماً على حق» ولكن هذه النقلة أوحى للكثيرين أن الشركة هذه المرة كانت على حق.

وتعتمد الخطوط العالمية إلى تحديد أماكن للمدخنين، وذلك مراعاة منها لمشاعر غير المدخنين ممن لا يقبلون أن يكونوا بين مدخنين لأسباب مختلفة دينية وصحية واعتبارات أخرى تتعلق بخوف البعض من أن يستهويهم منظر الدخان المتصاعد من لفافات التبغ - قبل أن يصفى - فيتناولون عليه اللفائف ويعمدون إلى تصفية التبغ المتصاعد من هذه اللفافات! وتسير على هذه الخطوة وسائل المواصلات - الأرضية - الأخرى من قطارات وحافلات.

والذي لا بد من التعرض له هنا أن الحملات على اختلاف أساليبها لم تقابل بالاستحسان من قبل الجميع، إذ إن هناك فئات من الناس لا تعجبهم القيود على التدخين بأي حال من الأحوال، ويدعون أن هذه الحملات إنما تعمق عند الكثيرين فكرة التدخين وتجعلهم يصرون عليه، مما يعود بنتائج سلبية غير متوقعة.

وفي بلادنا هنا الطيبة الطاهرة، صدر توجيه ملكي كريم بعدم التدخين في مكاتب الموظفين. وهي لفئة من تلك اللفات التي تسعى دائماً إلى بناء مجتمع طيب صحي صاف يفضل أن يرى الدخان يتطاير من مداخن المصانع، بدلاً من أن يتصاعد من أفواه وصدور أبناء هذا الوطن الحبيب، وفي هذا أيضاً إحياء للجميع بعدم رضا الدولة بهذه الظاهرة وعدم إقرارها لها، والتشجيع المباشر على الحد منها في سبيل الإقلاع عنها في مجتمع له طابع متميز يحسد عليه من قبل مجتمعات أخرى لم يعد في إمكانها أن تنهج هذا النهج السليم.

في الخطوط السعودية

والخطوط الجوية العربية السعودية من حيث كونها مرفقاً حيويّاً من مرافق هذا المجتمع الطيب تعكس دائماً هذا المنهج السليم، وهي سبابة

إلى تبنى كل ما يعكس انتماءها إلى مجتمع مسلم لا يؤمن إلا بكل ما هو طيب ونافع. وتميز الخطوط السعودية هذا أعطاها دفعات من الاحترام على مستوى عالمي لم تحظى به كبريات الخطوط العالمية، والسعودية من كبرياتها. وهي تبدأ رحلاتها دائماً بقراءة خاشعة من كتاب الله مناسبة للسفر معلنة للملاأ اعتمادها دائماً وأبداً على الله متكئة عليه، مهما وصلت أساليب الصيانة فيها إلى القمة في الدقة والعناية كما هي عليه طائرات الخطوط السعودية. هذه الجوانب وغيرها توحى دائماً بأن هذا المرفق الحيوي سابق إلى أن يشعر الكثيرين بانتمائه إلى المملكة العربية السعودية.

هذا الأسلوب في النظر إلى الرحلات يجعل المرء يطرح فكرة فيها شيء من الخير للخطوط السعودية في رحلاتها الداخلية لا تتجاوز عادة الساعتين - رحلة الظهران إلى جيزان تستغرق ساعة وخمساً وأربعين دقيقة، وهذه أطول رحلة داخلية تقوم بها السعودية في رحلاتها، عبر الطلب من ركابها بالامتناع عن التدخين على متن طائراتها في رحلاتها الداخلية خاصة. ولعل هذا يبدأ أولاً بالرجاء وطلب التعاون، ثم يعمد بعدئذ إلى استصدار قرار يمنع فيه التدخين في هذه الرحلات، فمن حق غير المدخنين على المدخنين أن يمتنعوا عنه لساعات قليلة.

ربما قوبلت هذا الفكرة في البداية بعدم القبول من قبل مجموعة لا بأس بها من المدخنين، ولكن الزمن كفيل بأن يسبغ على هذا الفكرة طابع القبول، وفي هذا على أية حال مراعاة لمشاعر غير المدخنين عندما يجتمعون مع غيرهم في «صندوق طائر» هم فيه بحاجة إلى الهواء الطلق، فيبقى الهواء نقياً إذا ما امتنع المدخنون عن التدخين من ناحية، ويرتاح المدخنون ساعة أو ساعتين من هذه العادة، ليجدوا أنفسهم في النهاية قادرين على الصبر عنها لساعات طوال، ولعل هذه الخطوة تساهم في

دفع الكثيرين إلى إعادة النظر في موقفهم من التدخين، ولعل الخطوط السعودية تسجل خطوة أخرى تعودت دائماً أن تخطوها في سبيل تمييزها عن الخطوط العالمية الأخرى، فتسعى إلى الحصول على الأرقام والإحصائيات حول أولئك الذين تسببت الخطوط السعودية في إقلاعهم عن التدخين لفترة زمنية محدودة جعلتهم يراجعون أنفسهم ويعيدون نظرهم إلى التدخين، وتكون السعودية بذلك قد كسبت مكسباً لا يمكن أن يقابل مادياً، ولكنه يكون - حينئذ - مكسباً حضارياً تسعى الخطوط السعودية دائماً إلى الحصول عليه.

وإذا كانت هذه الفكرة غير محتملة في كل الرحلات في الوقت الحاضر، فيمكن أن تبدأ الخطوط بها على نطاق الرحلات القصيرة التي لا تصل أحياناً كثيرة إلى الساعة، ثم تبدأ بالتمديد تدريجياً، فقد تعودنا أن نبدأ دائماً بالقليل القليل إلى أن نصل إلى القمة دفعة واحدة فنفقد طعم التجربة في خطواتها إلى فشل هذا الأسلوب والتخلي عنه ونسيانه.

ولعل هذه الفكرة قد راودت الكثيرين، ومن بينهم مدخنون، ولأن الخطوط السعودية قد عودت الجميع على النظر في مثل هذه الاقتراحات والأفكار، فإن المتوقع أن تؤتي هذه الفكرة ثمارها ولو على المدى البعيد، وتحية لكل أولئك الذين يقفون وراء نجاح هذا المرفق الهام من مرافق بلادنا الطيبة. وكان الله في عون الجميع.

المدينة المنورة - العدد ٧٢٢٦

الثلاثاء ٥ جمادى الآخرة ١٤٠٧ هـ

رابعاً:

السعوديون والدعوة والإغاثة..

السعوديون .. والإغاثة..!

عندما تطلق كلمة «السعوديين» فإنها تعني الانتماء الذي يعود بالكلمة إلى القرن الحادي عشر الهجري ويعود الانتماء إلى القرن الأول الهجري . ولذا فإن المدلول يمكن أن يشير إلى الأبعاد الثلاثة :

- ١ - تبني الدولة السعودية للحكم الإسلامي في جميع شؤون الحياة الداخلية والخارجية . وهذا يعني مسؤولية الدولة لكل من يتبني هذا الانتماء من أفراد أو جماعات أو دول .
- ٢ - الأريحية التي تتبناها قيادة هذه الدولة في مسارعتها لخدمة البعد الأول من خلال خدمة مقدساته وأهله والمتممين إليه .
- ٣ - تسخير الإمكانيات المادية التي تفضل الله بها على هذه البلاد في خدمة البعد الأول والثاني . حيث سخر الله تعالى لهذه البلاد من الإمكانيات التي تزيد في المسؤولية سواء كانت هذه الإمكانيات في باطن الأرض أو على ظاهرها من الخيرات المادية والإمكانيات البشرية التي تزداد خبرة وعلماً يوماً بعد يوم .

ومن هذا المنطلق، منطلق المسؤولية، لا يستغرب المرء مسارعة السعوديين على المستويين الرسمي والشعبي في الوقوف مع الشعوب

الإسلامية الأخرى التي تتعرض بين الفينة والأخرى إلى النوازل أو الكوارث التي تحل بها ويكون الإنسان نفسه سبباً فيها أو بقدرة القادر الحكيم العادل سبحانه .

والجسور الجوية الإغاثية إلى المناطق المنكوبة بالفيضانات أو بالزلازل أو بالجفاف أو بالاستنزاف البشري عن طريق الاضطهاد الذي يطيب للبعض أن يجعله وسيلة من وسائل السيطرة وتحقيق أهداف دينية أو سياسية أو غيرها، هذه الجسور معلومة .

والسعوديون معروفون بمبادراتهم في الوقوف مع الآخرين في هذه المحن . وبارك المسؤولون السعوديون رغبة المواطنين في الإسهام والتخفيف من واقع هذه المحن على إخوانهم في مشارق الأرض ومغاربها فتقوم اللجان التي تعمد إلى تنظيم مسألة الإسهام هذه والاستباق في وصولها لمستحقيها بعيداً عن مؤثرات جانبية قد تؤدي إلى سوء الاستخدام للتبرعات المادية والعينية .

وتجربة السعوديين في مجال الإغاثة بدأت تأخذ طابع العراقة من حيث شموليتها وسعيها إلى المسح والتخطيط والتنظيم، فالابتعاد عن الارتجالية في القرارات والنظر إلى المدى البعيد الذي تتطلبه الحالة المراد إغايتها . ولذا تكونت اللجان والهيئات التي يراد منها أن تقوم بهذا الأسلوب الحضاري في التعامل مع الشعوب الإسلامية المنكوبة :

١ - ومن هذه التجارب تجربة السعوديين في الوقوف مع إخواننا الفلسطينيين الذين نكبوا باحتلال بلادهم - بلاد المسلمين - ليقوم اليهود عليها وطنهم القومي . ووقف السعوديون رسمياً وشعبياً مع القضية هذه مما لا يحتاج إلى مزيد إيضاح، إذ الأرقام تتحدث على نفسها، والجهود قد رسمت آثارها على القضية ليس على مستوى الدعم المادي فحسب، بل وعلى المستوى المعنوي المعروف . ولا

بأس من التذكير بشعار «إدفع ريالاً تنقذ عربياً» الذي رفعه صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز رئيس اللجنة الشعبية لدعم القضية الفلسطينية، وكنا ندور بالقسائم على المحلات والطلبة والإساتذة نجمع لإخوتنا الفلسطينيين ريالاً على ريال.

٢ - ومن التجارب القوية في هذا المجال تجربة السعوديين مع القضية الأفغانية حيث كونت منذ البداية هيئة عامة لاستقبال التبرعات للمجاهدين الأفغان، وقامت الهيئة بجهودها المطلوبة منها على الساحة الأفغانية من خلال مكاتبها في بيشاور وكويتا من مدن الباكستان المليئة بالقيادات والمهاجرين الأفغان. وعملت لجنة الأغاثة السعودية المنبثقة عن الهيئة في الباكستان على ترسيخ مفهوم المسح والتخطيط والتنظيم من خلال النظرات قصيرة المدى المتمثلة في الإغاثة المستمرة كالتربية والتعليم والتدريب والدعوة، وتنفيذ المرافق التي تهيء مثل هذه المشروعات كالمدارس ومراكز التدريب والمساجد وغيرها.

٣ - ومن التجارب الجيدة في هذا المجال التجربة السعودية في الوقوف السريع مع المنكوبين بالكوارث المقدره كالزلازل والجفاف والفيضانات، وجهود جمعية الهلال الأحمر السعودي في هذه المواقف تذكر وتشكر، وإن كانت غير معلومة لدى البعض، لعدم الرغبة في الإعلان عن هذه الجهود لئلا يفهم منها أن في الأمر منة على الناس. ويبدو أن مفهوم المنة يتعلق بالنيات، وأن الإعلان عن هذه الجهود ليس بالضرورة داخلاً في هذا المفهوم، بل قد يطلب الإعلان أحياناً قصداً إلى دفع الآخرين إلى الإسهام في هذا المجال.

٤ - ومن التجارب الطيبة في هذا المجال سرعة الوقوف مع إخوتنا المسلمين في البوسنة والهرسك أمام الهجمة الصليبية التي يتعرضون لها حيث تكونت لجنة رئيسة برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير

سلمان بن عبد العزيز، ويتمخض عنها لجان فرعية في مناطق المملكة لاستقبال التبرعات لإخوتنا المنكوبين في تلك المنطقة، وللعمل على حث المواطنين والمقيمين على الإسهام في هذا الغرض الإسلامي الإنساني النبيل. ومن الفخر أن يتوج هذا الأمر السامي بالتبرع بثلاثين مليون ريال من صاحب القرار في تكوّن هذه اللجنة فهد بن عبد العزيز راعي هذه البلاد. وكانت القيادة السعودية قد تبرعت من قبل بخمسة ملايين دولار، ثم تابعت بعد ذلك تبرعات المسؤولين المحسنين ورجال الخير ولا تزال.

والتجارب في هذا المجال كثيرة ممتدة ومستمرة، ومعظمها يأخذ طابع السرية وعدم التصريح بها من منطلق أن المحسن ينفق بيمينه فلا تعلم شماله بهذا الإنفاق، ومن منطلق عدم إشعار الآخرين بالمنة.

رد الجميل:

ولأن المقصود في هذه التجارب تحقيق المسؤولية بأن هذه البلاد لا تنتظر من الآخرين أفراداً وجماعات ودولاً رداً لهذا الجميل، أو تسعى إلى تحقيق أغراض دنيوية ذات طابع سياسي، وإنما هي تتوقع فقط الاعتراف بهذا الجميل والتصرف بموجبه وعدم التنكر له ولأصحابه في أوقات لا يحسن فيها التنكر للمحسنين.

وينبغي لبعض الأفراد المتنفذين في مجتمعات يصلها خير هذه البلاد ألا يسيئوا فهم هذه الأريحية وهذه المبادرات الحيوية والسباق لفعل الخير، فيفسروها تفسيرات مادية رخيصة، أو يتوقعوا أنها فرض لازب على رجال هذه البلاد ونسائها إن لم تكن فرضاً فرضه الله تعالى على الأفراد يؤدون حق الله عليهم في الخير الذي تفضل به عليهم رغبة في أداء الأمانة وزيادة هذا الخير، وغير هذا المنطلق من التفسيرات المادية السريعة باطل لا أصل له.

وعلى أي حال فقد لاقى هذه البلاد بسبب أريحيته ومبادرتها الطيبة من سوء الفهم ما لاقى، ولكنها مصرة على المضي قدماً في فعل الخير على المستويين الرسمي والشعبي، فلا يضيرها إنكار المنكرين للفضل فهي لا تتوقع من بشر جزاء ولا شكوراً.

المحسنون:

ويستمر المحسنون في البذل والعطاء ما أفهموا الوضع المراد البذل له، وما وثقوا بمن يسعى إلى صرف ما يبذلونه في أوجه الخير. . . ويسيء لهم أن يسمعوا أن حالة شاذة أساءت التصرف أو صرفت في سرعة الاستجابة لكل مريد للتبرع ما لم يكن شخصاً أو هيئة موثوقة مدعومة من أولئك الموثوقين من المسؤولين من العلماء والقادة وطلبة العلم. ويعذرون في هذا كل العذر. فالمطلوب التثبت في هذا المجال وعدم التسرع في الإنفاق حتى يتبين الخبيث من الطيب، ومن سنن الحياة أن يوجد الخبيث، ولكنه لا يلبث أن ينكشف ويوقف عند حده، فيمكث في الأرض ما ينفع الناس ويذهب الزبد جفاء.

وتحية للمحسنين من المسؤولين والموسرين ورجال الأعمال المؤتمنين على مال الله الذي بين أيديهم. وتحية للخطوات التنظيمية في استقبال التبرعات. وتحيات للعاملين جميعاً في هذه المجالات الخيرية. ودعوات من الباري جل وعلا أن يتقبل منهم جميعاً بذلهم وجهودهم، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم مدعاة لزيادة النعمة وزيادة الأجر والثواب وتثقيل الموازين، وتحية خالصة لمن يسهمون في نشر الخير والدعوة إليه من صحفنا وإعلامنا وشبابنا وشاباتنا ورجالنا ونسائنا. وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة، العدد ٧١٠٢

إجازة الربيع .. يقضونها في السودان

جرت العادة أن يدعو الكثيرون ممن ينتمون إلى هذه البلاد الطيبة إلى قضاء الإجازات السنوية والعادية وإجازات الربيع في البلاد ذاتها، خاصة أن الدعوة إلى هذا الأسلوب تؤيده كثير من الإنجازات السياحية التي تشهدها مناطق المملكة والتي تثبت وجودها أمام اغراءات السفر إلى خارج البلاد. وتأتي هذه الدعوة عادة قرب حلول الاجازات بأنواعها، وربما كثرت أثناء فترة الصيف وانتهاء الطلبة والطالبات من موسم الحصاد العلمي على جميع المستويات.

والدعوة إلى قضاء الاجازة داخل المملكة - أو المنطقة - دعوة فائدتها تأتي من وجهين: الوجه الأول يتمثل في التعريف بالبلاد والاطلاع على معالمها والتعرف على جوانب مجهولة من هذه البلاد، والوجه الآخر يتمثل في التوفير المادي لما ينفق خارج البلاد، إذ يبقى في يد السائح جزء كبير منه وما ينفقه يعود بالنفع على البلاد، كذلك فالذين يعملون في السياحة يدركون المردود المادي من هذا القطاع مهما تضاءله الكثيرون الذين ينظرون إلى هذه الناحية من زاوية فردية ترى أن إنفقا عشرة الآلاف أو العشرين ألفاً لا تؤثر من قريب أو بعيد في اقتصاد البلاد الذي انفقت فيه والذي حولت منه. وعلى هذا فالدعوة إلى قضاء الإجازة داخل البلاد

دعوة أقل ما يمكن أن يخرج بها القارئ أنها دعوة مخلصنة تنظر إلى صالح هذه البلاد بعين عميقة طويلة المدى.

ومن خلال هذه المقدمة قد يستشف القارئ أنني سأدعوه إلى قضاء الإجازة هذه - إجازة الربيع - داخل البلاد، وسأحاول تبرير هذه الدعوة بمجموعة من الأسباب أؤيد فيها ما أدعوا إليه.

ولكنني لن أنحو هذا المنحى في هذه العجالة، بل إنني سأدعوا الشباب خاصة إلى قضاء الإجازة خارج ربوع الوطن هذه المرة، والتركيز هنا على معاشر الشباب على غير العادة من التركيز على الشباب في قضاء الإجازة في مناطق المملكة. ولعل هناك ما يبرر دعوتي هذه لقضاء الإجازة خارج البلاد من قبل الشباب على وجه التخصيص.

لقد وجهت جمعية الهلال الأحمر السعودي نداء إلى شباب هذه البلاد تدعوهم فيه إلى قضاء إجازة الربيع في السودان الشقيق، ووعدت الجمعية بتسهيل سبل السفر بعد أن يراجع الشاب مراكز الجمعية المنتشرة ليقوم بتعبئة البيانات المطلوبة في مثل هذه الحالات العاجلة، ولم تطلب الجمعية من الشباب أكثر من حقية السفر وبعض المصاريف وستكفل لهم فكرة التأشيرات والتصريحات ونحوها من الأمور التي تحتاج إلى التخطيط المسبق في سبيل الحصول عليها.

يأتي هذا النداء من قبل الجمعية بعد أن أثبت مواطنو هذه البلاد ما سبق لهم أن أثبتوه في رد فعلهم الإنساني نحو النكبات التي تمر بها شعوب الأرض... فبعد النداء الذي وجهته اللجنة الخاضعة بجمع التبرعات لمتضرري الجفاف في أفريقيا انهالت التبرعات العينية على مراكز تجميع وقبول التبرعات بشكل يدعو إلى تأكيد الشعور نحو نبل المواطنين ومواقفهم الإنسانية تجاه هذه المشكلة، فكثر التبرعات واحتاجت إلى من يقوم بتوزيعها على الجياع في مخيماتهم. ولا يتوقف الأمر عند هذا، بل يتعداه إلى الاستعانة بالشباب في حملة إغاثة مكثفة تقوم على إعانة

العاجزين وإطعام الجائعين وإرشاد الضالين ومسح الدموع من على أعين
اليتامى والثكالي والتائهين .

ويأتي نداء جمعية الهلال الأحمر للشباب في الانخراط في حملة
التطوع في وقت بدت فيه الحاجة الماسة إلى هؤلاء الشباب وفي وقت
اتيحت لهم الفرصة للقيام بهذا الواجب الكبير حيث تخف مسؤولية
الدراسة والتردد على المدارس ، والتوقع هنا أنه ربما لا تحول الدراسة
دون القيام بمثل هذا العمل النبيل، إذ إن مديري التعليم والجامعات لا
يتوقع أن يترددوا في إيفاد مجموعات من طلابهم للقيام بمثل هذا العمل،
بل ربما تعدى الأمر هذا إلى وضع مكافآت تشجيعية لهؤلاء المتطوعين
عند عودتهم، وقد حلت لهم مكافآت لا تعدلها المكافأة التشجيعية،
ولكن الذي يشجع على انتهاز هذه الفرصة هو أننا نعيش هذه الأيام فترة
الإجازة، وما أجمل أن يقضي المرء إجازته بهذا الأسلوب .

ولعل تجربة إجازة الربيع توشي للمسؤولين في جمعية الهلال
الأحمر السعودي إلى تمديد فترة التطوع لتشمل الإجازة الصيفية، حيث
المدة أطول وارتباط الطلاب المنهجي بالدراسة أخف مما هو عليه الآن،
والرغبة في السفر خارج البلاد أكثر، خاصة أن ظاهرة المجاعة هذه لا
يتوقع منها أن توقف عند فترة معينة من الزمان كما سبق وأن ألمحت في
حديث سابق على الجوع، وذكرت أن هذه الظاهرة ربما استمرت بخلاف
النكبات المؤقتة الناتجة عن فيضان أو زلزال أو نحوه . وعليه فإن جهود
أهل الخير لا يتوقع أن تقف عند حد . وجهود الدعاة إلى فعل الخير لا
يتوقع أن تكل، والتذكير بهذه الظاهرة لا يتوقع أن يفتر فالمسؤولية لا
تقف عند فئة دون فئة من الناس، بل لا بد من تضافر الجهود لتقديم صورة
طيبة لما هو عليه المواطن السعودي والخليجي من التعاطف مع الآخرين
الذين تمر بهم مثل هذه الظروف .

وفي تمثيل الشباب السعودي والخليجي لبلادهم في هذه المناسبة الأليمة تمثيل للشباب المسلم الذي يحتاج إلى أن يثبت للآخرين أنه عضو فعال في مجتمعه وفي المجتمعات الأخرى، في وقت تنهال عليه الاتهامات الموجهة من قبل عناصر غريبة حاولت أن تنزع منه انتماءه إلى خلفيته وقصره على ما رزقه الله من خبرات اتخذوها جانبا سلبيا وصموا بها شباب هذه المنطقة. وكثيراً ما واجهنا هذا الاتهام مباشرة أو من قبل وسائل الاعلام التي تخدم البلاد التي كنا فيها من الدارسين. وفي فكرة التطوع هذه إبراز لدور الإسلام ممثلاً في شبابه إزاء هذه القضية حيث تترجم تعاليم الإسلام القائمة على تفريغ الكرب وإغاثة الملهوف عملياً من قبل مجموعة ممن ينتمون إلى هذا الدين ويريدون أن يثبتوا للعالم وقوفه إلى جانب هؤلاء. خاصة أن البعثات التنصيرية تنتهز هذه الفرصة لنشر دعوتها، ولعل آخر الإحصائيات التي اطلعنا عليها تطوع عشرين شاباً من الولايات المتحدة وحدها للمساهمة في مساعدة المتضررين من الجفاف، ولعل الجانب العلمي خير كفيلاً للحد من النشاط الغريب في أرض تعودت على خلفية واحدة وينظر أهلها إلى الموسرين من أهل هذه الخلفية بعين الأمل والرجاء.

**** وقضاء إجازة الربيع خارج البلاد بهذا الأسلوب سيتيح للشباب السعودي والخليجي فرصة العيش ومعايشة الحالة عن قرب، مما يعطيهم دفعة رجولية عظيمة تتيح لهم جميعاً التفهم الشامل لمعنى الحياة عند النظر إلى الجوانب التي يبدو منها أنها سلبية من خلال الآثار التي تركها حالة القحط والجوع والجفاف، حتى قيل إنهم في بعض المناطق لم يستطيعوا الحصول على أكفان الموتى فكفنهم بأوراق الشجر. ومثل هذه المشاهدة فيها صقل للشباب يعينه على الوقوف أمام الحالات غير المعتادة التي يدرب عليها عادة مجموعة من الشباب في دورات خاصة بالكشافة**

والجواله. وما أجمل أن يترجم التدريب في المخيمات إلى نواح عملية تستغل فيها مقدرات الشباب وطاقاتهم وحماسهم وصبرهم على الشدائد، وهذه سمات لا نجامل إذا قلنا أنها تغلب على شباب هذه المنطقة.

والمعايشة هذه ستيح للشباب الاطلاع المباشر على الصورة بحيث يعودون وقد وطنوا العزم على العودة إن اتاحت لهم الفرصة مرة أخرى وقد أقنعوا الكثيرين بما رأوا وما قاموا به، فليس من رأى كمن سمع، فنتسع رقعة المتطوعين وما يتبع ذلك من تسهيل على المنكوبين، بحيث تصلهم المؤن بوقت أسرع. ومجهود التغلب على هذه المشكلة ويكفي هؤلاء فخرا أن يشهد لهم التاريخ بما يقومون به من أعمال إنسانية ترفعهم إلى مصاف الرجال.

* * والملاحظ أن فكرة التطوع هذه سوف تضمن وصول المؤن والعينيات إلى المستحقين من الجياع بدلاً من أن تترك نهبا لحرارة الشمس وتقلبات الجو فتزول أهميتها وتفقد مفعولها.

* * وبعد هذا فإن في هذه الخدمة الأنسانية الكبيرة مرونة بحيث تتيح للشباب أن يقضي أسبوعاً واحداً في السودان أو أسبوعين أو عشرة أيام وربما أقل، فليس هناك تقييد بفترة حددت من قبل هذا مما يدفع الشباب إلى الإقبال عليها فليس أقل من أن يقضي الشاب أسبوعاً خاصاً يعتبره فيما بعد صفحة ناصعة في حياته المليئة بالصفحات البيضاء الناصعة. ولهذا كله جاءت الدعوة إلى قضاء الإجازة هذه خارج البلاد، فنحن بأمس الحاجة إلى مثل هذا الأسلوب في قضاء الاجازات.

الجزيرة، العدد ٤٥٢٣

الجمعة ٢٥ جمادى الأولى ١٤٠٥ هـ الموافق ١٥ فبراير ١٩٨٥ م

الخير.. والتنسيق..!!

يبدو أننا الآن نمر بمرحلة التخطيط والتنظيم في معظم أعمالنا، وكنا نفتقد هذين العنصرين في أعمال ماضيه.. وتتجدد اليوم المسؤوليات وتتفرع التخصصات.. ونجد أننا في سبيل مواجهة هذه المسؤوليات نعدم إلى إيجاد روابط مع الجهات التي تماثلنا في تحمل المسؤولية.

ويبدو أن العالم الإسلامي اليوم يمر بمرحلة عجيبة من تاريخه الطويل، إذ إن هناك عودة قوية وصادقة إلى الإسلام تخيف الآخرين فيهمجون على المسلمين هجمات مباشرة يضيقون فيها عليهم.. وتفتح أمام المسلمين جبهات تزيد من المسؤولية في الشرق والغرب والجنوب.

وينظر المسلمون إلى الهيئات الخيرية لتسهم في تخفيف وطأة الهجوم الشرس الذي يتعرضون له. والهيئات الخيرية تقوم إمكانياتها على ما تجود به أيادي المحسنين من مؤسسات وأفراد. وتعمل على تضמיד الجراح ولكن في حدود إمكانياتها.

ولأن الإمكانيات محدودة والطلب يزداد كان لابد من إيجاد وسيلة لتلبية الطلبات في حدود الإمكانيات. ومن هنا تبرز حتمية التنسيق بين الهيئات الخيرية في مقابلة المحن والإزمات التي يمر بها المسلمون.

وفي مقر الهيئة الإسلامية العالمية للإغاثة في جدة عقد يوم الأربعاء الماضي اجتماع ضم مجموعة من العاملين في الهيئات الخيرية لمناقشة فكرة التنسيق بينها منعاً للازدواج في الجهود ومن ثم رغبة في عدم تشتت هذه الجهود.

وأظن أن هذه الخطوة عملية رغم أن الرغبة موجودة لدى الجميع، ولكن كان لابد من الجلوس لمناقشة السبل التي تكفل فيام التنسيق بين الهيئات.

وأعلم أن هذه الفكرة مطروحة منذ زمن بين الهيئات العالمية والتنصيرية وكل منها يسد عجز الأخرى، ويغطي عنها ما تعجز عنه، وتمثل هذا واضحاً في إيجاد مجلس تنسيقي على الساحة الأفغانية تحت اسم «أكبر» فقامت الهيئات الخيرية الإسلامية بإقامة مجلس لها للتنسيق بينها تحت اسم «الله أكبر»، وتفرعت عن المجلس عدة لجان تصب اهتمامها على فرعيات العمل الخيري بين الأفغان.

ومثل هذه الخطوة مطلوبة على المستوى العام وبخاصة أن الآمال تتطلع إلى زيادة عدد الهيئات الخيرية في بلاد الخير (المملكة العربية السعودية) والبلاد الطيبة الأخرى، مما يفرض وجود هذا النمط من التخطيط والتنظيم.

وفي الوقت نفسه نجد أن هناك أفراداً من فاعلي الخير لا يريدون الدخول في «دوامة» التخطيط والتنظيم، إذ لدى الواحد منهم مبلغ من المال يخصصه لمشروع خيري من باب الصدقة الجارية ولا يحب أن تتدخل فيه «عناصر» أخرى، وهذه نظرة تحتاج إلى مزيد من التفكير لأن المسألة اليوم لم تعد بالصورة التي كانت عليها، فنحن نمر في مرحلة تتطلب الاستثمار في الأعمال الخيرية والاستمرارية في الدعم وعدم الاعتماد الكلي على المبالغ المقطوعة، وعليه فإنه يطلب من هؤلاء الأفراد

ومن أهل الخير أن يثقوا بالهيئات الخيرية التي تتكفل بصرف الخير في مواطن الخير وتحاسب على ذلك من خلال التقارير التي تقدمها للمحسنين ولعامّة الناس.

بارك الله في الخطوات التنظيمية والتخطيط، وأعان القائمين على الهيئات الخيرية على هذه الخطوة الطيبة في التنسيق بين أعمالها واهتماماتها، وكان الله في عون الجميع.

حملات توعية المسلمين

في مدينة كبيرة من مدن الولايات المتحدة الأمريكية يوجد سبعة من المساجد تقام فيها الفروض والجمعة والأنشطة الإسلامية.

وكانت هذه المجموعة من المساجد مراكز إسلامية لا تخدم أحياء بعينها، ولكنها تخدم مجموعات بعينها، وكما يمر على كل مجتمع مسلم يمر على هذه المراكز مشكلة تحديد أو رؤية هلال رمضان المبارك، والاختلاف الوارد يكاد ينطبق على مدينة واحدة فتجد بعضاً من المسلمين صائمين وبعضاً آخر لم يصوموا بعد لأنها لم تثبت لديهم رؤية الهلال، وكان هناك نقاش ولقاء ومناظرات ومحاولات للاجتماع ولو على رؤية الهلال، ومن هنا انبثقت لجنة تمثل المراكز السبعة كانت مهمتها الاتفاق على رؤية الهلال سواء في المدينة نفسها أو في الولاية أو في أمريكا أو خارج أمريكا، ولأن هذه المراكز تمثل مجموعات، كان لا بد من أن يكون بينها نوع من عدم اتفاق، وإلا لم تكن مجموعات. هكذا كان الانطباع السائد، وعلينا أن ندرك هنا أن السبب في هذا ناتج عن أن خلفية بعض هذه المراكز تنبع من أن أصحابها لم يكونوا من قبل مسلمين، وفي دينهم السابق كان التوزع والاختلاف ظاهرة متبعة معترف بها بينهم، فلم يأبهوا لآثار هذا الشقاق واعتبروه جزءاً من هذا الدين العظيم الذي

اعتنقوه. والواقع أنه ليس الأمر كذلك، لأن الدين الإسلامي تناول كل القضايا في حياة المسلم بوضوح.

على أي حال كان هناك اتفاق على رؤية الهلال، ولكن لم يصادق عليه «إمام» أحد المراكز وجعل مندوبه يصادق عليه. وعندما سئل عن سبب هذا الإجراء كان رده أنه لا يستطيع الاتفاق مع الآخرين ويبقى إماماً لهذا المركز لأنه بنى إمامته لهذا المركز على هذا الاختلاف. . منطوق عجيب فعلاً، ولكنه يعكس الحالة التي كان عليها بعض من أولئك الذين دخلوا الإسلام في الآونة الأخيرة ولم يوفقوا إلى من يأخذ بأيديهم ويقودهم إلى الطريق الصواب، وهذا مثال واحد على مثل هذا الانحراف في الفهم للدين القويم. على أن هناك أمثلة أخرى من هؤلاء الذين اتخذوا الدين أحياناً لتحقيق مصالح دنيوية وذاتية، ويستخدمه هؤلاء على أنه لائحة أو نظام، كل يفسره على حساب ما يحقق أغراضه. فترى هناك العلماء دون علم والمفسرين والشارحين والمتقولين على الدين دون علم مسبق بالعقيدة أو الأحكام يعيشون في دول الغرب.

ولهذا السبب ولأسباب أخرى كثيرة تأتي أهمية حملات التوعية لهؤلاء المسلمين الذين دخلوا الإسلام حديثاً ويتقبلون التوعية، ويبحثون عنها بين الصادقين من إخوانهم، ويجدونها فيهم يطبقونها للآخرين فيصبحون بهذا قدوة حسنة لمن يريد أن يأخذ عنم، ولذا نجد الاستغراب الكبير عندما يحدث من بعض من شرفهم الله بدخولهم الإسلام دين الهداية ما يسيء إلى نظرة الناس إليهم كمسلمين، حتى ينسى الآخرون أن هؤلاء القدوة ليسوا معصومين من الزلل والخطأ ولكن خير الخطائين التوابون، وعليهم أن يتبصروا في دينهم وهو العاصم بإذن الله من الخطأ والزلل.

وهناك قدوة من المسلمين كانوا سبباً في إسلام أعداد غير قليلة،

بعضهم كان سبباً في إسلام البعض مع أنهم لم ينطقوا ولم يعظوا، ولم يحاضروا، ولكنهم كانوا يتصرفون في طعامهم ولباسهم ومعاملتهم تصرف القدوة، فتركوا الانطباع الطيبة في مجتمع يعيش في عالم من التناقضات.

وإذا كانت هذه القدوة مدعومة بالعلم ومعرفة الدليل والربط مع الواقع كان التأثير غير متصور وكانت الفعالية لا تكاد تصدق. وقد خُطت سفارة خادم الشريفيين في واشنطن خطوة غير بسيطة في سبيل توعية المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية، فقامت ممثلة بمكتب الشؤون الإسلامية بالسفارة، وبرعاية خاصة من سمو السفير، وبالتعاون مع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بإقامة الدورات العلمية لأئمة المساجد والقائمين على المراكز باللغتين العربية والإنجليزية. وكانت البداية في العام قبل الماضي ١٤٠٧ هـ عندما توجه مجموعة من طلبة العلم في جامعة الإمام إلى واشنطن العاصمة، وأقيمت الدورة لمدة شهرين كان الدارسون خلالها ضيوفاً على سفارة خادم الحرمين الشريفين، وكان هناك علم، وكانت هناك نتائج، وكان هناك نجاح أدى إلى تأكيد على تكرار هذا التجربة، فتكررت العام الماضي ١٤٠٨ هـ. في كل من ولاية ميتشيغان وتكساس وكاليفورنيا، وكان التركيز على كاليفورنيا في «أورانج كاونتي»، ولم يقتصر الأمر على العرب أو على الأمريكيين، بل كان عاماً لكل المسلمين من ماليزيا وأندونيسا ودول أفريقيا وأوروبا، وكل من كان راغباً في الانخراط في هذه الحملة، ولنجاح هذه التجربة لم تقتصر على الولايات المتحدة بل كانت هناك دورة في مانشستر في بريطانيا، وربما تكون هناك دورات أخرى في أماكن أخرى.

ومن مميزات هذه الدورات أنها أولاً علمية، فاكتملت القوة، وثانياً أنها مكثفة فبرنامجها يغطي ساعات طويلاً خلال أيام الدورة، وثالثاً يقودها طلبة علم من دكاترة ومحاضرين ومعيدتين في تخصصات العقيدة والسنة

والفقه وعلوم القرآن. وقد اشتهرنا في بلادنا والله الحمد بتأكيدنا على سلامة العقيدة والاهتمام بالسنة، وتقصي علوم القرآن الكريم، وتطبيق أحكام كتاب الله، فانعكس هذا على أبناء هذه البلاد الذين ينقلون فهماً صافياً لهذا الدين يدركون كنهه ويفقهون تعاليمه، ويصلون إلى الحكمة فيه وجوانب السعة واليسر، ويتعدون عن التفسير والتنفير.

والأمل أن تستمر سفارة خادم الحرمين الشريفين في واشنطن، وأن تستمر جامعة الإمام في تغذية هذه الدورات بالإمكانات والرجال، وأن تمتد هذه الأنشطة من حيث الوقت والمكان. وفق الله الجميع لما فيه الخير. وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة، العدد ٥٨٤٧

السبت ٢٠ صفر ١٤٠٩ هـ الموافق ١ أكتوبر ١٩٨٨ م

حملات توعية المسلمين (٢)

في عدد سابق تحدثت على حملات توعية المسلمين، وكان الحديث مركزاً على توعية المسلمين في الدول الصناعية، وأعطيت مثلاً بالدورات التي أقيمت في كل من أمريكا والمملكة المتحدة خلال العامين المنصرمين. ولعل الحديث على توعية المسلمين في المناطق الصناعية يجعل البعض يتساءل وما نصيب الدول غير الصناعية والمسماة بالنامية من حملات التوعية؟ والحق أن هذا تساؤل وارد ولا بد من البحث له عن إجابة.

وللبحث له عن إجابة لا بد أن نذكر جهود الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والدعوة والافتاء والإرشاد. فلهذه الجهة أيادٍ بيضاء مبسوطة - بفضل الله - على أكثر بقاع الأرض فلا تكاد تبحث عن مجموعة من المسلمين إلا وتجد بينهم من يعظهم ويعطيهم من العلم الذي أعطاه الله أياه. وخاصة أن هؤلاء يكونون قد تخرجوا من جامعات ومعاهد علمية إسلامية، فحصلوا على الخلفية الكافية التي تعينهم على السعي في تصحيح العقائد وتنوير المسلمين في مجال العبادات. وإذا ما استمر الطلب على مزيد من الدعاة فإنما ذلك ناتج عن زيادة الوعي وإدراك المسلمين لحاجتهم إلى العلماء، وتركهم الاتباع والتقليد لبعض أولئك

الذين ورثوا بعضاً من الطقوس اختلطت فيها تعاليم الإسلام بالموروث القلبي، وكان للنوعية فيها نصيب واضح باسم الإسلام، فأبعدت كثيرين ممن لم يدركوا أن هذا ليس من الإسلام. فإذا ما أدرك الناس أنه ليس من الدين ولا يقره العقل البشري المفكر تهافت المسلمون على العلماء يسألون ويستفتون وربما أحياناً يناقشون في قضايا أو تأثروا فيها بما كتب عن الإسلام من غير المسلمين.

وجهود الرئاسة العامة تذكر ولا تنسى، ولكنها لا تقبل بالإطراء بقدر ما تتوقع النقد الهادف الذي يبين لها وجوه التقصير فتحاول أن تتلافاه، وتلك علامة من علامات الإخلاص في العمل وابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى فيه. وإذا تضافرت جهود سفارات خادم الحرمين الشريفين مع جهود الرئاسة كانت الصورة أوضح، إذ يكون على السفارات ممثلة بأقسام الشؤون الدينية الدراسة وتقديم المعلومات وتهيئة الجو الملائم للدعاة الذين تتولاهام الرئاسة وتختارهم. فلا يكفي من السفارات أن تستقبل الدعاة، ولكن الرأي أن يكون لها أثر في اختيار الدعاة. والمسؤولون عن قسم الدعوة في الخارج في الرئاسة العامة يدركون مقومات الداعية في الخارج من حيث اللغة أولاً ومن حيث التفاعل مع البيئة وتقبل العيش بها والولوج في مجالات لابد من الولوج بها في سبيل تحقيق أكبر قدر ممكن من التأثير، فلا يتوقع مثلاً من الداعية في الخارج أن يبقى في منزله يرتاده الناس، ولا يتوقع من الداعية في الخارج أن يرى كثيراً من البدع والخرافات، فينهال عليها بالسب والشتم ومحاولة التغيير المباشر أو الاستسلام لها ومغادرة المكان الذي تنخر فيه، والبحث عن مكان صافٍ لا جهد فيه ولا عناء. ولا يتوقع في الداعية في الخارج ألا يجلس مع المسلمين فيأكل مما يأكلون ويشرب مما يشربون ويلبس مما يلبسون ما دام هذا كله داخلياً فيما أباحه الله تعالى. وهكذا.

والدعوة وحملات توعية المسلمين في المناطق المسماة بالنامية لا شك أنها أصعب وأشق من التوعية في المناطق المسماة بالصناعية، إذ تتطلب الدعوة في مناطق العالم الثالث مزيداً من الصبر والمعاناة، فليس كل شيء متوفراً، فهناك نقص في المواصلات، وهناك نقص في الاتصالات، وهناك نقص في المطبوع، وهناك نقص في الموارد، وربما يكون هناك إحساس بأن واجب الداعية يحتم عليه أن يوفر لهؤلاء كل المقومات المطلوبة لتسهيل مهمته. فإذا أضيف إلى هذا كله تفشي الأمية وشيوع الأمراض والفقر وجدنا أن الداعية يحتاج إلى أن يكون صاحب مجموعة من المواهب والقدرات. وليس هذا محاولة لوضع تصور عن الداعية في الخارج فلماذا أهله. ولكنه تذكير فقط للآخرين بأن المهمة غير يسيرة رغم أن لها رجالها.

وتجد هذه البلاد أن من واجبها أن تقوم بأثر فعال في توعية المسلمين في المناطق النامية من خلال الدعاة ومن خلال الدورات ومن خلال الوجود الإسلامي المدعوم من حكومة آت على نفسها حماية الإسلام الحق الذي جاء به القرآن الكريم وشرحته سنة المصطفى ﷺ. وبغض النظر عن نوعية هذا الوجود لكنه مطلوب ليسد النقص ويقضي على الثغرة التي قد يستغلها الآخرون فينطلقون منها مقدمين صورة غير صادقة عن الإسلام وعن المسلمين.

ولن يتوقف الأمر عند جهود الرئاسة العامة بل لا بد أن تساندها في هذا دور العلم في الجامعات السعودية والجامعات الإسلامية الأخرى تقدم الخبرات والعقول والإرادات المستعدة، فرسالة الجامعات السعودية والجامعات الإسلامية لا تتوقف عند الطالب والأستاذ والكتاب.

ومرة أخرى أعود لتجربة سفارة خادم الحرمين الشريفين في واشنطن في هذا المجال فأجد أنها تسهم في الحملة لتوعية المسلمين ليس

في أمريكا وبريطانيا فحسب، ولكن ربما في أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية وجزر الكاريبي وربما أبعد من ذلك. وأجد أن هناك دورة تعقد في نهاية هذا الشهر في دولة التريندات، تلكم الجزيرة القريبة من أمريكا الجنوبية حيث يقطنها مليون ونصف المليون، منهم مائة وخمسون ألفاً من المسلمين، وبها تسعون مسجداً وثمان مدارس إسلامية وكليتان للأولاد وكلية للبنات المسلمات، وفيها نشاط إسلامي يبشر بالخير. وتحتاج إلى المزيد من العلماء والدعاة مثلها في هذا مثل أي جالية مسلمة في كل مكان. ولكن الذي يميز التريندات أن رئيسها مسلم يثنى عليه، وأن رجالاً في الدولة مسلمون متعطشون للإسلام ويرحبون بالوجود الإسلامي في بلادهم، بل ويدعون له.

ولعل سفارات خادم الحرمين الشريفين تكثف من جهودها في هذا المجال مستعينة بالمؤسسات العلمية ذات الاستعداد القائم الآن للتزويد بالعلماء والدعاة والمفتين، ومستعينة بالجمعيات الخيرية التي تقدم جهوداً مشكورة في هذا المجال.

وليس هناك تفضيل لمكان على آخر، وإن كان هناك من يفضل تكثيف حملات توعية المسلمين في المناطق النامية، والكل يحتاج إلى مثل هذه الحملات وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة، العدد ٥٩٢٤

السبت ٨ جمادى الأولى ١٤٠٩ هـ. الموافق ١٧ ديسمبر ١٩٨٨ م

دورات الأئمة والدعاة.. والتبشير المضاد!

في الفترة من ١٥/١٢/١٤٠٩ هـ - ١٨/١/١٤١٠ هـ الموافق ١٨/٧ - ١٩/٨/١٩٨٩ م أقيمت في كل من فرنسا وألمانيا الاتحادية دورتان للأئمة والدعاة والداعيات. كانت مدة كل دورة أسبوعين، وكانت مليئة بالأنشطة «المنهجية وغير المنهجية» وقد تولت جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض مهمة الإشراف والإعداد للدورتين على غرار ما أقيم في كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا منذ عام ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م ورعتها سفارة خادم الحرمين الشريفين بالولايات المتحدة الأمريكية/ الشؤون الإسلامية.

وقد شارك في هاتين الدورتين ستة من أساتذة جامعة الإمام من المتخصصين في القرآن الكريم وعلومه، والسنة النبوية وعلومها، والفقه وأصوله، والعقيدة والمذاهب المعاصرة، والدعوة، وبالإضافة إلى هؤلاء الستة كانت هناك مشاركات من قبل بعض الضيوف المدعوين من فرنسا وألمانيا وتركيا والمملكة العربية السعودية قاموا بالقاء محاضرات على الدارسين في الفترات المسائية وقاموا كذلك بجولات على مدن فرنسا مثل باريس، وليل، ورامس، وديجون، وليون، وبوردو، ونيس، وعلى مدن ألمانيا الغربية مثل بريمن، وفرانكفورت وبرلين، وبون، وآخن،

وجوتنجن واوزنابروك ومونستر، وهامبورج، وميونخ بالإضافة إلى جولات تشمل إعداد خطب الجمعة وإلقائها والمحاضرات والدروس واللقاءات المفتوحة.

أما المشتركون في الدورتين فكانوا في الغالب من الجاليات المسلمة التي تقطن كلا من فرنسا وألمانيا، وقد شارك فيهما مسلمون من بقية البلاد كالسويد ويوغوسلافيا وتركيا وبولونيا، وبلجيكا، وهولندا، وبلغاريا، واليونان. وحيث إن المسلمين الأتراك في ألمانيا الغربية أغلبية فقد استعان المشرفون على الدورة بأربعة أساتذة من كلية الإلهيات بجامعة أنقرة بتركيا قاموا بتدريس العلوم المذكورة أعلاه باللغة التركية.

وكان عدد المشتركين في الدورتين مائة وتسعين من المشاركين والمشاركات كان منهم خمسة وتسعون مشاركا، وخمس عشرة مشاركة في فرنسا، وثمانون في ألمانيا الاتحادية. وقد أمنت للمشاركين وسائل النقل والسكن والإعاشة، هذا بالإضافة إلى المتوفر من الكتب والرسائل وهدايا توزع على المشتركين مع نهاية كل دورة.

*** وهذه الدورات تركز على الأئمة والدعاة من رؤساء المراكز الإسلامية وأئمة المساجد والمعنيين بالدعوة الإسلامية. ولذا تأتي مكثفة مليئة بالمعلومات، من خلال الدروس المنهجية التي يلقيها الأساتذة المتخصصون من المشايخ وطلبة العلم أو من المشاركين في المحاضرات التي تقدم للمشاركين في المساء. وكانت تلقى ست محاضرات يوميا عدا المحاضرة العامة المسائية واللقاء المفتوح الذي يعقب المحاضرة المسائية. وتركيزها على الأئمة والدعاة فيه تطلع إلى أن تنعكس آثار هذه الدورات على بقية المسلمين المقيمين في تلك البلاد. وهذا ملحوظ من خلال متابعة آثار الدورات السابقة. فقد وجد الأساتذة والمحاضرون شيئا كثيراً من النقاط التي علقت في أذهان أبناء الجاليات والتي احتاجت إلى

مزيد من الإيضاح . وكان بعض طلبة العلم لا يجدون مجالاً للراحة من كثرة ما يواجهونه من استفتاء واستفسار ونقاش وتصحيح معلومات حول جميع شؤون الحياة، مع التركيز على وضع المسلم في بلاد غير إسلامية وما يتعرض له من تحديات في المأكل والمشرب والملبس والأداء .

*** وهذا يؤكد فكرة طالما تردد الحديث فيها وهي أن المسلمين في أوروبا - عموماً - وفي أمريكا وربما في بلاد أخرى كأستراليا بحاجة ماسة إلى العلماء الشرعيين أكثر من حاجتهم إلى المفكرين الذين يركزون على عموميات الدين ويكون هذا التركيز غالباً على حساب الأمور التنفيذية من تصرف أو سلوك، المسلمون بحاجة إلى معرفة الحكم حوله . وربما لجأ بعض «المفكرين» إلى التصدر للفتيا وإطلاق الأحكام دون أساس راسخ من علم شرعي، فترى «التسبب» أحياناً في بعض الأحكام الواضحة، لو عاد هؤلاء المفكرون إلى مظانها، أو كانت لدى هؤلاء المفكرين الخلفية الشرعية الكافية . ولأن هذا المنهج هو الغالب في هذه المجتمعات تجد نسبة غير قليلة من المسلمين يجهلون كثيراً من الأحكام الشرعية التي تعينهم على تفسير بعض الظواهر التي تمر بها بقاع من العالم الإسلامي اليوم . ولذا كثر الخلط في أمور واضحة لدى طلبة العلم ممن قاموا بإيضاحها لمن حولهم فخفت حدة النقاش والجدل أمام حكم الله تعالى على بعض القضايا .

*** وتقوم هذه الدورات بجهد مقدر وواضح النتائج في سبيل التعمق في الإسلام والغوص الجاد في معاني الإيمان مما سيكون له آثار إيجابية على مجرى الدعوة الإسلامية على المدى البعيد، فالمعروف أن نتائج هذه الدورات غير مرهونة بزمن قريب إلا النتائج المباشرة من حيث الانطباعات التي تصل إلى القائمين على الدورة من خلال الاستبيانات التي توزع على المشتركين، وتطلب منهم الإجابة عليها بكل جدية وصراحة .

فتكون الإجابات دليلاً على التقويم العام للدورة وما يمكن أن يتلافى في دورات لاحقة.

*** ولذا وفي سبيل ترسيخ هذا العمق والزيادة في الغوص في معاني الإيمان لابد من العمل على تكرار مثل هذه الدورات، ليس بالضرورة في البلد نفسه الذي أقيمت فيه من قبل، ولكن المهم أن تقام بشكل دوري تتاح فيه الفرصة لأكبر قدر من المشتركين من القائمين على العمل الاسلامي في البلاد الأخرى، وربما لزم التنويه هنا إلى عدم إغفال بلاد بعض المسلمين في آسيا وأفريقيا ممن هم بحاجة أيضاً إلى أن تقدم لهم الصورة الصادقة عن الإسلام بعد أن علق بها كثير من الغش من قبل أولئك الذين يتحدثون باسم الإسلام وهم في الغالب بعيدون عن الإسلام، أو يجهلون حقيقة الإسلام. وفي البلاد الإسلامية الأخرى كثير من السلوكيات الملتصقة جهلاً بالإسلام، وهي مجرد عادات أو تقاليد محلية اختلطت بتعاليم الإسلام واعتبرت جزءاً بارزاً فيه، وأخذها الآخرون - من غير المسلمين - حجة على الإسلام، بل جعلوها المقياس الذي بنوا عليه الحكم على الإسلام. وعلينا ألا نغفل الأثر الذي تؤديه هذه الدورات في سبيل تصحيح المفاهيم، ولذا لزم أن تشمل البلاد الإسلامية بالإضافة إلى خروجها إلى أوروبا وأمريكا.

*** والحق أن هاتين القارتين محظوظتان في توجه الدعوة الإسلامية لهما، فهما مجتمعان خصبان لدعوة الحق، ولأبأس من تضافر الجهود والتوسع في الجهود الموجهة إلى البلاد الإسلامية إضافة للجهود القائمة الآن، وهي جهود تشكر ولا تنكر، تقوم بها معاهد ومراكز ومؤسسات وهيئات إسلامية مختلفة، منطلق بعضها من هذه البلاد الطيبة، وينال البعض الآخر منها الدعم والرعاية أيضاً من قادة هذه البلاد، وقد أقامت جامعة الإمام مجموعة من الدورات في كل من الفلبين وماليزيا

وغانا والصومال وكينيا وغيرها من البلاد الآسيوية والإفريقية، والتركيز هنا على تكثيف مثل هذه الأنشطة.

*** وغالباً ما يخرج الأساتذة المشاركون بالانطباعية أن المجموعات التي يتعاملون معها تحتاج إلى المزيد من مثل هذه الجهود، وهؤلاء الأساتذة وأترابهم - ولا نزيكهم على الله - هم خير من يقوم بمثل هذه المهمات. والبلاد السعودية وكثير من بلاد المسلمين مليئة بفضل الله تعالى بهذه الطاقات العلمية الشابة في علميتها والتي تغوص في أعماق العلم الشرعي بحثاً ودراسة وتحليلاً. والحق يقال إن هذه البلاد تشق طريقها مطرداً في القيادة العلمية للعالم الإسلامي، يبرز من خلال هذه الجهود العلمية والدعوة التي يقودها رجال العلم في هذه البلاد من أبناء البلاد وممن تلقوا العلم على رجال العلم في هذه البلاد.

التبشير المضاد..!

لا يرتاح البعض لتكرار مصطلحات يغلب استخدامها على ظواهر شاعت في المجتمع الإسلامي وغير الإسلامي كالتبشير، ويفضل أن يقال التنصير لأنه يعبر عن نظرنا لهذه الحملات، وإن كان التنصير قد تحول من إدخال المسلمين في النصرانية بعد إخراجهم من الإسلام إلى إخراجهم من الإسلام فحسب.

ولعل هذه الدورات التي نحن بصدد الحديث عليها تشكل جانباً من جوانب التبشير المضاد، حيث تقوم بتحقيق مجموعة من الخطوات نحو إيضاح الصورة الحقيقية للإسلام بين الجاليات المسلمة في كل مكان. ومتى ما وضحت الصورة وزال عنها الغبش لن يكون هناك مجال للتنصير في البلاد الإسلامية وبين الجاليات المسلمة.

والدورات تشكل جانباً واحداً من جوانب عدة للتبشير المضاد،

وتقوم بها الهيئات العلمية، كما تقوم بها جامعة الإمام الآن، وعلى الهيئات الاجتماعية القيام بتحقيق بعض الجوانب الأخرى تزاملاً في هذا هيئات دينية وعربية لا تركز على الدعوة المباشرة لأنها تريد تحقيق فكرة التبشير المضاد، فعليها تأمين سبل العيش من إقامة المستشفيات وإقامة المدارس والمعاهد المهنية والفنية بالإضافة إلى عمارة المساجد في الأوساط المسلمة. ولذا فإن المهمة ليست كما يتصور البعض على جانب من السهولة، ولكنها في الوقت ذاته ليست على جانب من جوانب الاستحالة والصعوبة المتعددة، لأن هناك جهوداً قائمة اليوم تقدم خدمات طبية ودراسية جلية للمسلمين في أدغال أفريقيا. وقد تكرر الحديث في هذا الموضوع في أكثر من مجال.

والتأكيد على تكرار الحديث يأتي بسبب أن الأمر عزيز على النفس، وكلما وجد المرء خطوة نحو تحقيق الوجود الإسلامي بين المسلمين تفتحت لديه أبواب الأمل في أن يعم الخير بلاد المسلمين ويشع نور الإسلام على مجتمعات طالما تخبطت في الظلام، ولا بد من التأكيد أيضاً على أن هذه الجهود المشكورة تعد خطوات في طريق طويل طالما طرقة غيرنا من المنصرين والمستعمرين. وفق الله القائمين على هذه الجهود وشكر الله لهم إصرارهم على إنجاز هذه الدورات، وجعلها في ميزان أعمالهم. وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة، العدد ٦١٩١

الأحد ١٠ صفر ١٤١٠ هـ الموافق ١٠ سبتمبر ١٩٨٩ م

أوروبا .. وألف ألف مصحف !

من ضمن فعاليات مهرجان الجنادرية السادس «المهرجان الوطني للتراث والثقافية» إقامة الدورة الثقافية الكبرى والندوات الفكرية على مدى تسعة أيام. وكان من بين الندوات الفكرية محاضرة يوم الاثنين ٨/٨/١٤١٠ هـ ٣/٥/١٩٩٠ م حول وحدة أوروبا القادمة وأثرها على المستقبل العربي، وقدمها الأستاذ السيد ياسين من مؤسسة الأهرام الصحفية بجمهورية مصر العربية. وأدارها الدكتور عبد الله القويز الأمين العام المساعد للأمانة العامة لمجلس التعاون بدول الخليج العربية للشؤون الاقتصادية، وعلق عليها إثنان أحدهما الأمين العام المساعد للأمانة العامة لمجلس التعاون بدول الخليج العربية للشؤون السياسية، والآخر الدكتور هيثم الكيلاني أحد «المفكرين» العرب.

وكنت ممن حضروا الندوة «المحاضرة» وتوقعت منها الشيء الذي لم أجد فيه لأنها ركزت على الجانبين السياسي والاقتصادي، وكان رسم السياسة العربية مبنياً على هذين الجانبين، إلا أن الدكتور هيثم الكيلاني أكد على أن علاقة الدول العربية بأوروبا علاقة قديمة، وأن الخلفية التي طغت علي هذه العلاقة هي الخلفية الدينية الواضحة مهما حاول البعض أن يعطيها قليلاً من الأهمية. ويؤكد الكيلاني على أن أوروبا لا يمكن أن

تتصرف مع العرب بمعزل عن هذه الخلفية التي كانت ممثلة في الصراع العقيدي أثناء الحروب الصليبية، وبعد الحروب الصليبية أثناء فترة الاستعمار المباشر. ولا تزال هذه الخلفية ممثلة في هذا الصراع. ولذا فإن أثر أوروبا على المستقبل العربي لن يتخلى عن هذه الخلفية، ومع هذا فهناك من يريد من أوروبا أن تنظر للعالم العربي على أنه «أمة» جمعها اللسان، وليس لها الآن إصرار على الخلفية التي رسخت في الأذهان. وهذه نظرة لا يبدو منها أنها مقنعة للعرب أنفسهم وللأوروبيين كذلك. وعليه فإن العلاقة بين أوروبا والمستقبل والعرب اليوم والمستقبل علاقة تقوم على وضع الدين واحداً من المؤثرات في هذه العلاقة.

وفي أوروبا مسلمون وبين العرب مسيحيون. والعرب يريدون ضمانات لحرية الاعتقاد لآخوانهم المسلمين في أوروبا من عرب وغير عرب. والأوروبيون يبحثون عن الضمانات التي يكفلها الإسلام لآخوانهم النصارى والمسيحيين العرب الذين يعيشون بين المسلمين، بغض النظر عن كون هؤلاء النصارى من الكاثوليك أو الأرثوذكس أو ربما كانوا من البروتستانت على قلة فيهم، ويعلمون هناك أن الإسلام يعامل أهل الكتاب معاملة خاصة ما كانوا تحت ظل الإسلام وقبلوا برعايته لهم. فالخلفية لديهم - كما أكدت - موجودة والمعلومات عندهم متوافرة.

الجاليات الإسلامية

وإذا كانت الجاليات المسلمة في أوروبا الغربية تتمتع بميزات الديمقراطية، ويسمح لها بإقامة المراكز والمساجد والمتاجر والمدارس ويفوز فيها الحجاب في ألمانيا ثم بريطانيا ثم فرنسا، إلا أن وحدة أوروبا القادمة المرسوم لها ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م وما بعد هذا التاريخ سوف تضم أوروبا الشرقية التي لا تزال في حالة إفاقة من «الكابوس» الذي حل بها

طيلة السبعين عاما المنصرمة . وهذا زمن يصعب معه الانتقال المفاجيء إلى نظام مناقض تماماً للنظام الذي عاش فيه ونشأ عليه ثلاثة أجيال من بني أوروبا الشرقية على الأقل . وإذا كانت ألمانيا تسعى اليوم إلى الوحدة بين شطريها فلا يتوقع أن تتم هذه الوحدة بين عشية وضحاها .

وهذا الانغلاق كان له أثره على الأقلية المسلمة في أوروبا الشرقية التي هي من أبناء البلاد، وليست جاليات عربية وهندية وباكستانية وبنغالية وفدت إليها قصداً إلى البحث عن فرص العمل، وهؤلاء المواطنون كادوا أن ينسوا الإسلام مع غياب فرص الدعوة والنشاط الإسلامي والتضييق على الحريصين على تطبيق شرع الله فيهم في تلك البلدان، حتى فيما يتعلق بالأحوال المدنية من نكاح وطلاق وتسمية الأبناء، إضافة إلى إقامة الشعائر الدينية، كالصيام والصلاة المكتوبة وصلاة العيدين والسفر لأداء فريضة الحج أو العمرة، وهؤلاء أيضاً بحاجة إلى وقت ليعودوا إلى دينهم الذي يصرون على التمسك به، ولكن مع قليل من العلم الصحيح الذي أدى بهم إلى أن تنفشى بينهم الطرقية والدروشة .

هؤلاء يقيسون الآخرين عليهم غافلين عن حقيقة أنهم نشأوا على الصفاء، وتعلموا هذا الصفاء في السنوات الأولى من دراستهم . وكانت أمامهم مجموعة غير يسيرة من الرجال القدوة، وكان الحكم فيهم منبعثاً من عقيدتهم، وكان الغريب عندهم أو يروا شيئاً لا يتفق مع هذا النهج من تصرفات أفراد أو جماعات .

وجانب مهم في هذا المجال يحسن الوقوف عنده هو أن جزءاً غير يسير من المسلمين في المحيط العربي باتوا يجهلون أن هناك جمهوريات إسلامية كاملة قوامها الملايين من المسلمين في الاتحاد السوفيتي، وأن هناك أقليات إسلامية غير يسيرة العدد في بقية دول أوروبا الشرقية وصلت إلى حكم الدول، وكان هذه الفئة من المسلمين أضحت في ذمة التاريخ .

وأصبحت الأسماء مثل بخارى وسمرقند وطشقند وأذربيجان وطاجكستان وغيرها من معالم التاريخ التي خلفت لنا اعلاماً إذا ما ذكرت أسماءهم راحت الذاكرة تتخبط في مجاهل الماضي. وما علم هؤلاء أن الأحفاد لا يزالون يحاولون السير على خطى الأجداد.

المليون مصحف

ولعل من معالم التغيير الذي يحتاج إلى وقفات قدرة رابطة العالم الإسلامي على إرسال مليون مصحف من القرآن الكريم مما أنتجه مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة. ومنظمة المؤتمر الإسلامي حاولت حصر الأقليات المسلمة في كل من الصين الشعبية والهند والاتحاد السوفيتي فأوصلهم إلى ما يزيد عن مائتي مليون «٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠» مسلم، ومن هؤلاء ما يزيد على خمسين مليون «٥٠,٠٠٠,٠٠٠» مسلم في جمهوريات الاتحاد السوفيتي الإسلامية الست وهي أذربيجان، وأوزبكستان، وتركمانستان، وطاجكستان، وكازاخستان، وقرغيزيا، وهؤلاء لا يمثلون حوالي ربع سكان الاتحاد السوفيتي. ويعني هذا أننا بحاجة إلى ما يزيد على خمسين مليون نسخة من القرآن الكريم توزع على المسلمين في هذه البلاد وفي بلاد أوروبا الشرقية. علماً أن واقع الحال أن هؤلاء لن يقرأوا القرآن الكريم جميعهم، فهذا أمر معلوم، ولكن التغيير سيعين على الإقبال على هذا الكتاب العظيم. ليس بالضرورة بقراءته ولكن بمحاولة التمشي مع تعاليمه، وهذا جانب يضيف شيئاً أكبر من مجرد إرسال النسخ من القرآن الكريم، أمور أصبحت اليوم من أولويات العمل الإسلامي في مقابلة وحدة أوروبا، ولكن الصلة التي فرضتها طبيعة الاتحاد جعلت الجزء الآسيوي من الاتحاد يكون تبعاً للجزء الأوروبي. فيكون قابلاً للتطورات التي تحصل في أوروبا الشرقية على الخصوص.

ولمن يجهلون هذه الجمهوريات الست نجد أن الدكتور محمد عبد العليم مرسي يبسط لنا بعض الأرقام التي تعين على التعرف العام على الأوضاع العلمية والإعلامية والثقافية. جاء في هذا الكتاب الذي أصدرته إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية هذا العام ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م وكتبه الدكتور مرسي بعنوان «أفغانستان المجاهدة أمانة في أعناق المسلمين». وفي الجمهوريات الست أكثر من ١٢٥ جامعة ومعهداً عالياً يدرس فيها مئات الآلاف من الطلاب والطالبات. وبها أكثر من ثلاثين ألف «٣٠,٠٠٠» مدرسة ثانوية ومدارس ثانوية متخصصة أخرى. ويصدر بها «١٠٠٠» ألف صحيفة يومية وستمائة «٦٠٠» دورية علمية وثقافية وبها أكثر من ١٣٥ مؤسسة للبحث، و«٣٠,٠٠٠» مكتبة تحوي عشرات الملايين من العناوين.

وكل هذه الاشارات تقوي فكرة أن إرسال مليون نسخة من القرآن الكريم إنما يعد إشارة أو بداية لعمل طويل الأجل. وهذا يضيف من المسؤوليات على المسلمين مهمات أخرى هم حريون بالقيام بها. في الوقت الذي نرى فيه اليهود يستفيدون فائدة مباشرة من التغيير. فهذه مئات الآلاف منهم تهاجر من الاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية إلى أوروبا الغربية وأمريكا، ثم إلى فلسطين المحتلة ليزداد سوادهم ظناً منهم أنهم بهذا يرهبون العرب ويدفعونهم إلى الرضى بالأمر الواقع، وقبول دولة اليهود بتوسعاتها وتطلعاتها. وما علموا ولا نعلم ما سيكون المصير. ولكننا ندرك أننا إذا ظللنا على مستوى المسؤولية فلن يضيرنا العدد القادم في الوقت الذي يهمننا فيه العدد الباقي من أبناء الأمة في كل من الاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية والصين الشعبية التي لا بد لها من الاهتزاز مع ما اهتز من بلاد حكمتها الشيوعية البشعة. والأهمية هذه ليست وقتية ولم تكن وليدة الأحداث عنها مع التفاعل الذي جرته أحداث أخيرة عصفت بأوروبا الشرقية ولا تزال تعصف بها.

ولعل المجال يسمح بالتعرف على هذه الجزئية من البلاد الإسلامية في وقفات أخرى قادمة بإذن الله نحاول خلالها تحديد حجم المسؤولية الملقاة على عواتق رجال الأمة ممن يباشرون العمل بأنفسهم أو يقفون عوناً لهم بعد الله داعمين مشجعين موجهين ومتخذي قرار. وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة، العدد ٦٣٨٠

الأحد ٢١ شعبان ١٤١٠ هـ الموافق ١٨ مارس ١٩٩٠ م

الأمر بالمعروف .. وضبط المجتمعات !

الحديث عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حديث ذو شجون، وأصبح حديث كثير من المجالس بين مؤيد للمفهوم والفكرة، ومتحفظ على المفهوم والفكرة والأساليب. وليس كل المتحفظين على المفهوم لا يريدونه تماماً، فهم يدركون أن هناك ضوابط ينبغي أن توجد في أي مجتمع مهما كانت توجهات هذا المجتمع، ولكنهم في الغالب ينظرون إلى ما هو موجود في مجتمعات أخرى تعد متقدمة على مجتمعاتنا من وجهة نظرهم، فيسعون إلى نقل السلوك الموجود في هذه المجتمعات إلى مجتمعاتنا التي تُرمى بأنها نامية أو غير متقدمة.

والنظر في المجتمعات المتقدمة يوصل الناظر إلى أن مسألة دعوة الناس إلى الالتزام بالمنهج مسألة غير واضحة في هذه المجتمعات، لأنها لا تؤمن بمنهج موحد تجمع الناس عليه إلا ما يتعلق بالنظام السياسي. ومسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليست بالضرورة داخلة في هذين النظامين، بل يدخلها الناظرون في المجتمعات الأخرى في حدود الحرية الفردية أو السلوكيات الخاصة بالأفراد. وهنا يأتي اللبس في المحاولات القائمة لنقل طبائع الآخرين وعاداتهم إلى أن تكون منهجاً وسلوكاً.

ومنشأ اللبس هو عدم الاستقرار على تعريف موحد للحرية الفردية أو السلوكيات الخاصة بالأفراد، ولا ينبع هذا التعريف لو توحد من تشريع يكفل سلامة استخدام الحرية الفردية في مقابل متطلبات المجتمع وفي مقابل التعليمات المنهجية - وهذه هي المهمة التي يغفلها الناظرون في المجتمعات المتقدمة، وحتى لا يظن بإقرار هذا الإطلاق «المجتمعات المتقدمة» فإني أؤكد على استخدام العبارة بالمفهوم الذهني عند الناس وليس بالضرورة بالمفهوم الحقيقي الواقعي .

وينبغي لمن يتحدث على أي سلوك اجتماعي أن ينشأ من أساس قام عليه هذا السلوك الاجتماعي . وينبغي أن ندرك أن السلوكيات الاجتماعية تقوم على مفهومات عقدية تتطلب الإيمان بها بغض النظر عن مصدر هذه المفهومات العقيدية، فيكفي أن تقول إن السلوكيات الاجتماعية صادرة عن معتقدات، وهذه المعتقدات قد تكون ربانية أو وضعية نظرية أو محلية قامت على العرف والعادات .

ونحن في هذا المجتمع المسلم في المملكة العربية السعودية وفي غيرها من بلاد المجتمع المسلم ننطلق في سلوكياتنا الاجتماعية والفردية من مفهوم عقيدي رباني خالص . . وينبغي أن ننظر إلى هذه السلوكيات من هذا المنظور وحسب، فنحن في سلوكنا مع أنفسنا ومع الآخرين نزن أي تصرف بميزان مدى قبوله من الخالق أو عدم قبوله، وليس في هذا أي تردد بل هو ضبط للسلوك حتى لا نضر أنفسنا ولا نضر مجتمعاتنا في سلوكياتنا غير المضبوطة .

ومن ضوابط السلوك الفردي والاجتماعي ما هو بيد الفرد نفسه وما هو بيد السلطة الشرعية التي تقوم لتحكم الفرد والمجتمع بمقتضى المفهوم العقيدي الذي تنطلق منه . والقصد هنا السلطة التنفيذية فقط لأن السلطة التشريعية قد قامت منذ أن نزلت آخر آية على نبينا - محمد صلى الله عليه

وسلم - ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾. فلم يبق لنا إلا فهم الجانب التشريعي فهماً صحيحاً. ويدخل في هذا الاجتهاد والقياس، ومن ثم تطبيقه على الواقع من خلال السلطة العليا في البلاد، وهي التي تملي على السلطة التنفيذية ما ينبغي عليها أن تنفذه.

وفي المجلد الثامن والعشرين من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -، وهو المجلد المخصص للحديث على الجهاد، يتحدث شيخ الإسلام ابن تيمية على مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حديثاً بديعاً يحسن الرجوع إليه من كل من يريد الخروج بفهم علمي لهذا الجانب في حياة الفرد والجماعة. ومن جملة ما يذكره شيخ الإسلام أن مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسألة صاحبت قيام المجتمعات البشرية منذ القدم. ويذكر أيضاً أن في طبيعة البشر السعي إلى الضبط ولكنهم بحاجة إلى توجيه هذا الضبط، فإن لم يأمروا بالمعروف أمروا بالمنكر وإن لم ينهوا عن المنكر نهوا عن المعروف، وإن لم يتضح الضابط ويطبق على الحال ظهرت عناصر بالمجتمع تطبق المفهوم دون ضابط، هذا مع العلم أن في البشر عناصر يهملها أن يغلب الشر الخير، وهذه عناصر موجودة في كل زمان ومكان، لأن الصراع بين الحق والباطل موجود في كل زمان ومكان.

والإسلام الضابط لسلوك الأفراد والجماعات جاء بمفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر امتداداً لما هو موجود من قبل، مع شيء من التوجيه يتناسب مع فطرة الإنسان مع ضمان الأمان للأفراد والجماعات، ونحن بحكم إيماننا المطلق بكمال الدين لا نعتقد أن في هذا المفهوم نقصاً، كما أننا لا نعتقد نقصاً في أي مفهوم جاء به الإسلام.

وتبقى مسألة الوسائل التي ينفذ بها المفهوم والوسائل تختلف

باختلاف الزمان كما تختلف باختلاف المكان أيضاً، والوسائل غير ثابتة ولا هي وقفية، بل تخضع للتعديل والتبديل والمراجعة ومواكبة العصر، والمهم فيها أن تحقق الأهداف بعيداً عن أن تحدث هي شيئاً من القصور أو التقصير في سبيل الوصول إلى الأهداف.

وإذا ما وصلنا بعد هذا كله إلى أن المفهوم وارد ومطلوب في أي مجتمع، فإننا حينئذ سنصل إلى نقاش الوسائل. أما إذا لم يتفق على المفهوم وعلى ضرورته في أي مجتمع فليس هناك تلاق في الأهداف وليس هناك ما يدعو إلى الوقوف عند الوسائل قبل أن تتلاقى الغايات ويتفق عليها.

والوسائل أدوات يسيرها البشر، والبشر معرضون للخطأ، ولكنهم في العموم يعمدون إلى الصواب، وهنا تتدخل النيات، وتعتمد الصواب يقوم أحياناً على الاجتهاد. والاجتهاد يبنى على معرفة سابقة أو خلفية عن الموضوع المجتهد فيه، ولذا قيل أن المجتهد إذا أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد، مع ملاحظة إذا وإن في التعبير هنا لأنهما مقصودتان، والخطأ هنا قليل ولكنه يحمل عادة على قولهم. حسنات الأبرار سيئات المقربين. وأحياناً يصل الأمر إلى تعميم الخطأ. وهذا خلط ينبغي التجرد منه في سبيل الوصول إلى حكم موضوعي، في الوقت الذي يحسن فيه الاتجاه إلى الجوانب الحسنة التي تضيفها هذه الأدوات والوسائل المنفذة من البشر على المجتمع الذي يسعى إلى حياة أفضل تقود إلى حياة أخرى أفضل منها بكثير.

ولا يمكن بحكم التجارب والواقع أن يقوم أي مجتمع دون ضوابط، ولا يمكن إلا أن تتضافر الجهود في تحديد الوسائل للضوابط وتنفيذها لقيام مجتمع فاضل، ولا يصلح القوم فوضى لا سرة لهم. ومن هذا المنطلق ننظر إلى هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على أنها

جزء من مجموعة أجزاء تُكوّن في مجموعها فريقاً يسعى إلى ضبط المجتمع وحمايته، مما يمكن أن يؤثر في بنائه، وعليه فإننا بحاجة جميعاً إلى الوقوف مع هذه الجهات نعينها بالتعاون معها بالنصيحة والمشورة والدلالة على مكامن الضعف واقتراح وسائل أفضل، ولا أخالها جميعاً إلا ترحب بمثل هذا الأسلوب في التعاون، فلها منا الدعاء بالتوفيق، وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة، العدد ٧٠٤٦

الاثنين ٩ رجب ١٤١٢ هـ - ١٣ يناير ١٩٩٢ م

ما يراد من الخطباء تجاه المرأة: الأم

ظهرت في الآونة الأخيرة وجهات نظر في بعض عالمنا الإسلامي تؤيد فكرة إقامة دور للمسنين تقوم برعايتهم والعناية بهم. وجزء من هؤلاء المسنين ربما كان من الأمهات اللاتي أنفقن ما أنفقن في سبيل رعاية وتربية الأولاد ذكوراً وإناثاً بقدر ما أوتين من القدرة على التربية والرعاية.

ويقول البعض إنه ليس من الضرورة أن تكون دور المسنين لأولئكم الذين رزقوا بالأولاد، وإنما هي دور ترعى هؤلاء الذين لم يبق لهم في المجتمع إلا اللجوء إلى مؤسسات اجتماعية يبحثون فيها عن الستر والصون. وأعلم أن هناك شيخاً ضريراً مسناً تقطعت به الأسباب المادية، ولكنه كان قوي العلاقة مع الله سبحانه وتعالى فيرزقه تعالى من يقدم إليه من مكان بعيد ويحمله معه في منزله وبين أولاده ويتردد به على الأطباء والمستشفيات، ولسان حال هذا الشيخ يلهج بالدعاء لابن الحلال حتى توفاه الله فما خسر صاحبنا شيئاً، بل لعله فاز فوزاً لا يقدر بالجهد الذي بذله في سبيل العناية بهذا الشيخ الكبير.

وهذا هو منطلقنا في هذا المجتمع بخاصة وفي المجتمع المسلم عموماً تجاه المسنين ومنهم الأمهات. ومرة أخرى لن أعمد في هذا

الحديث لأبين فضل الأم وما ورد في مقامها من آيات وأحاديث وأقوال للعلماء، فتلكم مهمة مؤكدة. فلقد درسنا في السنوات الأولى من الابتدائية كل ما في البيت عندي لا يفي أمي الجزاء.. ولا أدري هل لا تزال هذه القطعة في كتاب «المحفوظات» أم لا؟

ومرة أخرى كذلك أضع الأئمة والخطباء ورجال العلم مجالاً للحديث فيما يتعلق بموقف المجتمع عموماً من الأم وموقف الأبناء - ذكوراً وإناثاً - منها. ولا بد من التأكيد هنا على هذا القانون العجيب في حياة الأمم الذي اختصر في عبارة جميلة: «أعمل ما شئت، كما تدين تدان». وقد ذكره العامة بعبارة أخرى مؤداها أن المرء إذا عمل للآخرين عملاً سيعمل له الآخرون كما هذا العمل، (ما سوّيت سوّي بك). وليس بالضرورة أن يكون هؤلاء الآخرون هم بأنفسهم من تلقوا المعاملة من الشخص. فالذي يعق والديه مثلاً يعقه أبنائه، وتتردد قصص عربية وشعبية تؤيد هذا التعادل.

والرجال عموماً أكثر خوفاً من العقوق لأمهاتهم نظراً لارتباطهم بزوجاتهم، ونظراً لما يحصل من عدم انسجام بين الأم التي تتوقع شيئاً من الانتباه الأكثر من ابنها فلذة كبدها، وبين الزوجة التي تشعر أن أم زوجها تنافسها في حبه في كثير من الأحيان وفي كثير من المواقف. كل ذلك يمكن أن يتطور ويصل إلى حدود غير مرغوب فيها إن لم يكن للوازع الديني أثر في هذه العلاقة، ولم يكن للابن «الزوج» أثر في توضيح العلاقة بينه وبين والدته وبينه وبين زوجته.

والأم حتماً هي العامل المؤثر الأول في العلاقة، وتبقى مؤثرات أخرى تحدد العلاقة بين الأم وأبنائها. قد تكون علاقة الزوج بزوجه أو بأبنائه أو بهما معاً، كما أن عامل الشباب لدى الأبناء له أثره على هذه العلاقة التي أوجبها الدين الحنيف حيال الأم حتى يتزوج الابن ويرزق

بالأبناء، حينذاك يمكن أن يكون إدراكه أكثر واقعية، وقد يتجاهل البعض الآخر أن يكون هناك علاقة، ولعلنا سمعنا بما قيل من أن واجب الأم يتوقف عندما يصل الابن إلى درجة يستطيع فيها أن يعتمد على نفسه. ولنلاحظ أن هناك إحياء من قبل كثير من منظري علوم الاجتماع في الغرب وفي الشرق بأن ما تقوم به الأم إنما هو واجب عليها تجاه أبنائها، ولكننا قد لا نلاحظ بالمقابل أي إحياء بأن ما يجب أن يقوم به الأبناء تجاه أمهاتهم إنما هو من واجباتهم تجاه هذه الأمهات.

كيف يستطيع الخطباء ورجال العلم أن يركزوا فكرة «البر» بالوالدين في المجتمع؟ هل العصر يفرض أسلوباً آخر أو شكلاً آخر من أشكال ترسيخ فكرة البر؟ هل يكفي أن يقف الخطباء ورجال العلم من موقف الأبناء من أمهاتهم موقف المدافع؟ فيبينون فضل الأم وما يجب لها من حقوق على أبنائها مع التعرض من قريب أو بعيد للمجتمعات الأخرى التي كثرت فيها مؤسسات رعاية المسنين، فأصبح المسنون آلة أو أداة ووسيلة للرزق، بل وللتجربة، وأصبح المسنون مجالاً للإحياء بالمنة عندما تربت على أكتافهم الممرضة أو الأخصائية الاجتماعية أو تتبسط معهم مديرة الدار. إن أمثلة العقوق كثيرة جداً صبغت بأصباغ مختلفة، ولكن الجوهر واحد ينصب في مفهوم العقوق. وللعقوق جزاؤه عاجلاً وآجلاً، ولعل من المطلوب تبيانه أن الحياة - المؤقتة - لا يمكن أن تصفو لشخص ما دام يمارس في حياته طرقاً تتنافى أو تتعارض مع سنة هذه الحياة ومع سنة الله في تسيير هذا الكون.

ولا يريد أن يصل المرء إلى مقياس أن كثرة مؤسسات العناية بالمسنين إنما هي دليل صريح على كثرة العقوق في المجتمع، والذي يبدو أن المرء يمكن أن يصل إلى هذا الافتراض وهو مطمئن. بل ربما ذهب إلى أكثر من هذا، بحيث يصل إلى مقياس أن كثرة مؤسسات العناية

بالمسنيين في بلاد الغرب والشرق إنما هي سبب في كثرة النوازل والنوازل التي تحل بتلك المجتمعات على مستوى الأفراد والجماعات. ولعل الخطباء ورجال العلم يستطيعون الربط بين هذا وذاك، كما استطاعوا الربط بين قلة المطر والإحجام عن دفع الزكاة. وكما استطاعوا الربط بين قدرة الخالق سبحانه وتعالى وبين النوازل الأخرى التي تحل بالعالم بالأمس واليوم وربما غداً، بدلاً من التفسير المادي «العلمي» لهذه النوازل. وذلكم أيضاً مفهوم عام يحتاج إلى وقفة أخرى تناقش فيها فكرة «التفسير العلمي» عندما يراد به تفسيراً مادياً للظواهر في مقابل التفسير الديني لها، وكأن هناك فصلاً قوياً بين التفسير العلمي والتفسير الديني، بينما القدرة الإلهية هي الأساس المكين لكل مكتسبات الإنسان في هذا الكون ولعقوق الوالدين أثر كبير في الوصول إلى تفسير النوازل.

إن مسؤولية العلماء والخطباء لا تتوقف عند ذكر الدليل، ولكنها تتطلب من هؤلاء الذين رَضُوا بحمل هذه الأمانة أن يدخلوا إلى العقول والقلوب، فيرسخوا المفاهيم الإسلامية التي شملت وتشمل كل شيء. ولهذا الهدف مقوماته التي تعين على الوصول إليه منها قدرة الخطيب على الإحاطة الكاملة: بعلوم الدين ومستجدات الحياة. وكان الله في عون الجميع.

ما يراد من الخطباء إزاء المرأة .. الزوجة

الحديث عن المرأة حديث غير منضبط في كثير من الأحيان، فالكثيرون يتحدثون عليها، وتحدث هي على نفسها، وقد واجهت وتواجه كثيراً من التحديات في كثير من المجتمعات. التحديات هذه ناتجة عن عدم فهم شامل للمرأة وما تريده من الحياة وما يراد منها في الحياة.. وكثيراً ما أسيء فهم المتحدثين على المرأة بسبب حساسية الحديث عليها، فنرى البعض يخطب ودها إما بالتلطف لها أو بالقسوة عليها أو بتحميلها أكثر مما تحتمل، مع أنها تحتمل الكثير، من صفات الجمال في الطباع والتعقل أو بالقدح فيها باسم خدمتها، وليس هذا بالجديد على المرأة. والمرأة امرأة قبل كل شيء هي أم وزوج وبنت، ثم هي مربية أو عاملة بالمعنى الذي يحدده دينها للمرأة العاملة. ولكل جزئية من هذه الجزئيات وقفة خاصة يتوقع من رجال العلم والخطباء والوعاظ إعطاؤها ما تستحق من الاهتمام والتوعية، بحيث يتضح تماماً أمام الناس النظرة الصحيحة غير المغلوطة للمرأة في هذا المجتمع أو ذلك.. فتتنزع منه بعض المفهومات الموروثة أو الوافدة التي لا تفتأ تسيء للمرأة وتملي على أفراد من المجتمع الإسلامي الواسع الإساءة إليها حسب ما قد تستغله من مفاهيم مغلوطة عنها.

وتجزئة المرأة إلى أم وزوج وبنت إنما هو فقط لتسليط الضوء على كل جزئية على حدة ولا يعني هذا بحال تصنيف المرأة، فالأم زوجة ثم أم والبنت ستكون زوجاً ثم أما وهكذا.

وجزئية المرأة كزوجة هي التي تحتاج إلى وقفات طويلة جداً على اعتبار أن هناك فهماً خاطئاً لوظيفة الزوجة في كثير من البلدان الإسلامية. وهي حقاً زوج وليست زوجة وعلينا ألا نغفل ما وراء هذا التعبير الدقيق، وإنما قلنا زوجة وكررنا كلمة زوجة كجزء من هذا المفهوم العام الخاطيء لوظيفة الزوجة.

وفي الوقت الذي نحاول فيه الابتعاد التام عن المثالية و «القولبة» والنظرة القاصرة أو العاطفية للزوجة لا نملك إلا أن نصر على أن هناك فهماً خاطئاً لمفهوم الزوجة. على أن القارئ لن يجد محاولة لوضع المفهوم الصحيح للزوجة، فيترك هذا لرجال العلم والخطباء والوعاظ المتوقع منهم أن يكونوا قدوة، ليس في معلوماتهم عن مفهوم مهام الزوجة فحسب، ولكن أيضاً في بث الوعظ والإرشاد التربوي المنطلق من قواعد السلوك الإسلامي الرشيد لرسالة المرأة كزوجة وكأم يقع على عاتقها تربية النشء الإسلامي المتمسك بدينه وخلقه وسلوكه السوي.

وعندما ينقلون المفهوم الصحيح للزوجة في المجتمع العربي المسلم سوف يوجهون الأنظار إلى هذا المفهوم مع التوجيه المتكرر للمرأة ولولي أمر المرأة - الزوجة هنا - من السفور ومحاكاة الأخريات من الأجنبيةات، وذلكم أنها عندما تدرك تماماً مفهوم الزوجة، وعندما تدرك أن المجتمع يدرك مفهوم الزوجة عندها لن تنظر إلى الأخريات، ولن يكون لديها القابلية لأن تتقمص شخصية غريبة عليها وعلى مجتمعها.

قد يفهم البعض أن مقصود هذه الحروف أن مفهوم الزوجة غير معروف في المجتمع الإسلامي بحدوده الشرعية. ولكن ليس الحال كما

يتصورون، ولكن الواقع الذي لا بد من التعامل معه ومواجهته أن هناك قصوراً في المجتمعات الإسلامية فيما يتعلق بمفهوم الزوجة، إما بسبب من موروث خاطيء، أو بسبب من عدم الفهم الدقيق للتعاليم التي تتعلق بالعلاقة بين الزوجين، كأن يساء فهم القوامه التي لا بد من وجودها حتى يستقيم البيت ومن ثم يستقيم المجتمع.

نحتاج إلى التركيز المباشر على علاقة الأسوة محمد ﷺ بأزواجه أمهات المؤمنين. والعلاقة هذه كانت واسعة وعريضة شملت جميع جوانب العلاقة بين الزوجين. نحتاج إلى كشف هذه العلاقة أكثر للناس على أنها علاقة كانت يتأسى بها، وليست علاقة كانت خاصة به وبأزواجه عليه السلام، ونحتاج إلى أن يدعى الناس إلى تمثل هذه العلاقة في حياتهم. ونحتاج إلى أن نفهم القوامه من خلال قوامته عليه السلام على أزواجه، نحتاج إلى أن نرد عملياً على أولئك الذين لم يرتاحوا لمبدأ القوامه بسبب من سوء الفهم ونرد عملياً على أولئك الذين أكدوا على مبدأ القوامه بالمفهوم الذي رغبوا فيه ولم يكن حقيقة بالمفهوم الصادق لمبدأ القوامه في الدين.

جميل جداً أن تسلط الأضواء على الأوضاع الاجتماعية في المجتمعات غير الإسلامية التي يذكر فيها أن المرأة تنال حقوقاً في الحياة أكثر من المرأة المسلمة، والأجمل من هذا أن نحاول أن نفهم ونسلط الأضواء على طبيعة هذه الحقوق لنرد بالتصور الأكثر صوابية وحكمة. هذا في مجال المرأة عموماً فما بالكم بمجال الزوجة في دار زوجها، فنحتاج إلى أن نسلط الضوء على طبيعة هذه العلاقة ومن يحكمها وما يحكمها.

ولعل من المؤلم حقاً أن هذا التسليط قد يوحي بالمقارنة بين زوجة وأخرى. والواقع أن مبدأ المقارنة غير وارد تماماً لأننا حينما نقارن لا

نستطيع أن نستل جزءاً من مجتمع ونقارنه بنظيره في المجتمع الآخر. والزوج جزء من المجتمع، فإذا أردنا المقارنة فلا بد أن نقارن مجتمعاً بآخر. وهذا غير وارد أصلاً، لأن المفهومات مختلفة تماماً. قد نقارن بين مجتمع مسلم وآخر مسلم فنعثر على نقاط ضعف فيهما أو في أحدهما بعد أن نعروضهما على المجتمع القدوة، لكن أن يقارن مجتمع غير مسلم بآخر مسلم في مجال واحد وهو العلاقة الزوجية فتلكم مقارنة غير علمية وغير واردة، لأن أي مجتمع مسلم غني كل الغنى بمقوماته ورؤيته، وإنما هي تظل محاولات يقصد من ورائها تبيان أن الآخرين على خطأ ونحن على صواب. وهذا ليس بالضرورة صحيحاً على إطلاقه، في كل المجتمعات الإسلامية، بل قد يكون هناك أخطاء ناتجة عن سوء الفهم يجب ألا ننكر وجودها. وعلينا التنبيه إليها والتأكد على اقتلاعها من جذورها بالوعي أولاً وبالوعي ثانياً وبالوعي ثالثاً.

وفي سبيل اقتلاعها من جذورها نحتاج أيضاً، وبعد معرفة العلاقة الأسوة، أن نتعرف على علاقة الصحابة بأزواجهم وعلاقة التابعين وعلاقة العلماء والخلفاء والولاة والأمراء، فنرد على من يريد سوءاً بطرح بعض المفاهيم المغلوطة عن الإسلام وشموليته لنظام الأسرة والعلاقة فيما بين أفرادها لتكون علاقة مثالية مسؤولة.

والعلاقة بين الرجل والمرأة عموماً والعلاقة بين الزوج وزوجه خصوصاً مجال يطول البحث فيه، ولكنها المحاولة لتذكير رجال العلم والدعاة والخطباء بأن عليهم مسؤولية غير يسيرة في تبيان هذه العلاقة بمفهومها الواسع سعيًا وراء تجنب أي تصدع في البناء الأسري الإسلامي، وتجنب تبني النظريات والآراء البشرية التي قد تصلح في حال ولا تصلح في جميع الأحوال. وسعيًا وراء الحد من النظر إلى هذه العلاقة من منطلقات أخرى إذا ما قصّر رجال العلم والخطباء والدعاة في إعطاء هذا الموضوع ما يستحقه.

ولعل هناك وقفات أخرى عند العلاقة بين الأب وابنته والابن وأمه .
وربما يتسع المقام للوقوف عليها وعلى العلاقة بين الشباب والأمة وما
يراد من رجال العلم حيال هذه العلاقات جميعاً، سيما وأننا أمة مستهدفة
في توجهاتها الخيرة من قبل الأعداء المتربصين بكل انطلاقة رشيدة . وكان
الله في عون الجميع .

المطوع !!

عندما كنت أدرس المكتبات والمعلومات أثيرت قضية الرقابة في مقابل الحرية الفكرية . والمجتمع الأمريكي مجتمع يقدر الفرد، فكان لا بد أن يناهز بالحرية الفكرية، وفي نفس الوقت يتخذ خطوات عملية حول القضاء على الرقابة، وإن كانت هذه الرقابة تعود بالمصلحة على المجتمع على حساب رغبات بعض الأفراد.

والرقابة لا تقتصر على الجانب الفكري، بل يبدو أنها مبدأ مطلوب في كل الأحوال في سبيل تحقيق مصلحة الجماعة ومصلحة الفرد في آن واحد. وطبيعتنا البشرية التي فطرنا عليها تفرض وجود رقابة علينا تأتي قمتها من مراقبة الله تعالى لنا في أعمالنا وأقوالنا وأفكارنا العلنية منها والسرية. وهناك نظام بديع لهذه الرقابة الإلهية يترك للإنسان مجالاً أن يمارسها هو على نفسه قبل أن تمارس عليه من قوى خارجية عليه، فإذا ما أساء التصرف كانت جهات الرقابة واقفة له أو أمامه تحده من أن يضر بالمجتمع وبالامة بعد ذلك.

ولو ابتعدنا عن التنظير والمثاليات لوجدنا أننا نمارس الرقابة وتمارس علينا، وحياتنا تسير إلى الأحسن كلما فهمنا الحكمة وراء هذه الرقابة وتمشينا معها في تصرفاتنا الخاصة والعامة التي تطول الآخرين.

والحسبة نوع من الرقابة. فيها سعي لتوطيد الأمن في المجتمع. والأمن مفهوم عام لا يقتصر على «مراقبة» الجريمة والوقاية منها، فهذا هو المفهوم الشائع بين الناس المرتبط برجال الأمن في زي خاص ومكان مخصص، وإجراءات خاصة. ولكن هذا جزء يسير من المفهوم العام للأمن.

وتكاد تنفرد هذه البلاد بممارسة نوع من أنواع الحسبة الذي يفضي على المجتمع أمناً على أمن، وهو مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يفهم خطأ على أنه مقصور على النداء للصلاة في الأسواق والشوارع وإغلاق المحلات التجارية والمكاتب والأماكن العامة، وهو ليس مقصوراً على ذلك، إذ الأمر بالمعروف يشمل الأمر بكل ما هو مفيد للمجتمع والفرد والنهي عن المنكر يشمل النهي عن كل ما هو ضار بالمجتمع والفرد.

ولخصوصية هذا المجتمع بهذا المفهوم من مفهومات الحسبة نجد أن البعض لا يريد هذه الخصوصية، بل يدعو مباشرة أو بطرق غير مباشرة إلى حماية الفرد ومصالحه الخاصة وعدم التدخل فيها. فمن أراد أن يذهب إلى الصلاة فليذهب، ومن أراد أن يبيع فليبيع، ومن أراد أن يشتري فليشتر. ومن أراد أن يعمل فليعمل، وتنطلق هذه الدعوة من مفهوم يقدر الدنيا ويعمل من أجلها كما ينطلق من الانبهار بالمجتمعات الأخرى التي تركت الأمور على ما هي عليه دون ممارسة أي نوع من الرقابة فيما يتعلق بالجوانب التعبدية، ولم تمارس أي نوع من الرقابة الدينية - إن صح التعبير - لأنها تبنت - أصلاً - مفهوماً يفصل بين الدولة والدين وبين السياسة والدين مما يطلق عليه البعض مفهوم «العلمانية».

ومن هنا نجد الكتابات الغربية عن المجتمع السعودي بخاصة وعلى المجتمع المسلم بعامة تصور رجال هيئات الأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر على أنهم مجموعة من «البعابع» في مجتمع يريد أن ينطلق في ركب «الحضارة» بالمفهوم الذي يعرفونه هم عن الحضارة. ويأتي تعبير «المطوع» في كتاباتهم بتصوير سلبي يوحي بالغلو والتشدد والعنف. وهذا متوقع من أولئك الذين لا ينتمون إلى الخلفية التي قامت عليها هذه البلاد. ولكن غير المتوقع أن يجري البعض وراء هذه الانطباعة فيكيل الاتهامات ويتلفظ بأنواع من السخرية والاستخفاف برجال مهمتهم أن يسهموا في مجالهم في قيام مجتمع آمن تسوده المودة والطمأنينة والجمع بين العمل للدنيا والآخرة.

والعجيب أن تؤخذ حالات فردية من الممارسات التي جانبت الصواب مما هو حاصل في جميع القطاعات الأمنية والطبية والصناعية وغيرها، فتكون هذه الممارسات أدلة على الرغبة في الانتقاص من جهود هؤلاء المحتسبين، في وقت نؤكد فيه جميعاً على أنه ليس من الضروري أن نعيش الآن للدنيا كما يعيش الآخرون. ونزعم أنه من الضروري أن يعيش الآخرون للآخرة كما نعيش. فليت هذا المفهوم يشيع بين الناس لما فيه من الوصول إلى هدف السعادة في الحياتين. وفق الله العاملين على خير المجتمعات، وكان في عون الجميع.

خامساً:

السعوديون والخدمات العامة

مركزية الدواء والصيدلة

يعطيك الطبيب عادة وصفة يطلب منك أن تشريها من الصيدلية المجاورة على اعتبار أن المجاورة تركز في مجموعاتها الدوائية على التخصصات التي تخدمها من خلال وجودها بين مجموعة من الأطباء المتخصصين، ثم تذهب إلى الصيدلية المعنية لتبحث عن الدواء فلا تجده، ويكتفي الصيدلي هنا بأن يرد عليك بعدم وجود الدواء تاركاً لك فرصة البحث في صيدليات أخرى. وربما أخرجك وأخرج مقدرتك على صنع القرار بأن يذكر أن لديه دواء لك فاعليته لا تقل عن فاعلية الدواء الموصوف، ولكنه ليس هو تماماً. البعض هنا يريد الفعالية دون الاهتمام بالأسماء وعلامات الصنع، وآخرون يفضلون أن يقفوا على الدواء الذي وصفه لهم طبيبهم، دون اللجوء إلى نوعيات أخرى تعمل العمل ذاته، وتكون أنت من النوعية الثانية فتصر على أن تحصل على الدواء ذاته، فتطلق ساقيك متجولاً بين الصيدليات لتجد الدواء في النهاية عند صيدلية لم تكن تتوقع وجوده عندها. . وهنا تكون بعد أن حصلت على الدواء قد أنفقت جهداً ووقتاً كان من الممكن أن تستغلها في وظائف أخرى.

والعجيب أنك ربما تعجب حين تدخل الصيدلية فلا تجد دواءك في وقت «غصت» فيه الصيدلية بأنواع وأنواع من الدواء والمحاليل. وربما

أدخل على الصيدلية أنواع أخرى غير الدواء والمحاليل الطبية، بحيث تتعجب أيضاً من هذا «الخلط» في مكان يتوقع منه أن يكون مخزناً للأدوية لا مكاناً عاماً أشبه ما يكون بمحلات التموين الصغيرة. وهذا ربما يقودنا إلى إعادة النظر في طبيعة الصيدلية أو مخزن الأدوية مؤكداً هنا على جانب الاختصاص في الدواء وخدمة الدواء لئلا تذهب جهود الصيدلي في الاهتمام بأنواع أخرى بعيدة عن الدواء، وهو قد تخصص في الدواء وصناعة الدواء وتركيب الدواء. فالتوقع منه أن يهتم بالدواء، بدلاً من أن يكون مجرد بائع له. وتكرر كلمة الدواء هنا قصداً للتأكيد عليه، وإن كان هذا التكرار قد لا يعجب بعضاً من فطاحلة البلاغة العربية!!.

ومن ناحية ثانية فأنت حينما تدخل الصيدلة تجد أنواع الأدوية مرصوفة أمامك وكأنها علب في بقالة تموين. ولا يهملك أصلاً أن ترى مجموعات الأدوية وحسن تنظيمها، لأنك في الغالب لا تعرف ما هي وتدعو الله كثيراً ألا تتعرف عليها لحاجة لها. إذاً فما فائدة «عرض» مجموعات الأدوية على الناس وكأن المرء سيدخل الصيدلية فيجر عربته بين يديه ليختار من كل نوع زجاجة أو علبة دواء. والذي يرد الصيدلية إما أن يكون معه اسم الدواء الذي يحتاج إليه. وإما أن يصف للصيدلي ما هو بحاجة إليه وفي كلا الأمرين لا تدعو الحال إلى عرض الأدوية على الناس بهذا الشكل الذي اعتاد الكل عليه، لأن وراء ذلك مفسدة للدواء لا داعي لها خاصة في الأجواء التي يغلب عليها الجفاف والحرارة مثل أجواء منطقة الخليج العربية وما جاورها من المناطق. والدواء - كما تعلمون - ذو علاقة مباشرة بحياة الناس وسقمهم وصحتهم. وإن كان ذلك كله يخضع لرقابة الدواء والتأكد من صلاحية الدواء، إلا أن الأساليب الموجودة اليوم تتيح فرصة أضمن لصلاحية الدواء من عرضه هذا العرض المعتاد.

تخزين الدواء

فبدلاً من أن يعرض الدواء على العامة يلجأ الصيادلة أو الصيدليون

اليوم إلى أساليب إخفاء الدواء في مجموعات أنيقة من الأدراج مغلقة بحيث تدخل الصيدلية فلا تجد أمامك إلا مجموعات من الأدراج لا يعلم ما بداخلها إلا من نسقها ووضع عليها العلامات والأرقام التي تدله عليها. وهذه الطريقة في تخزينهم الدواء ضمنت أمرين كل صيدلي بحاجة إليهما. فقد ضمنت أولاً سلامة الدواء من تعريضه مباشرة للجو الخارجي بتقلباته غير المتوقعة أحياناً وبذلك أعطت هذه الطريقة للدواء لمسة من التقدير الذي ينعكس على الباحث عن الدواء ليحضر له من درج من هذه الأدراج دون أن يعلم ما بكنه هذه الأدراج وما تحتويه، فهو كما قلنا ليس بحاجة لذلك.

وقد ضمنت هذه الطريقة الفريدة سعة في المكان لا تتوفر عند استخدام الأسلوب التقليدي المتبع اليوم في منطقتنا، خاصة أن الصيدلية بأي حال بحاجة إلى مثل هذه السعة لئلا يختلط الأمر على الصيدلي عندما تتداخل أصناف الأدوية بعضها ببعض. ويصحب ذلك عادة معلومات مستفيضة يتضمنها كل درج من الأدراج عن الدواء المخزن فيه بما في ذلك سعر الدواء. وهذا بدوره يوفر على الصيدلي وقت تسعير الدواء إن لم يكن قد سعر من قبل.

وعلى العموم فهذا الأسلوب في تخزين الدواء أثبت فعاليته وجدارته حينما طبق في مناطق أخرى. وترى ذلك حينما تدخل الصيدلية فلا تجد فيها إلا كل ما له علاقة بالدواء والصيدلة. وقد ترى أمامك مجموعة من الأدراج الجميلة التي تحمل في أجوافها أنواعاً مما حاول الإنسان معه أن يحمي نفسه من نوائب الدهر ونكباته الصحية على وجه الخصوص. والذي ربما لفت انتباهك عندما يفتح درج من هذه الأدراج هو قلة مجموعات الدواء فيها، فلا تجد عدداً كبيراً من كل نوعية محددة، بل ربما لا تجد أكثر من عشر «نسخ» من كل دواء، مع أن احتمال طلب هذا

الدواء وارد في أية لحظة . وهذا ربما يقود إلى النقطة التالية حول توفر وتوفير الدواء .

مركز معلومات الدواء

والذي يبدو أن الصيدليات عادة تعتمد إلى التقليل من عدد «نسخ» الدواء، وذلك لحساسية الدواء، وللحرص على عدم اقتنائه فترة أكثر مما يتوقع، أما إذا دعت الحاجة إليه بسبب كثرة الطلب عليه فإن هناك أسلوباً فريداً تلجأ إليه الصيدليات اليوم يغنيها عن كثرة التخزين ويعينها على سرعة الحصول على الدواء المطلوب. فإذا كانت الصيدلية تحرص على عدم تخزين أعداد كثيرة من الأدوية، فإنها بحكم التزامها بخدمة الحي أو المجموعة التي تردها ملزمة بتوفير الدواء المطلوب وقد استطاعت الصيدليات في معظمها وفي مناطق أخرى أن تجمع بين الحسنيين بأن أنشأت فيما بينها مركزاً لمعلومات الدواء. بحيث تلجأ الصيدلية إلى هذا المركز عند الحاجة إلى دواء كاد ينفذ أو هو قد نفذ، ولا يحتاج الأمر إلى أكثر من «نهاية طريفة» تكون في الصيدلية هي عبارة عن جهاز حاسب آلي في بعض المواقع أو مجموعة من الأشكال المصغرة «المايكرو فورم» تحمل معلومات الدواء التامة حسبما يعبا من معلومات، فترسل الصيدلية طلباتها إلى الجهة التي توزع الدواء بالطريقة الآلية لتحصل في وقت يسير على الدواء الذي تريده، موفرة الصيدلية في ذلك شيئاً كثيراً قد ينعكس على سعر الدواء عند بيعه للمحتاج إليه.

ولا يتوقف الأمر عند ذلك، فهذا الأسلوب يعد من الجوانب الداخلية التي تلجأ إليها الصيدليات في سبيل توفير الدواء وهي لا تمس المحتاج مسا مباشراً غير إمكانية نزول سعر الدواء، والمحتاج في بعض المواقع العصبية قد لا يهتمه سعر الدواء، بقدر ما تهتمه فعالية الدواء

وتأثيره المباشر والسريع على الحالة التي يمر بها المريض ، ولكن هذا لا يمنع من اتخاذ الوسائل العملية الحديثة التي غالباً ما تعود بالنفع على المستفيد دون أن تكلفه عناء مادياً أو جهداً أو وقتاً. والذي يمس المستفيد مساساً مباشراً من أسلوب مركز معلومات الدواء هو إمكانية جلب الدواء إليه من قبل الصيدلية التي ذهب إليها لكونها في الحي الذي يقطن فيه غالب الأحيان. وإمكانية جلب الدواء هذه تأتي عن طريق الرجوع إلى النهاية الطريفة للحاسب الآلي والبحث فيها عن الدواء الذي صادف عدم وجوده في الصيدلية (أ) ليجده الصيدلي في الصيدلية (ب) فيطلبه منها مواعيداً المستفيد سويحات قليلة يصل فيها إليه الدواء عادة من أقرب صيدلية للصيدلية الباحثة، بحيث تضمن سرعة وصول الدواء إليها وإذا كانت بعض الأدوية لا تحتاج إلى السرعة «الإسعافية» في جلبها فإنه من الممكن أن يترك المستفيد رقم هاتفه لدى صيدلية الحي ليتم الاتصال به حالما يصل الدواء أما إذا كانت السرعة مطلوبة فإن أسلوباً في المواصلات قد يشبه أسلوب الإسعاف قد يضمن وصول الدواء إليه في مدة زمنية قليلة لا يصل هو إليها فيما لو بحث عن الدواء بنفسه.

وهذا الأسلوب الحديث في البحث عن الدواء لم يرح الصيدلي والمستفيد في الحصول على الدواء فحسب، بل ضمن وجود الدواء في مكان ما قريباً كان أو بعيداً، أما إذا لم يكن الدواء موجوداً في حدود منطقة مركز معلومات الدواء فإن دور المستفيد هنا يأتي ليذهب إلى الطبيب مرة أخرى طالباً دواء يكون موجوداً. وغالب الأمر أن الطبيب لا يصف دواء غير موجود، إذ أن الطبيب ربما كان عضواً في مركز معلومات الدواء فيتعرف على أنواع الأدوية ليصفها إلى مرضاه.

وإذا لم يصل الأمر باديء ذي بدء إلى أن يجلب الدواء إلى المستفيد وهو في حيه أو بيته، فلا أقل من أن يعرف المستفيد بأقرب

مكان يوجد فيه الدواء وهذا قد يغلب عند الاستخدامات الأولى لشبكة معلومات الدواء، حيث «قد» لا يتوقع الصيدليون نجاحاً. ولكنها عادة تثبت فعاليتها كما أثبتت ذلك في مناطق أخرى. عندها تصبح شبكة عمل فعالة تتيح للمستفيد فرص الحصول على ما يريد دون عناء أو قلق.

ومركز معلومات الدواء هذا تقيمه الصيدليات التجارية والصيدليات الحكومية والمستشفيات العامة والخاصة وعيادات الأطباء، كل هذه تقيم شبكة معلومات دوائية ناجحة تشترك جميعها في تمويلها، فلا تنعكس غالباً تكاليفها على قيمة الدواء، من نقطة إلى نقطة أخرى وتكاليف «المراسل» الذي يكون عادة محملاً بمجموعات كبيرة من الدواء يحمل من نقطة إلى أخرى. وبأسلوب إداري ناجح يمكن أن يتم ذلك بشيء يسير من التكلفة والعناء، ولعل علماء النفس يتدخلون هنا ليقولوا إن هذا الأسلوب ربما ينعكس كذلك على «نفسية» المريض حينما يجد الاهتمام المناسب بمشكلته ويجد الدواء متوفراً عنده في سرعة معقولة جداً، فلا يزداد اكتئاباً بقدر ما يخفف عنه الاكتئاب النفسي مما يساعد كثيراً - بعون الله - في شفائه السريع.

وهنا لا بد أن نذكر أنه ليس باستطاعة كل شخص أن يجوب الصيدليات كلها أو بعضها بحثاً عن الدواء، إما لمرض أو لفاقة وحاجة، أو لكبر يمنعه من الخروج عن حدود ضيقة للبحث والتجوال، أو لعجز كذلك فيأتي هذا النظام خدمة لمثل هذه الفئة من الناس حينما يحضر لهم الدواء وهم في محيطهم لا يطلب منهم تعدية. وهذا جانب إنساني بديع يساهم فيه نظام آلي لم يتوقع منه أن يساهم فيه، فتضاف فائدة أخرى من فوائد نظام شبكة معلومات الدواء لترجع التأكيد على التفكير الجاد فيه من قبل شركات ومؤسسات الأدوية الكبرى بمساهمة فكرية وعلمية من المؤسسات التعليمية الطبية والطبيلية العربية والخليجية، ولعل

شركات الدواء الكبرى أولى من يعطي مثل هذا النظام عناية جادة، خاصة إذا كان بإمكان شركة دواء مساهمة كبرى أن تنشئ مثل هذا المركز وتعمل على أن تكون هي السبّاقة إلى مركزية الدواء والصيدلة كمشروع علمي عملي تفرضه حياة اليوم. وكان الله في عون الجميع.

* تكررت كلمة الدواء هنا (٨٨) مرة !! وكلمة أدوية أو دوائية (١١) مرة !!.

الجزيرة - العدد ٤٧٦٢

السبت ٢٨ محرم ١٤٠٦ هـ - ١٢ أكتوبر ١٩٨٥ م

وقفه على أبواب الطوارئ

هذه دعوة صادقة لكل امرئ أن يقف لحظة على أبواب الإسعاف في المستشفيات المتفرقة في أنحاء المدينة. يقف لا ليشبع فضولاً ولا ليشمت بخلق الله ولكن ليعرف قدر هذا الإنسان الذي تصل به الجبروت أحياناً إلى أن ينسى نفسه كإنسان خلقه الله ليؤدي رسالته الإنسانية في هذه الحياة.

* وستجد وأنت تقف هناك القوي جسماً، وقد فقد هذه القوة نتيجة لحادث خفيف جعله ينسى طعم الحياة ويتمنى لو أن يعود فيستغل هذه القوة بما يفيد إن كان قد استغلها بما لا يفيد. أو ليزيد من استغلالها في النافع إن كان قد قصر في ذلك.

* وستجد وأنت تقف على أبواب الطوارئ في المستشفى ربما الصديق الذي وجد نفسه فجأة بدون صداقة، إذا حلّ به ما حلّ به دون علم ممن عدّهم أصدقاء فلم يتبعوه إلى قسم الطوارئ فبحث عن أشخاص يثق بهم يكونون بجواره فلم يجد أحداً، فضاقت الدنيا في عينيه وكانت واسعة، ولا يعني هذا أن أصحابه قد تخلوا عنه فجأة، ولكنه لم يجدهم وقت الحاجة إليهم، فكانهم في نظره قد تخلوا عنه وتركوه يصارع المرض أو الحادث الذي أوصله إلى ذلك القسم. وهذا بحد ذاته رجوع إلى النفس ومحاسبتها على الخطأ.

وهذه الدعوة للوقوف على أبواب الإسعاف بالمستشفيات يقصد منها أن يتحقق المرء من قيمة هذه الدنيا عندما يجد مجموعات غير قليلة ترتاد هذا القسم، فتبرز بكل وضوح قيمة الإنسان وقيمة الدنيا لدى الإنسان. ولا بد أنك ستجد هناك من ينظر إليك نظرة خاصة جداً ملؤها الامتعاض من هذه الدنيا، ويتبع ذلك بقولتنا المشهورة.. ابن آدم ضعيف.. ترى ذلك الضعف متحققاً تماماً وأنت تنظر إلى إحدى الحالات التي تمر بك.

الحوادث!

قد يكون المجلوب إلى قسم الإسعاف مريضاً تمر به نوبة تستدعي الحضور إلى قسم الإسعاف، وهذا عادة يعطى العلاج اللازم فيخفف عنه الألم، ويكون تحت الملاحظة لفترة قصيرة ليرفع بعدها إلى غرف المستشفى إن كان يحتاج لذلك، أو يعود به إلى حيث أتى من أحضره إلى القسم. وهذا في الحق مقارنة بغيره أخف بكثير من ذلك الشخص الذي انتشل من حادث مروري أو غيره، فاحضر إلى المستشفى وهو ألم كامل وضع في سرير متحرك. أقول أن حالة المريض أخف بكثير من حالة صاحب الحادث، وإن دعا الأمر بالمريض إلى أن ينقل، إلى غرفة العناية المركزة. ولكنه ومع أنه أخف إلا أنه هو المريض الوحيد في المستشفى في نظر أهله أو من يرافقه وهذه ناحية نفسية لا بد من التوقف عندها قليلاً.

أما ذلك الألم الكامل منقولاً على سرير فهو الأشد سواء في نظر مرافقيه أو في نظر الآخرين. عافانا الله وإياكم، فمدلول هذه الحوادث والنتيجة التي تؤدي إليها هو ما يجعل من هذه الحالة موقفاً صعباً، وذلك أن هذا الشخص - أو الأشخاص - الذين جلبوا إلى قسم الإسعاف ربما كانوا قبل دقائق أو ساعات قليلة بصحة تامة نشيطين أقوياء وفجأة وبدون

مقدمات تجدهم يثنون على السرر وقد فقد بعضهم الوعي، وقد نسي آخرون اللحظات التي مرت بهم فأوصلتهم إلى المستشفى، وقد نرف آخرون حتى استدعى الأمر الاستعانة ببنك الدم، فالمسألة هنا مسألة مشاعر وأحاسيس مختلطة بين الأمل في شفاء عاجل والخشية من موت أو بتر أو كسور.

وزيارة لأقسام الحوادث من قبل الإنسان وفي أي بلد كان قد تعطي المرء فكرة واضحة عن دوره في هذه الدنيا، فيحاول أن يأخذ بالأحوط في جميع تحركاته سواء كانت الخسفة منها كالقيادة والمشي في الشوارع العامة ونحو ذلك، أو كانت تحركات معنوية قد تدعوه إلى الكبرياء والتعدي على الآخرين، وخاصة إذا علمنا أن الله تعالى يمهل ولا يهمل، وقد يكون من أصناف العقاب أن يتعرض المرء لما يتعرض له من حوادث توصله إلى أقسام الإسعاف، كما أنه قد يكون ما يتعرض له من أصناف الابتلاء وتكفير الذنوب.

الاعتقاد

والعاملون في أقسام الإسعاف من أطباء وممرضين وعاملين آخرين يبدون وأنهم اعتادوا على مثل هذه الحالات. فتجد أنك عندما تحضر مريضاً معك يحتاج إلى عناية «مركزة» في نظرك، فتعرضه عليهم فيقابلونك بما يوحي إليك أنت بأنهم لم يهتموا برأيك بينما هم في حقيقة الأمر يقومون بما يناط بهم، وربما أكثر من ذلك، إلا أنك أنت تتوقع عندما تحضر مريضك أن تجند لك الطاقات، وأن يترك كل امرئ هناك ما في يديه فيتجه إليك ويعفك من الحالة لتشعر بعدها بالإطمئنان بعد أن سلمت «الحالة» إلى المختصين. والواقع أن مرافق المريض عادة هو المريض من حيث الإحساس على الأقل، فالمرافق لا يتألم حسياً، ولكنه فزع خائف رحيم وقيه جزع. وكل هذه أحاسيس تمر به فيتطلع إلى من

يطمئنه إلى أن الحالة لا تستحق كل هذا. وإذا جاءت هذه «الطمأنة» من المختصين كان لها وقع خاص، يفوق وقع «الطمأنة» القادمة من شخص عادي تحس أنه يريد بذلك أن يطمئنك فقط.

ولأن العاملين في الحوادث قد تمر بهم حالات أصعب بكثير من حالتك التي جلبتها إليهم تراهم لا يرون داعياً إلى أن يلقوا بالآ إلى الجوانب النفسية في الموضوع. بل ربما رأيتهم لا يلقون لك بالآ - وأنت المرافق - فتتأثر وتريد أن تقول شيئاً، ولكنك تتحمل فيزداد الحمل فلا تتحمل فتتطرق بكلمات قد لا تعي أبعادها. وهم بشر يتأثرون كذلك ولا يريدون منك أن تدلهم على ما يجب أن يعملوه، فيردون عليك بمثل ما اسبغت عليهم من عبارات لا تقال عادة.

وإذا كان لي أن أقول شيئاً هنا فإني أدعو العاملين في أقسام الإسعاف إلى مراعاة الحالة النفسية التي يمر بها المريض، أو المرافق للمريض فيبدون شيئاً من التعاطف - إن كانوا لم يبدوه - ويحاولون ترك الأشياء الجانبية جداً التي توحى للآخرين بقلة المبالاة، وقد تدفعهم إلى الحكم على هؤلاء العاملين بالبرود. لا أتوقع أن أجد طبيباً في قسم الإسعاف قد «فل» الجريدة على مكتبه وراح يقرأ فيها. ولا أتوقعه أو غيره أن يستقبل ضيفاً يتجاذب معه أطراف الحديث على حساب المواساة والتعاطف مع أصحاب الحالات المرضية.

إنني مع هذا كله ألفت النظر إلى أهمية الجوانب النفسية في مثل هذه المواقف مع ذوي المريض أو المصاب في حادث فهي تعين بعد الله على تحمل المصيبة. . وفق الله جميع العاملين على تخفيف المصائب، وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة - العدد ٥٣٢٩

السبت ١٥ رمضان ١٤٠٧ هـ - ٢ مايو ١٩٨٧ م

التمارض .. ومجانية العلاج .. وفعالية الدواء

تذكر دراسة إحصائية أجريت في إحدى البلاد المجاورة أن الوصفات الطبية التي صرفت في مدينة واحدة تخطت الخمسة ملايين وصفة في سنة واحدة قامت هذا الدراسة بعد أن لوحظ كثرة الوصفات لسكان المدينة التي لا يبلغ عدد سكانها مائتي ألف نسمة (٢٠٠,٠٠٠) وقد خرجت الدراسة بالنتائج التي كان على رأسها اكتشاف أن المريض الواحد ربما راجع أكثر من مستوصف أو مستشفى مجاني حسبما هو معتاد في هذه البلاد المجاورة. وحسبما هو معتاد في منطقة الخليج العربية وبلاد عربية أخرى. وهذه المستشفيات والمستوصفات قد غطت الحاجة إليها بشكل واضح، بحيث أصبحت الأحياء في المدينة الواحدة، ربما حوت أكثر من مستوصف يزار وتعرض عليه الحالات السريعة وتحول منه الحالات المسعوية إلى المستشفيات المركزية.

أحصائية الخمسة ملايين (٥,٠٠٠,٠٠٠) وصفة لم تتضمن الوصفات التي صرفت من قبل عيادات خاصة أن مستوصفات ومستشفيات تجارية، مما يضاعف العدد لو أدخلت، لكن هذه النوعية لم تكن محط الدراسة. وكلنا يعلم القيمة المادية التي تنفقها هذه الدول في سبيل الحصول على الدواء ومن ثم تأمينه لمواطنيها، ونحن بهذا نفترض أن

الحالة المذكورة ربما تكون عامة في مدن المنطقة خاصة المدن الكبيرة فيها والتي يتوفر فيها أكثر من مستوصف، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن الدراسة توحى بأن ليس كل ما صرف استعمل وكانت له فعالية، إذ إن كثيراً من المراجعين ربما كانوا يتوقعون نوعية معينة من الدواء يحدث أن يوصف للمريض دواء يؤخذ على شكل جرعة في أوقات محددة وعلى مدى يتعدى توقعات المريض، فيعمد المريض إلى اتباع أحد أسلوبين: أما أن يتوقف عن أخذ الدواء ويغفل الفكرة تماماً وفي نفسه شيء على الطبيب، أو أنه يتبع أسلوب الاستعانة بطبيب آخر في مكان آخر لا يعلم فيه الطبيب أن المريض قد خرج توا من طبيب آخر. وكلا الأسلوبين مضر ليس في التشخيص فحسب، بل في وجود الثقة بالطبيب الذي جلس خلف مكتبه ووضعت له جميع التجهيزات الممكنة، بحيث يمارس مهنته ساهراً على راحة المواطن حريصاً على صحته وسلامته، ومن أجل هذا كان وجوده، ولكن هذه نظرة يصعب على الكثيرين إدراكها نظراً لنقص في الوعي الصحي الذي تشترك فيه كثير من مناطق ما يسمى بالمناطق النامية، وهذه قضية أخرى لسنا بصدد التعرض لها، ولكن يكفي أن نعلم أن مسألة الوعي الصحي مثلها مثل غيرها من المرافق التي تحتاج إلى وعي بدأت تشق طريقها حديثاً بالمقارنة بسنين قليلة مضت.

والأسلوبان المذكوران مضران كذلك في مسألة الخلط في الأدوية، وما قد يترتب عليه من مضاعفات ربما أثرت تأثيراً مباشراً على حياة المريض الذي استعان بأكثر من طبيب دون إخبار أحدهما بمشاركة الآخر طمعاً في الحصول على نوعية معينة من الدواء.

والخروج من هذه القضية التي تؤدي إلى نتائج عكسية على المريض وعلى البلاد إنما يتمثل في اقتراح ورد في الدراسة ويقوم على أفراد المريض بملف خاص واحد يكون عند جهة صحية محددة تكون عادة

قريباً من سكن المريض، ويتم ذلك إن أردنا التفصيل - بتحديد الأحياء التي يغديها مستوصف ما، ثم توجه إليه جميع حالات الحي، وتعطى كل حالة رقماً خاصاً يرجع إلى الملف به ويتساهل في فكرة الرقم على اعتبار أن الكثيرين ربما فقدوا هذا الرقم أو نسوه عند المراجعة، وهذا لا تعفي من إيجاد ملف خاص للمريض يحتوي على تشخيص تام له بما في ذلك دراسة التاريخ الصحي للمريض وأهله وعائلته. ويستعان بالحاسب الآلي في حفظ المعلومات التي تقود إلى الملف إما عن طريق الرقم أو الاسم الأخير أو ما إلى ذلك من وسائل الوصول لملف المريض والتقنية اليوم تساعد في فكرة الوصول السريع إلى الملفات بحيث تستخدم المستشفيات اليوم نظام حافظة الملفات الدائرة بحيث يكفي للموظف المختص أن يدير الخزانة على الرقم المطلوب فيأتي إليه الملف دون أن يذهب هو إلى الملف ذاته.

فكرة الملف الصحي هذه سوف تحد من تكرار زيارة أكثر من طبيب في أكثر من مستوصف لسبب واحد ربما اختلف فيه التشخيص من جهة، ومن جهة أخرى سوف تقلل الفكرة من عدد الوصفات بحيث توفر الشيء الكثير على الدولة وعلى الطبيب وعلى المريض، ثم إنها سوف تساعد المريض والطبيب على الاتصال المباشر والسرعة في تشخيص المرض والنظر في مسبباته إذا كان بين يدي الطبيب تاريخ صحي كامل للمريض.

* * وربما يكون من السابق لأوانه العمل باقتراح آخر يدور حول فرض أجرة خفيفة رمزية من قبل المريض يدفعها للمستوصف مقابل حصوله على الكشف والدواء، إذ أن هناك الكثيرين ممن هم في حاجة ماسة إلى مجانية العلاج والدواء، ونحن والله الحمد في غنى عن اتباع وسائل متبعة في بعض المناطق الصناعية مثل التأمين الصحي الحكومي

على الأفراد المحتاجين من ناحية، والتأمين الصحي الشخصي من قبل الأشخاص القادرين، ولكن هذا لا يمنع من وجود ضوابط تحد من سوء استخدام هذه الخدمات وما تصرفه من دواء وما تقوم به من جهود.

ولو اعترض البعض على أنه ربما لا تتوفر في مستوصف ما جميع الوسائل التي يحتاجها مريض معين، ولكن فكرة التحويل إلى المستشفيات المركزية أو المتخصصة تحول دون هذا الاعتراض، بل إن فكرة الملف ربما امتدت فوائدها إلى المستشفيات المركزية أو المتخصصة، إذا أن التحويل سوف يتم عن طريق الطبيب الذي يملك اللغة التي يتخاطب بها مع أطباء المستشفيات الكبيرة، وهي لغة دون ريب أكثر تعبيراً من اللغة التي يتقدم بها المريض، لأن لغة الطبيب تقوم على شرح حالة يعرفها وقد مرت عليه مراراً ولديه عنها معلومات مستفيضة.

ويساعد على فعالية هذا الأسلوب كذلك الصيدليات التجارية ومخازن الأدوية حينما تلتزم جميعها بعدم صرف الدواء ما لم يتم عن طريق وصفة طبية وهذا سوف يحد من لجوء البعض إلى الصيدلية مباشرة دون العودة إلى الطبيب، على أن هناك بعض الأدوية التي يمكن أن تصرف دون استشارة الطبيب، ويمكن شراؤها من الصيدليات ومخازن الأدوية بل ربما بيعت في محلات التموين الغذائي الكبيرة، لأن هذه النوعيات من الأدوية، لا تتعدى المهدئات والمقويات من فيتامين وتحديد وزنك ونحوها، مما يحتاجه الشخص وإن كان معافي، هذه النوعية لا تدخل في محاولة الحد من صرفها الأدوية مباشرة. من قبل الصيدلية أو مخزن الأدوية.

الحد من اللجوء للصيدلية بهذا الشكل سوف يدفع المريض إلى الاقتصار على المستوصف الذي أعد له ملفاً خاصاً.

** * وللنظر في هذه الفكرة من جوانبها المتعددة نلاحظ أن البعض

ربما استغنى عن المستوصف والعلاج المجاني، ولجأ إلى العيادات الخاصة والمستوصفات التجارية، وبمعنى آخر فإن هذه الفكرة ربما آثرت «العلاج التجاري» وساهمت في الازدحام الملحوظ على هذا الجانب، فتحف فعالية العلاج المجاني وتتضخم من جهة أخرى تجارة الطب، وهذه الملاحظة واردة وسوف يلجأ إليها كل من يستطيع اللجوء إليها فتبقى المستوصفات المجانية لذوي الحاجة ممن لا يجدون المقدرة في أنفسهم للجوء إلى العلاج التجاري. وهذا أيضاً سوف يساعد في إيجاد وعي صحي عندما يشعر البعض أنهم قد ساهموا في الحصول على الدواء مساهمة مباشرة من خلال دفعهم لتكاليف زيادة الطبيب وشراء الدواء، ومع هذا تبقى هذه الفكرة منفذاً للتجار بالعلاج وهو أمر لا بد من التوقف عنده وملاحظته عند محاولة تنفيذ الفكرة القائمة على الملف الصحي المقترح.

وأخيراً لا بد من التنويه على أن الدواء من الأمور الدقيقة التي تخضع لزمن محدد، وتتطلب جواً معيناً تحفظ فيه مما يؤدي أحياناً إلى إتلاف مجموعات كثيرة من الأدوية حالما يقرب موعد انتهاء فعاليتها لثلاث تحول إلى سم يتناوله المريض، وربما اشتراه بماله الخاص، وعليه فلا بد من تقدير الجهود التي تبذل في تيسير الدواء للمواطن، مما يترتب عليه استعمال هذا الدواء استعمالاً فعالاً حينما يوصف للمريض، ومحاولة إدراك أنه إنما صرف لأنه قد رؤي فيه أنه خير ما يمكن أن يصرف لمثل هذه الحال التي عرضها المريض وأنه سبب مباشر في الشفاء بعد عناية الله، وهو الشافي وحده.

الجزيرة - العدد ٤٥٠٢

الجمعة ٤ جمادى الأولى ١٤٠٥ هـ - الموافق ٢٥ يناير ١٩٨٥ م

عندما يخذل الأطباء مرضاهم!

لعل من أنبل المهن التي يتصدى لها الإنسان هي تلكم التي تتعلق بصحة الإنسان من طب وتمريض . والطب منذ عرفه التاريخ يحظى بالاحترام والتقدير من قبل العامة . والطبيب شخص ينظر له الآخرون على أنه يملك فكراً وذهناً ويداً فوق العادة لما امتهن من طريقة مثالية في خدمة المجتمع . ونحن نعلم أن هذا الفكر والذهن وهذه اليد إنما هي أسباب لجلب الشفاء للمريض أو المتوَعك . وكان الأطباء ولا يزالون يشعرون بسعادة تصل بهم إلى تحقيق الذات وهم ينظرون إلى مرضاهم يتمثلون للشفاء - بإذن الله - فينظر إليهم مرضاهم نظرات تغني عن التعبير بالكلمات . تلكم النظرات التي تحجب الرؤية عنها غزارة دموع الشكر والعرفان بالجميل . وهذه من أنبل الإنجازات التي يمكن أن يرصدها الطبيب في حسابه الخاص . خاصة إذا صاحبها دعوات صادقة بمزيد من التوفيق فنرى الطبيب يسير من حسن إلى أحسن لا لشيء أكثر من أنه خدم مهنته وخدم من خلالها الناس .

النظرة المثالية للطبيب - أي طبيب - تعكرها أحياناً بعض التصرفات الفردية التي لا تكون ظاهرة ولا تشكل خطراً . خلاصة هذه التصرفات أن يعتمد الطبيب إلى استخدام فكره وذهنه ويده على وجه يخالف ويناقض

تماماً ما أريد لها أن تصرف فيه . ولأن التوقعات من الطبيب هي في درجة المثالية الواقعية، تجد أن التصرفات المضادة تلقى شيئاً من الاستهجان والاستغراب والإزدراء لشخص الطبيب لا للمهنة ذاتها.

وعلينا أن ندرك هنا مجموعة من المسلمات التي لا بد من أن يعيها الناس جميعاً ومنها:

- ١ - أن الطبيب بشر قبل كل شيء .
- ٢ - أن البشر محدودو المعرفة ولا يؤتون من العلم إلا قليلاً .
- ٣ - أن الأطباء بعامة مخلصون لمهنتهم ومخلصون للمجتمع الذي يعملون فيه .
- ٤ - أن الطبيب لكونه بشراً يعتره ما يعترى البشر من أمور جسمية ونفسية واجتماعية قد لا يدركها البعض فلا يسلمون بها في الطبيب، وإن سلموا بها في غيره من الناس على اعتبار أن هذا الطبيب قد وصل بعلمه إلى درجة المثالية الإنسانية التي تحميه من نوائب الدهر .
- ٥ - أن الطبيب يواجه تحديات إجرائية وإدارية في كل مجتمع، فقد لا يستطيع تهيئة الجو المناسب جداً لأداء عمله في بعض المجتمعات، فقد يكون هناك النقص في الأجهزة، والنقص في العاملين المساعدین، والنقص في الدواء، والنقص في المعلومات الطبية المطلوبة، وهو لا يملك قوة خارقة تعينه على التغلب على هذه التحديات أو العقبات .
- ٦ - أن ما اكتشف علاجاً للأمراض تشخيصاً ودواء لا يصل إلى واحد من الألف مما هو مطلوب وما المجتمع بحاجة إليه .
- ٧ - أن مهنة الطب تعتمد فيما تعتمد عليه على التشخيص، والتشخيص لا يقتصر على «الكشف» بعيداً عن «الحوار التشخيصي» مع

المريض . ولذا يصعب الوصول إلى نتيجة قريبة من الحتمية إذا لم يتعاون المريض مع طبيبه في مسألة التشخيص . وقد يضل المريض طبيبه عندما يعمد إلى تعمية الحقائق جهلاً بتأثيرها على التشخيص .

٨ - أن الطبيب بحاجة إلى ثقة المريض به ، وهذا له دخل لا بأس به في عملية العلاج والشفاء . وكم حالة عرضت على طبيب لم يقتنع به المريض فوصف الطبيب العلاج المناسب فأهمله المريض أو وقع في ذهنه أن هذا الطبيب لم ينفع فلم ينفع .

٩ - أن كثيراً من الناس يريدون أن يدخلوا على الطبيب مرضى فيخرجون من عنده معافين دون اللجوء إلى برنامج علاجي قد يطول . وتلكم مصيبة المريض ولا يتحمل منها الطبيب شيئاً البتة إلا إذا قصر في محاولة إفهام المريض المطلوب .

١٠ - أن الطبيب لا يقف وحده هنا ، ولكن هناك مجموعة من المساعدين أو الذين يقفون إلى جانبه ، ومن هؤلاء الصيادلة - وهم على درجات من حيث العلم - فيحدث أن يخطيء الصيدلي في صرف الدواء وقوة الدواء فيتهم في هذا الطبيب ، والطبيب منه براء . ولذا يعمد كثير من الأطباء إلى النظر إلى الدواء المصروف بعد صرفه للتأكد من دقته .

١١ - أن تعاطي الدواء يخضع لنظام يحتاج فيه المريض إلى القراءة أولاً ثم اتباع الإرشادات من حيث الجرعات والمدة والأعراض الجانبية ومثل ذلكم ، وقليل من الناس من يقرأ النشرة المرفقة بالدواء ، ويكتفي بما يكتبه الصيدلي على الدواء مثل : (١ × ٣) وهي سلبية غير مرغوب فيها من الصيدلي كما هي من المريض .

وهكذا نجد أن هناك مجموعة من العوامل التي تؤثر في أداء الطبيب لمهنته الإنسانية ، ومن ثم تؤثر في تأخير الشفاء أو انتفائه ، إن لم تؤد إلى مضاعفات أخرى يكون للطبيب فيها إسهام محدود جداً ، ولكن الناس

يلقون باللائمة عليه مباشرة قبل أن يتحروا الدقة في مثل هذا الاتهام.

وإذا روعيت هذه المجموعة من العوامل ووعاها الناس أو المتعالجون منهم وجدنا أن الأصل في الطبيب أن يوفق - بإذن الله - في التشخيص وفي صرف الدواء، وتكون النتيجة الشفاء ما أراد الله سبحانه وتعالى ذلكم.

وخلاف الأصل أن يعمد الطبيب إلى المغالطة في كل ما مر، فيتعمد الضرر بالمريض لأغراض غير إنسانية نتيجة لمرض في الطبيب نفسه. وتلكم حالات تمر فيعلن عنها ويعاقب عليها فأعلوها ويحاكمون، وقد يمنعون من الاستمرار في مزاولة هذه المهنة، لأنهم أثبتوا أنهم دون مستواها، مثلهم في هذا مثل كل من يسيء إلى مهنته، ومن هنا تأتي الفحوص والاختبارات الدورية للأطباء وذوي المهن الحساسة ذات العلاقة المباشرة بحياة البشر، كالمرضين والطياريين ورجال الأمن والدفاع المدني ونحوهم. يفحصون جسماً ونفسياً خوفاً من الإنزلاق في تصرفات تكون لها مجموعة من المضاعفات.

وإنه لمن المحزن أن يقرأ المرء أحياناً، وفي بلدان غربية وشرقية تدعي التقدم، عن مؤامرة طبيب في القضاء على مريضه، أو ممرضه تعتني بالمواليد الصغار فتقضي عليهم، أو ممرض يدخل على المرضى في أوقات يختارها فيستعمل علمه فيما يضاد تماماً ما تعلمه من أجله. وتلكم تصرفات تؤكد على أن البشر مهما وصلوا إلى العلم الدقيق هم بحاجة إلى مقومات أخرى أساسية في حياتهم تجعلهم يدركون مقامهم، وتدفعهم إلى تسخير هذا العلم فيما ينفع. هنالك مجموعة من المقومات التي يستطيعها البشر مرسومة لهم يأتي على رأسها مخافة الله تعالى وجعله رقيباً أول وأقوى من رقابة البشر، وخاصة في المجتمع المؤمن الذي يدرك هذه المعاني ويعيشها. ولذا نجد مثل هذه الحوادث الشاذة عالمياً

شبه معدومة في المجتمعات المؤمنة، التي تؤكد على المعاني السامية
لمهنة الإنسان في هذه الأرض. فيدرك الطبيب أثره على المجتمع فلا
يضر الأطباء مرضاهم.

الجزيرة - العدد ٥٧٤٢

السبت ٤ ذو القعدة ١٤٠٨ هـ ١٨ يونيو ١٩٨٨ م

حضانة الأطفال

الحديث عن الأطفال دائماً يأخذ منحى عاطفياً ويسلم الكثيرون أن أطفال اليوم هم رجال الغد. ولذلك يأتي هذا الاهتمام بهم على مختلف المستويات. . وهناك ظاهرة اليوم بدأت تبرز أكثر مما كانت عليه من قبل تتمثل في مسألة رعاية حقوق التعليم والتطبيب والتمريض. ولسنا هنا بصدد الحديث على أهمية هذه الحقوق وأهمية وجود المرأة فيها، كما أننا لسنا بصدد الوقوف مع أو ضد عمل المرأة عموماً في هذه الحقوق ونحوها، إذ إن هذه النظرات تحكمها المصلحة العامة للبلاد، والتي لا تتنافى مع ديننا الحنيف وعاداتنا الاجتماعية الراسخة.

ولكن النقاش هنا ربما انصب على الأم المشتغلة، خاصة الأم التي تحضن طفلاً يحتاج إلى عناية مكثفة تقوم على جرعات متواصلة من الحنان، بدلاً من أن يعتقد أن المقصود هو الخدمات المادية للطفل. . فالحنان - والحديث على الحنان يطول - لا يمكن أن تقدمه أو يقدمه شخص آخر مهماً كان قريباً من الطفل غير أمه. وهذه سنة الله في أرضه حتى يقال إن قسوة الأم على وليدها لا تخلو من حنان، فجزى الله عنا والدينا كل خير.

الطفل بحاجة إلى رعاية، والأم بحاجة إلى أن ترعاه مهما حاولت

التضحية في هذا الجانب أو تأجيله إلى فترة ما بعد ساعات العمل الرئيسية، وهذه من مسلمات الحديث التي يتم إيرادها هنا لمجرد التذكير من جهة، ولمجرد جعلها منطلقاً من جهة أخرى. والواقع أن الكثيرات بدأت ينتبهن لهذه المسلمة، فأثرن السكينة والاعتذار عن العمل ريثما تتم فترة محددة يمكن معها للأم أن تعود لعملها، ولكن الظروف الإدارية والنظامية ربما حالت دون تحقيق هذا الأسلوب للجميع، وهذه الظروف الإدارية والنظامية جاءت نتيجة للحاجة الملحة للمدرسات والطيبات والممرضات - أي للعاملات -، وجاءت كذلك نتيجة إلى أن رعاية الطفل ليست ظرفاً طارئاً تعطى الأم معه إجازة اضطرارية لمدة محددة، تعود بعدها لمزاولة عملها، ولعل هذه الظروف الإدارية والنظامية تبرز على المستوى التعليمي، حيث تختل العملية التعليمية عندما نعلم أن عدد المدرسات محدود وأن الأم المدرسة قد حسبت على العملية التعليمية وأعطيت جدولاً وارتبطت بطالبات من حيث الامتحانات والتقويم العام... وإن تبت هذه العملية في وسطها أمر غير سهل، وهذا ما يجعل البعض يتمسك بالظروف الإدارية والنظامية التي تمليها المصلحة العامة.. ومع هذا يبقى الطفل بحاجة إلى عناية أمه ورعايتها وحنانها وعطفها دون مبالغة في هذه الألفاظ.

من الاقتراحات التي سرت مسرى التنفيذ إقامة دور للحضانة في مجتمعات المدارس للبنات، وفي بعض المستشفيات، بحيث يكون الطفل قريباً من أمه، وتستطيع الوصول إليه في فترات متقاربة، وإن كانت متقطعة، فمن المتعارف عليه أن الطفل لن يكون في حضن أمه طوال الوقت، وعليه فلا بأس من الفترات المتقطعة ما دام هناك وصل بين الطفل وأمّه.. ولكن هذا الأسلوب الناجع والعملية سبب إحراجاً للرئاسة، حيث تركزت مراكز رعاية الطفل على المجمعات، حيث تكثر

المعلمات ومن هن في حكم المعلمات من الموظفات في المجمع، وهذه الكثرة تخول وجود مركز لرعاية الطفل على مستوى المدارس المنفردة على اختلاف مراحلها. . هذا الوضع أدى إلى التسابق على المجعات والإعراض على المفردات، خاصة من قبل الأمهات. ونحن هنا نتحدث عن الأمهات. . وظروف الرئاسة العامة لمدارس البنات المتمشية مع الواقع ربما لا تتيح لها فرصة فتح المراكز المتعددة، ولهذا خفت فعالية المراكز بهذا الأسلوب وأحدثت ذلكم الإحراج. .

* * * وتعتمد بعض الأمهات الموظفات إلى أساليب فردية حول التغلب هلى هذه (المشكلة) بالمعنى العام لكلمة مشكلة. . ويمكن أن تدور هذه الأساليب حول وسيلتين، الوسيلة الأولى تقوم على الاستعانة بالأهل في رعاية وحضانة الطفل، والوسيلة الثانية تقوم على الاستعانة بالخدم في أداء هذه المهمة، وكلا الوسيلتين تحتاج إلى توقف يقوم على محض الرأي ووجهة النظر التي ربما لا يوافقني عليها الكثيرون بل الكثيرات، بل ربما نظر إليها على أنها وجهات نظر إلى المثالية أقرب كما جرت عادة الكثيرين ممن يطرقون مثل هذه الموضوعات ويحاولون معالجتها. ومع هذا فتبقى الفكرة مجرد رأي.

الوسيلة الأولى القائمة على الإستعانة بالأهل - أهل الزوجة وأهل الزوج - على حد سواء تعد أسهل الوسيلتين وأخفها خطراً على الطفل، خاصة إذا لاحظنا أن عطف الأجداد على الأحفاد ربما تخطى عطف الأهل على أولادهم في كثير من الأحيان، وعليه فإنه من الناحية العاطفية تعتبر هذه الوسيلة قريبة من الوسيلة المباشرة القائمة على رعاية الأم لطفلها. . لكن المآخذ على هذه الوسيلة أنها تكلف الأجداد مهما كانوا شباباً جهداً هم في غنى عنه، لأنهم بمجرد تزويج أولادهم يبدأون فترة الحصاد بعد أن أمضوا سنين طويلة جداً في الحرث والزراعة فليس أقل

من أن يعفوا من الاستمرار في الحرث والزراعة، وتترك لهم الفرصة للحصاد والحصاد فقط، والمتمثل في محاولة الزوجين رد نسبة ضئيلة جداً مما أنفق عليهما من قبل والديهما من عطف وحنان. . هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن اتباع هذه الوسيلة (ربما) ساعد في بعث بعض المشاكل، مما يمكن أن يستغنى عنها لو أهملت هذه الوسيلة، ولم يلجأ إليها الزوجان. وأذكر هنا أننا لا نتحدث على الماديات، ولذلك فالهدايا والمكافآت المادية ليست أسلوباً فيه رد للجميل، فالأمر أعمق من هذا بكثير، وعليه فإن هذه الوسيلة ربما كانت سبباً في وجود مشاكل جانبية قد تتعدى المشاكل المعتادة التي تحصل بين الزوجين من جهة وبينهما وبين أهلها من جهة أخرى مما هو في طبيعة البشر. . .

أما الوسيلة الثانية القائمة على استخدام أساليب الخدمة في المنزل، فهذه أمرها حساس جداً اليوم، بحيث أصبح الحديث عليها ممنوعاً من ناحية، وذاتياً من ناحية أخرى، ومثالياً من ناحية ثالثة، لكن الواقع يثبت أن هذا الأسلوب خطراً جداً لا على الطفل فحسب، بل على المجتمع كله الذي يتوقع لهذا الطفل أن يكون أحد رجاله في الغد القريب. . وليس بعيداً عنا ما حدث لحالتين نشرتهما المصحف المحلية تقوم على استغلال الطفل في استدراج عطف الناس من قبل الخادمة، حيث قبضت الحالة الأولى من قبل الزوجة العاملة عندما عادت إلى المنزل في وقت غير معتاد فلم تجد الخادمة ولا طفلها، فانتظرت حتى رأت طفلها، وقد عادت به الخادمة ملطخاً بالسواد وملبساً رث الثياب والدموع قد حفرت على خديه قناة من جراء ضرب الخادمة له، فأسقط في يد الوالدة واتخذت قراراً لكم أن تتصوروه. . والحالة الثانية قبض عليها الزوج عندما أوقف سيارته عند محطة الوقود ليلمح فتى صغيراً يافعاً تسحبه الخادمة وهي تطوف على أصحاب السيارات مستدرة جيوبهم، فيسأل الأب عن هذه الظاهرة فيفيده

عامل المحطة أنها تتكرر منذ زمن طويل . . . وهذان نموذجان ظهراً للناس . وهناك نماذج أخرى كثيرة مادية يرددها الناس والنماذج المعنوية شاملة مفروغ منها إذا عدنا إلى المسلمة الآنفة الذكر التي تنص على أنه لا يمكن لأي شخص في الدنيا أن يمنح الطفل الحنان مثلما تمنحه أمه إياه . . .

وناحية فيها حساسية تتعلق بهذا الموضوع تقوم على أن البعض - أقول البعض - من الموظفين يجعلن من فكرة رعاية الطفل من قبل الخادمة حجة يحصلن فيها على خدمات أخرى من الممكن أن تقوم بها الأم ربة البيت في بيتها بدلاً من الخادمة كالطبخ وغسيل الملابس . . . إلخ .

وعليه فإنه أقل ما يمكن أن يقال حول الويلتين الأنفتي الذكر أنهما ليستا في صالح الطفل من ناحية، وليستا في صالح الحياة الزوجية من ناحية أخرى وليستا في صالح المجتمع عموماً من ناحية ثالثة . على أن هناك أساليب أخرى بعضها يقوم على فكرة إرسال الطفل إلى بعض من يضطلع بأمور الحضانة في بيوتهم مقابل أجره معينة للعناية به ريثما يعود الأهل ، وهذه مع أنها ليست شائعة إلا أنها ربما كانت أسلم الوسائل كلها في رعاية الطفل ريثما تعود والدته من عملها، ومع هذا فمحذور الحنان فيها لا يزال قائماً .

في سبيل المواجهة

إذا كانت هذه الأساليب لم تثبت جدارتها في العناية بالطفل ورعايته . وإذا سلمنا بضرورة عمل المرأة الأم الحقول في الثلاثة المذكورة وما شابهها فإن الدعوة إلى الحل المثالي القائم على الاهتمام المباشر بالطفل من خلال الوجود في المنزل تشير حفيظة كثير من الناس ، ولن

تلقى القبول بأي حال من الأحوال رغم أنها أفضل وسيلة في بناء المجتمع والمساهمة في نموه وتنميته على المدى البعيد. . ويخطيء كثير من الناس حينما يعتقدون أن وجود المرأة في منزلها ليس عملاً على كل حال. .

وعليه فإن هناك أسلوباً يقوم على إقامة غرف للحضانة في المدارس على اختلاف مراحلها، ودون النظر إلى حجمها فيكفي أن يكون هناك مدرسة لتكون فيها (غرفة) حضانة. وكذا الأمر بالنسبة للمستشفيات والمستوصفات الحكومية والخاصة. . . وهذا الأسلوب يقوم كذلك على تنسيق من قبل الرئاسة العامة لتعليم البنات وإشراف من قبلها. . . فكرة هذا الأسلوب تقوم على إنشاء مؤسسة لحضانة الأطفال. . . وقد يكون في هذا الاسم جانب تجاري ولكن الأمر لا يتعدى أن يكون مساهمة من قبل مجموعة من رجال الأعمال في هذه البلاد المباركة في إنشاء هذه المؤسسة واستقدام أو توظيف المتخصصات من المسلمات حسبما تقتضيه حاجة المدرسة مع تهيئة المكان وتزويده بالأجهزة والأثاث المطلوب لمثل هذه الحالة. . .

وبهذا الأسلوب سوف تتخلص كثير من البيوت من اتباع الوسائل المذكورة، حيث إن الطفل سيكون قريباً من أمه في مدرستها أو جهة عملها.

ورعاية الرئاسة وإشرافها على مثل هذا المشروع قد يتعدى الإشراف على الأسلوب إلى المساهمة فيه، بحيث يطلب من المعلمة الأم - مثلاً - أن تدفع مبلغاً مرسوماً مسبقاً، وتعين الرئاسة في بقية المبلغ على شكل مساهمة مباشرة فيه على غرار الإعانات التي تدفعها الدولة لبعض القطاعات التي يعود مردودها مباشرة على المواطن، وهي كثيرة والحمد لله.

وطرح الفكرة بهذا الشكل إنما هو بداية فقط، ولا يتوقع منا أن نرسم لها اللوائح والأنظمة وغيرها من أساليب لا بد منها في مثل هذه

الحالة. وهي كذلك فكرة مبدئية ربما تكون نواة لمشروع كبير فعال ينظر إليه من جميع الجوانب ويقوم لينظر ما إذا كان يحتوي على جوانب سلبية قد لا يتنبه لها من هم يبعدون عن الظروف والمحيط، ويكتفون بمجرد عرض الأفكار والآراء ووجهات النظر مثل مقدم هذا المشروع أو الاقتراح.

والباعث على طرح هذه الفكرة هو محاولة المساهمة في التغلب على مشكلة حضانة الطفل حضانة فعالة تجعل منه مواطناً صالحاً من ناحية، ومن ناحية أخرى إنها نظرياً ممكنة التطبيق في مناطق المملكة كلها، لكن الأمر لا يمنع أن تؤخذ منطقة أو مدينة وتنفذ فيها هذه الفكرة تنفيذاً مبدئياً، فإن أثبتت جدواها ولاقى القبول من قبل الأمهات المعلمات الموظفات سعي إلى تعميمها، وإلا أجهضت ودعي لمن فتح المجال بالخير، لأنه اجتهد ولكنه لم يصب.. وليس هناك من يعتقد أن مثل هذا المشروع يمكن أن ينفذ بين يوم وليلة، كما أنه ليس هناك من يعتقد أن مثل هذا الأسلوب لا يخلو من جوانب غير مضيئة، مثل أن يستغل في النفع المادي مثلاً من خلال إحضار حاضنات قليلات الخبرة، أو لا يتمتعن بمؤهلات الحاضنة من سعة في الصدر وصبر على معاملة الأطفال والنظر في احتياجاتهم ورغباتهم ووسائل راحتهم، وهذا ربما أدى إلى نتائج غير متوقعة يكون تأثيرها عكسياً، وتؤكد بطريقة غير مباشرة الأسلوبين اللذين حاولنا عدم التأكيد عليهما لما عليهما من مآخذ، وتبقى أخيراً فكرة قل أن يقبلها الكثيرون، وهي ثاني حل مثالي يمكن أن يكون بعد الحل الأول القائم على الاهتمام المباشر والمستمر من قبل المرأة، ويكمن هذا الحل الثاني في انتظار الأم فترة من الزمن حتى (يشب الطفل عن الطوق) بعدها تنخرط إذا أرادت في سلك التعليم والعمل الصحي.. وفي هذا الانتظار تضحية مادية قريبة المدى..

ولحساسية الموضوع كله أعود فأؤكد أن الحالات الشاذة التي وردت فيه ليست على أي حال مقياساً يمكن أن يعمم على الجميع، فليس كل الخدمات يعاملن أطفال مخدميهن بهذا الأسلوب، وليس كل الأجداد يحسون بنفس الشعور المذكور، بل ربما يكونون في سعادة تامة عند رعايتهم لأحفادهم، وليس كل المعلمات والعاملات يواجهن ظروفاً تصل إلى الصورة التي عرضت فيها الفكرة ومع هذا كله فكل حالة منفردة يمكن أن تتعرض لما تعرضت له هذه الحالات المفرطة في السلبية، وإن لم تتعرض لها شكلاً، فإن المضمون ربما كان بهذا المستوى وإن اختلفت الأساليب. والواقعية أمر لا بد أن نعيشه ونحاول المساهمة في القضاء على ما فيه من محاذير والتشبث بما فيه من منافع تعم الجميع بطريق مباشر وغير مباشر. . . وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة - العدد ٤٥٥١

الجمعة ٢٤ جمادى الآخرة ١٤٠٥ هـ - الموافق ١٥ مارس ١٩٨٥ م

شمولية الإعلام .. والقضايا الاجتماعية

لا يزال هناك نقاش قائم حول دور وسائل الإعلام ومنها التلفزيون في المجتمع، فهناك من يقول إن التلفزيون لا بد أن يغلب عليه جانب الترفيه والخفة في البرامج وعدم اللجوء إلى العمق فيما يقدم من مواد. وحجة هؤلاء أن متوسط مشاهدة التلفزيون لدى عينات مختلفة لا يكاد يتعدى الثلاث ساعات ونصف في اليوم، إضافة إلى أن هناك فئات من الناس لا تحبذ مشاهدة التلفزيون.

والوجهة الأخرى تصر على أن التلفزيون ووسائل الإعلام الأخرى أدوات مؤثرة، ذات علاقة قوية بتوجيه المجتمع وجهات تعتمد على نوعية البرامج التي تعرض ويتلقاها الجمهور، ومهما كانت المادة المعروضة خفيفة وسريعة إلا أن تأثيرها وارد ولا شك حتى في مواد الإعلان والدعاية والأساليب التي تقدم بها هذه المواد.

وتلفزيون الخليج بقنواته المتعددة يتجه إلى الإيمان بفكرة الجدية في التأثير التلفزيوني على المجتمع، ولذلك تجد التلفزيون يعتمد إلى الجوانب الثقافية والتربوية والفكرية ويخصص لها وقتاً مناسباً فيما يقابل أوقات الترفيه، والبرامج الدينية جزء من هذا الجوانب، مع التأكيد هنا على كل ما يعرض في التلفزيون وأن له تأثيراً مباشراً.

ولعله من المناسب هنا التنويه بندوة تطوير البرامج الدينية في تلفزيونات الخليج التي تنظم بالتعاون بين جهاز تلفزيون الخليج وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في مدينة الرياض ممثلة بكلية الدعوة والإعلام. ولأهمية هذه الندوة وما سيتمخض عنها من آراء ونقاشات واقتراحات وتوصيات. ولأهمية الموضوع ولما له من تأثير على مستقبل الأمة من حيث وجهتها نجد أن الندوة تدعو مجموعة تصل إلى الثلاثين من علماء الدين وأساتذة الإعلام والخبراء في المؤسسات الإعلامية والمفكرين والمهتمين فيقدمون البحوث والدراسات التي تنظر من خلال زوايا الموضوع المتعددة، فيتمكن القائمون على الندوة والداعون إليها من الخروج بنظرة شاملة لما يمكن أن تكون عليه البرامج الدينية الموجهة إلى فئات متعددة من أبناء المجتمع الخليجي تشمل غير الناطقين بالعربية من الجاليات الإسلامية الأخرى. وتأتي أهمية هذه الندوة من خلال رعاية صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز لها في حفل افتتاحها، وهذه الخطوة إشارة عملية إلى الرعاية المستمرة التي توليها حكومات الخليج للأنشطة العلمية والفكرية التي يتبناها أبناء الخليج.

تقويم البرامج

والذي يبدو من عقد هذه الندوة أن هناك نية لتقويم البرامج القائمة اليوم تقويماً موضوعياً يبين فيها ما يعثرها من عجز أو نقص سواء في الكفاءات أو أساليب الأداء والعرض. ومن وراء هذا التقويم دراسة شاملة للبرامج الدينية المعروضة اليوم على الشاشات الصغيرة، ولا بد هنا من أن يتذكر المرء بعض البرامج الناجحة التي وصلت الآن إلى أكثر من عشر سنين وهي تعرض بالأسلوب ذاته وبالمقدم نفسه والوقت كذلك، وانظروا إن شئتم إلى برنامج «نور وهداية» لفضيلة الشيخ علي الطنطاوي - رعاه الله - وفي الوقت ذاته لا بد أن يتذكر المرء بعض البرامج التي لم توفق

من حيث العرض والمقدم فكان مصيرها التوقف لأنها لم تسهم في أداء المطلوب وتحقيق الغرض .

وهناك البرامج التي أدت رسالتها وتوقفت، ليس لقصور فيها، ولكن لأن دورها قد تم على الوجه المطلوب، وأثارت بعض القضايا التي كان لها مساس بحياة المجتمع ودرستها، وخرج منها المشاهد والمستمع بحصيلة طيبة من الفائدة المرجوة .

شمولية الفكرة..

ولعل الندوة لا تقتصر على البرامج الدينية فقط، وإنما تنظر نظرة أعم نحو رسالة تلفزيون الخليج وتأثيرها على مجتمع يؤمن بالإسلام ديناً، وعليه فإن الدين لا بد أن يكون حاضراً في جميع البرامج، فلا يكون فيها ما يتعارض معه أو يشوّهه لدى الأجيال، سواء من ذلك من خلال البرامج الفكرية والثقافية، أو من خلال البرامج الموجهة لفئات بعينها كبرامج الأطفال وبرامج المعوقين وبرامج الأسرة . . وغيرها، بل والمسلسلات التلفزيونية المعروضة تخضع لهذا المنطلق وتكون منبثقة عنه، ومواد الدعاية والإعلان كذلك. أي أن هناك شمولية في النظر إلى الدين على أنه هو المخدوم من خلال خدمة البرامج عموماً للمجتمع .

وتأتي الشمولية هذه قصداً إلى إبراز الدور الذي يقوم به مواطنو دول الخليج في خدمة الإسلام والمسلمين في الوقت الذي يتطلع فيه المسلمون من كل جانب إلى هذه المنطقة التي وهبها الله نعماً كثيرة نعمة الإسلام أولها ونعمة الأمن والاستقرار والخير العميم .

إننا إمة متميزة لها كيان ولها تطلعات ولها أهداف تختلف تماماً عن أهداف الآخرين، ونحن مطالبون بتحقيق هذه الأهداف - من خلال تحركاتنا كلها حتى من خلال الترفيه البريء الذي نحتاجه بين الفينة والفينة .

ولعل هذه الندوة تنطلق من النظرة الإيجابية للتلفزيون، تلکم النظرة الواقعية التي تريد أن تسير هذا الجهاز لخدمة المجتمع خدمة بناءة تتزامن مع النهضة والنمو اللذين تعيشهما المنطقة واللذين جعلنا من خدمة الدين منطلقهما، فجاءت النهضة والتنمية متسقة مع التطلعات، ولم يحدث أن وجدت فجوات بين أساليب التنمية العقلية الخليجية التي تشهد هذه الأساليب، ويبرز ذلك من خلال التأكيد المستمر على أن نهضة الأمة تكمن في تمسكها بعقيدها وتطوير التقنية والعلوم والاستفادة من مؤسسات تعليمية أو علمية.

ومن هذه المنطلقات نجد أن للبرامج الدينية «في تلفزيونات الخليج مكانتها الإعلامية المقدرة ورسالتها المؤثرة في التثقيف والتوعية والتوجيه. ولها وظيفتها في بناء النهضة ومعالجة المشكلات الاجتماعية والفكرية بعلم وحكمة».

وإذا كان لكل وقت أسلوبه في الأداء والتأثير فإننا في زمن تأثير وسائل الإعلام والتلفزيون منها، وهذا يستدعي القيام بدراسة تتناول واقع البرامج التلفزيونية بالتحليل والتقويم والنظر في الحاجة إلى التخطيط السليم الذي يثري عطاءها ويحدد أساليبها في الحاضر والمستقبل.

ثم إن التنويه بمثل هذه الندوات في هذا المقام نابع من الدعوة المستمرة إلى إثراء نواحي البحث العلمي والدعوة إلى وقفات تقويمية لكل الأساليب القائمة بحيث يسعى بها إلى الأفضل من خلال الدراسات المتأنية التي تصطبغ بالطابع العلمي الذي ينظر إلى هذه الأساليب نظرة فاحصة فيقرها أو يعد لها أو يستبدلها ويقيم مكانها غيرها، وهذا إنما يتم عن طريق تجميع المجموعات من التجارب والخبرات والنظريات في ندوة شاملة تعين على تلمس الطريق السليم، وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة، العدد ٧١٠٢

الإثنين ٦ رمضان ١٤١٢ هـ/ ٩ مارس ١٩٩٢ م

الجنادرية .. وانطلاقة الموروث

في الجنادرية تنطلق هذا الأسبوع المحاولة الرابعة لإطلاع أبناء اليوم على موروث الأباء والأجداد القرييين، وليست الجنادرية تعبيراً عن مجموعة من الآلات والأغراض المصنوعة محلياً فحسب، ولكنها تبيان للمعاناة التي عاشها من سبقنا وما تحملوه من شظف العيش وضيق ذات اليد، حتى إن غنيهم كان أفقر من فقراء اليوم حيث تغيرت المعايير، وإن لم تتغير بعد المفاهيم والمصطلحات.

هذه الآثار الموروثة هي شاهد حي على ما أغفله التاريخ من جانب حيوي من المجتمع في ذلك الوقت، ولعل التاريخ المكتوب قد قدم لنا بعضاً مما كان في الماضي، لكن الجوانب الاجتماعية والحياة الاقتصادية قد لا تكون واضحة في الوثائق والكتب بالشكل الذي يشبع رغبات جيلنا الجديد. وتأتي الجنادرية لتحاول أن تصور لنا هذه الجوانب الأخرى من الحياة.

والحق أنا لسنا الوحيدين ممن هم بحاجة إلى مثل هذا الكشف الحي، ولكن هناك الكثيرون ممن يهتمون بالحياة في هذا المجتمع قبل أن يتوحد بالمملكة العربية السعودية، ومن هنا أيضاً تبرز ضرورة التأكيد على دعوة الآخرين من غير أبناء البلد لتتاح لهم الفرصة للاطلاع والاستفادة،

ومن ثم الإفادة من حيث تغيير النظرة عموماً عن الحياة في المملكة العربية السعودية ماضياً ومستقبلاً .

ولعل من نتائج المحاولات الثلاث الماضية لمهرجان الجنادرية أن كسبت المملكة مجموعة لا بأس بها من المثقفين كانوا يجهلون الوضع الذي كانت عليه والذي آلت إليه . وكانوا يجهلون الوضع لأنهم سبق وأن كونوا فكرة سلبية عن المملكة استقوها من أولئك الذين لا يريدون لهذه البلاد أن تنهض بأهلها ورجالها، فكانت طروحاتهم مغرضة ويغلفها الحسد .

ومن هنا تأتي أهمية الجانب الثقافي من خلال الندوات والمحاضرات والأمسيات التي تقوم مصاحبة للموروث العامي (الشعبي) ولا أقول على هامش المهرجان، لأن هذا الجانب قد بدأ يؤدي دوراً يكاد يوازي الموروث المعروف، إن لم يتخط في التأثير ما هو موروث من المواد والآلات والأدوات وأغراض العيش، ذلكم أن هناك فئة غير قليلة العدد من أبناء البلاد المثقفين يتوقون إلى حضور هذه الجلسات الثقافية المصاحبة للموروث .

وإذا كان الرأي أن دعوة المثقفين والمفكرين من خارج البلاد واردة ومحبية، فإن المشاركة المتوقعة هي في الإسهامات الفكرية والثقافية التي تخدم الموروث تبرز فكرياً ما لا يستطيع الموروث أن يبرزه، ولا ينتظر من بعض النوعيات من المثقفين والأدباء من خارج هذه البلاد أن يسهموا في مثل هذا إلا أن يتم اختيارهم ممن سيخدمون هذا الاتجاه .

ومن المناسب هنا أن يبرزوا معارضهم حول بلادنا ووجهها المشرق ما داموا قد قدموا إلى بلد كانوا يتوقعونه على غير ما رأوه من حيث الشمولية وحسب ما قرأوا دون الرؤية الواقعية في جوانب النهضة التي يعيشها والتي لم تقتصر على الإنجازات المادية فحسب، بل انعكست على الأمة فبرز منها العلماء والمفكرون والمربون والمثقفون والمحافظون المستثمرون على تراثهم

البعيد في عمر الزمن الحاضر في ميزان التطبيق، بحيث أصبحت هذه النهضة بحق امتداداً للإنطلاقة التي بدأها السلف الصالح، فجاء الخلف ليرثوا الأنبياء في العلم وتستمر المسيرة ترعاها عناية الله.

هكذا يجب أن ينظر الآخرون لهذه البلاد بعين الإنصاف والواقع. ومن هنا تنطلق التحقيقات الإعلامية لتبرز هذا الجانب، ومن هنا تنطلق الدراسات العلمية من قبل المعجبين بهذا النمط من الحياة الذي جمع بين المادة والروح في اتساق عملي كان البعض لا يظن أنه يقوم، فأصبحت المملكة العربية السعودية (أنموذجاً) للعالم المستقر، وأصبح المواطن السعودي والقادم إلى هذه البلاد عنواناً للإنسان الآمن بكل مدلولات الأمن، الأمن الروحي والأمن الغذائي والأمن الصحي والأمن التعليمي والتربوي والأمن الفكري بالإضافة إلى الأمن العام وهو أمن بلادنا في طولها وعرضها.

ويركز المسؤولون في هذه البلاد وعلى رأسهم قادة هذه البلاد على أن السر في ذلكم كله يكمن في تمسك هذه البلاد بعقيدتها وتطبيقها لشرية الله في عبادته. والتمسك والتطبيق لا يقتصران على الجوانب المادية فقط، ولكن على الفكر الذي لا بد أن ينعكس على التطبيق المادي، وهو فكر أصيل ومستنير اكتسب الرشد من ماضيه الحضاري الإسلامي.

ومن المؤكد أن الثقة بالقائمين على التخطيط على مجريات وفعاليات الجانب الثقافي من المهرجان ثقة مطلقة، ولكنه التذكير والإعانة على الخير وطرق أبواب طرح الرأي في سبيل الخروج برأي مشترك بناء يضيف على المهرجان الرونق الثقافي الذي نروم التميز به، وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة

الوجه الآخر للتراث..!!

التعلق بالتراث أمر على العموم مطلوب. فيه ربط بين حاضر الأمة وماضيها. وأمة لا ماضي لها لا حضر لها ولا مستقبل لها. والتراث يعين على التمسك بالشخصية المتميزة عند كل أمة، وهو يضيق أحياناً حتى ليفرق بين الأمة نفسها ويقسمها إلى عناصر قابلة لتفتت إلى عناصر أصغر كما تفتت اليوم الحصوة في كلية الإنسان. ولذا فإن إطلاق الإيجابية أو الصورة الحسنة على هذا التراث أو ذاك خدعة دعت إليها الحماسة للتراث، إما عن قصد ارد على دعاة نبذ التراث أو لعدم الإطلاع العميق على التراث نفسه.

والذين يتشدقون بالتراث وينظرون إليه نظرة حسنة إنما ينظرون إلى الجانب الحسن فيه - وهذا ظننا بهم -، ويحاولون إغفال ما هو سيء ونبذه وإخراجه من مفهوم التراث بالجملة حتى يقتصر المفهوم على ما هو حسن فقط وفي هذا شيء من الإجحاف في فهم التراث، فإساسة موروث الأمة - أي أمة - تستدعي إبراز جوانب الخلل في مقومات حياتها، لتتعرف نحن البعيدين عن مواطن الضعف في الأمة، فنذكر أن الأمة إنما أخذت من مواطن الضعف فيها.

والمجتمع السعودي إنما هو امتداد للمجتمع العربي قبل الإسلام

وبعده، وكان في هذا المجتمع قبل الإسلام مواطن ضعف ومواطن قوة. ركز القوميون العرب فيه على مواطن القوة فيه، وركز المدافعون عن الإسلام في وجه القومية العربية على مواطن الضعف في المجتمع العربي قبل الإسلام، وتبقى هناك في ذلك المجتمع مواطن ضعف وقوة، أتى الإسلام والعرب يعيشونها فرسخ في النفوس والأذهان مواطن القوة من منطلق إيماني وشرعي، وأغفل مواطن الضعف ودعا إلى نبذها بمقاييس إيمانية وشرعية لأن الإسلام يراد منه أن يكون مطبقاً عند العرب وعند غير العرب، وفي زمن العرب وفي زمن غير العرب. وأقول بالمقاييس الإيمانية التي تتعلق بالقلب والشعور وبالمقاييس الشرعية التي تتعلق بالسلوك الذي يصدق الإيمان.

وإذا فإن تراث السعوديين ينبغي أن يقاس بهذا المقياس لأن السعوديين يقفون رمزاً للممارسات الشرعية مهما ذهبوا أو حلوا. والحق أنه بهذا المقياس توجد بعض الموروثات غير الحسنة خلفها البعد عن المقياس ردياً من الزمن قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي جاءت لتجدد في الدين لا لتدخل عليه شيئاً جديداً كما يزعم الزاعمون، ولذا عمد ابن عبد الوهاب - رحمه الله - إلى الدعوة الصادقة إلى نبذ شيء من الموروث مما يحدث خدشاً في عقيدة المسلم، وقد وفقه الله تعالى إلى كثير من النبذ، ولكنه بقيت هناك بقايا استمرت إلى يومنا هذا في بعض الجهات من الجزيرة العربية التي شملتها دعوة الشيخ ابن عبد الوهاب وتعدتها.

وفي الشهر الماضي / رجب ١٤١٢ هـ (أهداني) أحد الأخوة ورقة لفت بقمماش وعند فتحها وجدت فيها «شخاميط» لا أول لها ولا آخر، وإذا هي تميمة ذهب لها امرأة يحصل على إسقاط قبل الولادة فقصدت عجزاً في قريتها أو مدينتها فكتبت لها هذه التميمة بمائة وخمسين ريالاً،

وهي بحق عبث من عبث ابنتي الصغيرة التي لم تصل إلى الثالثة من عمرها بعد. ويراد منها أن تنقذ هذه المرأة من الإسقاط. فيتداركها الطيبون وينزعون عنها التميمة بالإقناع وبالْحكمة لا بالجدب والحديث الفظ وهي في شهرها الأول. ويشاء الله تعالى أن يستمر الحمل وأن تنجب مولوداً سوياً لا شية فيه. وأمثال هذا الموروث كثير في مجتمعنا مما يستدعي تكثيف الجهود في التخلص من هذه الناحية السيئة من الموروث من العلماء وطلبة العلم بخاصة.

وهذا جانب واحد يتعارض تماماً مع المقياس، وهناك جوانب أخرى يمكن متابعتها لتكشف لنا عن الوجه الآخر للتراث في وقت نركز فيه على الوجه المشع الناصع من الجوانب المادية التي نريد من أبنائنا أن يطلعوا عليها ليدركوا النعمة التي هم فيها مقارنة بما كان عليه آباؤنا.

وليس المراد هنا إبراز الوجه الآخر الكالح للعامّة، ولكن الجانب الثقافي في مسألة التراث يمكن أن يغطي هذا الوجه ويعطيه من الدراسة والبحث ما يكفل الاستمرار في الابتعاد عنه سعياً وراء الممارسة الصحيحة في الجوانب المعنوية من الموروث الشعبي.

والحق أنه ليس هناك ما يميز هذا المجتمع عن المجتمعات الأخرى في الجوانب المادية من التراث إلا في مسألة الوسائل التي تختلف من بيئة إلى أخرى، فكل الناس يسقون الزرع وكل الناس يصنعون الحذاء وينسجون الملابس والفرش ويطحنون الدقيق وقيمون المناسبات. والذي ينبغي التركيز عليه في هذا المجتمع هو موروثه الروحي الذي اعترته مع الأيام صنوف من الخرافة ما لبثت أن زال كثير منها وإن بقيت بعض من آثارها.

ونحن بتعرضنا للوجه الآخر لا نسعى إلى ترسيخ هذا الجانب في الأفهام، بل إننا ندعو إلى أن يعرف الناس أننا كنا شيئاً من قبل فأصبحنا -

بفضل الله تعالى - شيئاً آخر مختلفاً عن سنين مضت لا من حيث التنمية واستخدام التقنية الحديثة فحسب، بل من حيث نظرتنا إلى سرّ وجودنا في هذه الحياة وهذا هو المهم.

ولعل مؤسسة علمية (أكاديمية) مثل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تسهم الآن في إبراز هذا الجانب المهم من حياتنا القريبة من خلال مجموعة من الدراسات العقيدية والتاريخية والدعوية التي عاشتها البلاد منذ المسيرة الأولى للدولة، السعودية الأولى التي قامت على هذا المزج الطيب بين الدعوة بالمفهوم الشائع للدعوة والقوة بالمفهوم الشائع للقوة فأنجب هذا المزج دولة إسلامية يراد لها استمرار على الخط الذي رسمه كل من محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب. وجامعة الإمام مطالبة اليوم قبل أي يوم آخر بما أوتيت من الإمكانيات المادية والبشرية بتكثيف الدراسات «الأنثربولوجية» عن المجتمع السعودي منذ بدايتها إسهاماً منها في التركيز على الجانب المعنوي الموضوعي للتراث، وكان الله في عون الجميع.

توجيه التراث...!!

نحن لا نخجل كثيراً من تراثنا القريب، ونحن القريب، ونحن نفخر كثيراً بتراثنا البعيد. والحديث هنا يتركز على التراث القريب الذي يمثل الممارسات الاجتماعية والمهنية والحرفية في مجتمع الجزيرة العربية قبل توحيدها تحت اسم المملكة العربية السعودية بقليل من الزمن، وبعد توحيدها، أو توحيد القسم الأكبر منها على الأصح.

هذا التراث القريب موضع إعجاب لأنه النافذة التي نطل منها على الواقع الذي كان أجدادنا عليه ثم أصبحنا نحن وأبناؤنا ونحن امتداد له في واقع آخر فيه اختلاف شديد بين جيلين لم يفصل بينهما إلا النعم التي تفجرت أنهاراً علينا، وكانت حيسة القاع في زمن مضى، والحمد لله على النعم الظاهرة والباطنة.

وفي وقفة سابقة مع التراث ذكرت الوجه الآخر للتراث، وأكدت على أننا لا نفخر بكل التراث القريب، ولكننا نفخر بالكثير منه. ومن سمات المرحلة الماضية شيوع الجهل بين الناس، وكان لهذا الجهل آثاره على حياة عرب الجزيرة من النواحي السياسية والاجتماعية والعلمية دون شك، وبسبب من هذا الجهل كانت هناك ممارسات جاهلة غير متوصلة ولم تخضع كثيراً للتوجيه السليم. تتعلق بالنظرة العامة للحياة. ومع أن

هذا الجهل لم يكن جهلاً «مطبّقاً» إلا أنه كان طاغياً على كثير من المجتمعات الصغيرة في المجتمع الكبير.

حتى العلاقة مع الله تعالى كان يتتابها الجهل ثم يوجهها توجيهاً غير سليم. وكانت لظهور الإمام المجدّد محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - الأثر القوي في إعادة توجيه العلاقة مع الله تعالى. وقد تكونت من خلال هذه العلاقة الخاطفة مجموعة من الموروثات تدخل هي أيضاً في الجانب الذي لا نفخر به، ولكننا نعترف أنه كان موجوداً في زمن قريب مضى. فقد كان للشعوذة سوقاً وكان للخرافة أتباعاً وكان للاحتيا باسم الدين شياطين من الإنس والجن، وهذا كله من نتائج الجهل «غير المطبق» الذي خيم على البلاد لفترة غير قصيرة.

وأصر على أن الجهل لم يكن «مطبّقاً» لأن البلاد لم تكن تخلو من العلماء، ولكنهم كانوا في الجملة قليلين غريبين علمهم محدود لأن الكتاب لديهم كان محدوداً، والعلماء من مشايخهم كانوا محدودين وهذا، إلا أن البلاد قد نعمت بمجموعة منهم حفظت جهودهم من خلال الدراسات والتراجم التي كتبت فيهم.

ويأتي التقليد السنوي في مهرجان الجنادرية بشقه التراثي ليؤكد على الجانب المضيء من التراث مهما كانت بدائيته في الآلة والأداء والممارسة. ويبدو أنه يتعمد إهمال تلك الجوانب التي لم تكن موضع افتخار.

والموضوعية العلمية التي ننطلق منها توحى بالرغبة في إظهار الجوانب السيئة في التراث، ليس على أنها موضع فخر، ولكن على أنها ممارسات كانت موجودة فقضى عليها العلم الشرعي أولاً، ثم التوعية المستمرة من خلال انتشار التعليم والإعلام والتربية الموجهة.

ومن هنا يأتي مفهوم التوجيه للتراث بحيث يغطي ما كان موجوداً،

ويبرز الحسنات فيه، ويتعرض للسيئات على أنها كانت موجودة، ولكنها لم تعد مرغوباً فيها في ضوء هذا التحول الطيب في النظرة إلى الدنيا والآخرة.

ولا يتوقع أن يكون هناك عرض حي للجوانب السيئة، إذ إن منها مناظر لا تليق ولا تسر، ولكن يأتي الجانب الثقافي من المهرجان ليتعرض للجوانب السيئة، وصور السوء فيها، والمعيار الذي تقاس عليه حتى تُعدَّ سيئة. وأظن أن الجانب الثقافي من المهرجان يحتمل مثل هذه الموضوعات وبخاصة أنه ربما يتعرض أحياناً لموضوعات ليست لصيقة بالتراث أو بروح المهرجان، وكأن هناك عزلة بين موضوعات التراث وبين الموضوعات الثقافية التي تصاحب المهرجان على أنها جزء من المهرجان وليست على هامش المهرجان.

إنني أدرك أن هناك من يتحمس للتراث بحكم المهنة أو إثبات الوجود أو الدفاع عن الذات، ولكن الحماس للتراث ينبغي دائماً أن يكون من المنطلق التوجيهي الذي ينظر إلى التراث على أنه ذو وجهين، فلا يقبل بحذافيره لمجرد أنه تراث وأنه مادة تثري الحديث على التراث بأي شكل من أشكال الحديث من التراث، ولا يرفض بحذافيره بحجة أنها مرحلة تخطيناها، وهي لا تمثل مرحلة نفخر بها في حياتنا رغم ما فيها من حسنات، فخير الأمور الوسط، وكان الله في عون الجميع.

أبو القرص .. وأصحاب الهيم!

لست أملك أن أصل إلى حكم فصلٍ يمكن أن يعد معياراً في هذا المجال ولكنني اطرحها فكرة هنا وهي أن كل موروث شعبي يناقض أو يتعارض مع المبدأ الإسلامي فهو غير مقبول.

الموروث الشعبي مليء بالتجارب والحكم .. المعاناة التي عاشتها الأجيال السالفة أورثت هذه التجارب والحكم .. ليس بالضرورة أن يصدر الحكم عن فيلسوف أو عالم .. العالم يزنها بعلمه .. وغير المتعلم يستنبطها من خبرته مع الحياة.

وهناك ما يلوح في الأفق من وقفات سلبية تجاه الموروث الشعبي ينظر إليه على أنه ليس في مستوى الرواية والاعتبار ينظر إليه آخرون على أنه يأتي على حساب المبادئ التي جمعت الأمة .. قد يعد مدعاة للمحلية الضيقة .. ولأنه يروى باللهجات العامية المحلية يعد أيضاً منغصاً للغة العربية الفصيحة ..

فيكون تهديداً مرة أخرى ومن خلال اللغة للمبادئ التي تجعل من اللغة وسيلة إلى التفاهم .. تلكم المبادئ التي لا تقبل المحلية في التطبيق.

وهناك ما يلوح في الأفق من وقفات إيجابية مفرطة في الاعتناء بالمووروث الشعبي حتى ليعد غير الطيب منه طيباً . . فيقبل كل ما جاء عن الناس على أنه يعكس صورة ما كانوا عليه من حياة اجتماعية . . أو أدبية . . أو سلوكية . . ومن الحماس لهذا المنطلق نجد الخلط بين المبادئ والمووروث . . بل ربما جر الحماس البعض إلى السلوك الشعبي . . وتغلبه على المبدأ . . فإذا اتفق المبدأ مع السلوك الشعبي نجد هذا المتحمس يتقمص السلوك الشعبي . ليس على أنه مبدأ ولكن على أنه سلوك شعبي . . والأمر هنا فيه نوع من الغموض . . ولكن الحال كذلك . . فقد يقول البعض إن السلوك الشعبي مستمد من المبدأ . . وهذا ليس بالضرورة صحيحاً . . فليس كل السلوكيات الشعبية - العامة - متفقة مع المبادئ التي تدين بها الأمة . . فهناك إذن خلط . . يتوجب فرز هذا من ذلك . .

ربما أطلق على مجتمع إسلامي أو أكثر مثلاً بأنه مجتمع طيب - بالمعنى الإيجابي لكلمة طيب . . وهذا مبدأ تتفق فيه جميع المجتمعات التي تؤمن بمبدأ الطيبة . . ولكن إذا تحولت هذه الطيبة إلى المعنى السلبي - المحدث - على الكلمة . . قيل إن ذلك المجتمع طيب . . وهذا المعنى للطيبة غير مبدأ . . بل هو سلوك شعبي . . يحاول البعض تعميمه على هذا المجتمع . . والطيبة - بالمعنى الإيجابي - لا توقع صاحبها في المزالق . . لأن المبدأ يحث على الكياسة والفظنة في المؤمن . . فإذا وقع الشخص في حبال محتال في الداخل أو الخارج فهو لم يتمثل المبدأ . . وهكذا يحسن التفريق بين المبدأ - العام والتنفيذ - والسلوك الشعبي الذي قد يصدق على مجموعة من الناس دون آخرين . . ومن هنا لزم ألا نتحمس للموروث الشعبي لمجرد أنه موروث شعبي . . وإنما نتحمس له إذا وافق المبدأ . . أو لم يتعارض مع المبدأ وإن لم يوافقه . . وهذا ما يجعل

البعض يؤكد في أكثر من موقف أن الموروث الشعبي ليس خيراً كله . .
ففيه الصالح . . وفيه مادون ذلك . . والأمر يحتاج إلى استقراء لمعرفة
النسبة . . ولكن الانطباعة لدى الكثيرين أن الموروث الصالح أكثر بكثير
من الموروث المناقض للمبدأ .

— ٢ —

والمجتمع السعودي مجتمع مسلم قبل كل شيء . . أي أنه مجتمع
المبدأ . . ومنذ دعوة الشيخ «محمد بن عبد الوهاب» ومؤازرة الإمام «محمد
بن سعود» رحمهما الله - لهذه الدعوة والسلوكيات تتفق - في الغالب - مع
المبدأ .

وفي مجتمعات أخرى - عربية وإسلامية - تتضح الصورة في الخلط
بين الأمرين حتى ليصل هذا الخلط إلى اللبس عند التفريق بينهما . . لأن
بعض السلوكيات - الشعبية - جاءت نتيجة لتحريف في فهم المبدأ .

— ٣ —

هذا دافع البعض من الذين يقفون من الموروث الشعبي هذه
المواقف الواقعية وهي مواقف - مهما كانت مخلصه - إلا أنها لا تملك أن
تمحو ما ورثه لنا الأسلاف القريبون من حكمة . . كانت هي منطلق هذا
الحديث . .

يحكون أن مجموعة من الرجال ذهبوا جميعاً في طلب العيش . .
وكل أخذ معه زاده «زهابه» . . وكانت العادة تحث على الصبر
والتحمل . . إلا أن واحداً من هؤلاء الرجال قد عضه الجوع . . وهم
يمشون أدخل يده في «خرجه» وكسر قطعة من «قرص» زودته به
والدته . . وقضم هذه الكسرة . . فحطوا الرحال . . وكل أخرج زاده حين
لحظوا أن «قرص» صاحبهم قد «قضم» فسألوه . . وكان من العيب أن

يذكر لهم الحقيقة .. فقال ربما أكله الفأر .. فاستغفלוه .. واستهجنوا جوابه .. وأنه من غير الممكن أن يستطيع الفأر قضم القرص بهذه الصورة .. فالقرص يابس .. والفأر ضعيف .. أسنانه لا تقوى على القضم .. !! فأسرهما في نفسه .. ورمت بهم السنون وأيسر الله على صاحب القرص فاغتنى .. وفكر أن يجمع أصحابه ليتذكروا في تلكم الأيام الخوالي .. فجمعهم على مائدة فيها كل شيء إلا القرص المقضوم .. وقبل الورود على المائدة أحضر الرجل «هيماً» والهيم قطعة من الحديد الصلب يستعان بها في حفر الآبار الارتوازية - الآن على الأقل - كان الهيم «مقضوماً» من أحد طرفيه .. عرضه الصاحب على الأصحاب .. قال لهم: هل تصدقون أن الفأر قد «قضم» هذا الهيم؟! فما كان منهم من معارض .. قطعاً يستطيع الفأر الآن أن يأكل الهيم كله .. والفأر هو الفأر .. لكن الحال غير الحال .. صبر قليلاً لعل واحداً منهم يستغفله ويسفه منه الحلم .. ولكنهم كانوا متفقين في الرأي .. فاعتذر لهم - بقوة - عن تقديم المائدة لهم عندما ذكرهم بالقرص الذي لم يتمكن الفأر من قضمه .. !!

— ٤ —

ترى لو أورد هذه القصة حكيم من الحكماء القدامى .. الذين نشأوا قبل الميلاد لأصبحت حكمة تذكر لهم .. وكانت مجالاً للتفاخر .. وربما وصلت إلى حد إخراجها تمثيلية أو مسرحية تضاهي مسرحيات «شكسبير» التي لا تزال تقام على مختلف المستويات .. هي حكمة لا تقل كثيراً عن الحكمة التي خرجت من مسرحية «تاجر البندقية» .. فالمغزى في الإثنين موجود .. والحبكة فيهما متوفرة .. والسياق مهد فيهما إلى النتيجة وهكذا .. على أن هذا الموقف ليس موقف نقد أو مقارنة أدبية بين الموقفين .. ولكن لأن تاجر البندقية اكتست العالمية فشاعت .. أما

أصحاب الهيم فهي من الموروث الشعبي الذي يقف منه البعض مواقف غير ودية . . لمجرد أنه موروث شعبي . . هذا الموقف الذي قد يصل أحياناً إلى الدفاع عن الوجود . . عند البعض . . وكأن الوجود قد ارتبط بالموروث الشعبي . . وهنا ربما حصل الخلل في المبدأ . . ولا أريد أن أثقل على القارئ بالعودة إلى المبدأ . . فقد تكررت هذه الكلمة مرات عديدة . .

- ٥ -

لقد حاول الأستاذ «عبد الكريم الجهيمان» رصد الأساطير الشعبية من قلب الجزيرة العربية في مجموعة مجلدات . . وعند قراءة هذه الأساطير يستطيع المرء الخروج منها بحكم غزيرة . . وفيها ما فيها من حكايات سطحية قد تخلو أحياناً من المغزى . . ولكنها على أي حال تحكي فترة من فترات مر بها المجتمع . . وفيها الواقعي الذي يمكن الاعتماد عليه في دراسة المجتمع . . كما فيها الأساطير الخيالية التي لا تتفق مع العقل ولم يرد لها أن تتفق معه . . فالخيال والعقل على طرفي نقيض . . وغالب الحكايات الواقعية قريبة من الروح الإسلامية التي كانت - ولا تزال - ترسم طابعها على المجتمع . . وهي صور صادقة يصعب الوصول إليها من مصادر أخرى غير هذا المصدر الشعبي . . فيؤخذ منها المناسب . . ويتعرض منها غير المقبول مع انقراض الفترة التي مضت . . «ولا تزر وازرة وزر أخرى» . .

والسؤال الذي يحتاج إلى مزيد من البحث هو في مدى الجدوى من دراسة هذا الموروث - قصصاً أو شعراً - على المستوى العلمي «الأكاديمي» . . والموقفان المتقدمان يمليان الإجابة على هذا السؤال . . حتى ليستغرب البعض أن تلقى قصيدة عامية في صرح علمي شامخ . . ويستغرب آخرون أن تقوم أقسام للاجتماع لا توجد فيها دراسات للموروث الشعبي .

ولست أملك أن أصل إلى حكم فصل يمكن أن يعد معياراً في هذا المجال، ولكنني أطرحها فكرة هنا وهي أن كل موروث شعبي يناقض أو يتعارض مع المبدأ الإسلامي فهو غير مقبول.. فإذا اتفق على هذا حصل توفيق بين الموقفين.. والتقيا في منتصف الطريق.. ليكملا المسيرة العلمية.. بالروح العلمية المجردة.. التي لا نفتأ نطلق عليها «الموضوعية».. وكان الله في عون الجميع..

الجزيرة، العدد ٦٣١٠

الأحد ١٠ جمادي الآخرة ١٤١٠ هـ الموافق ٧ يناير ١٩٩٠ م

مراكز البحوث .. والمؤشر

أصبح اليوم لزاماً على أية مؤسسة علمية أو تعليمية أن تعنى بجوانب البحث فيها، مما يغطي نقصاً هي بحاجة إلى رآيه. وفي زمن مضى، وقبل أن تتبلور فكرة وجود هيئة للبحث، كانت المؤسسات التعليمية بعامة والجامعات بخاصة تعتمد اعتماداً كبيراً على سوق النشر وجهد التأليف، وإن كانت فكرة البحث فيها قائمة، ولكنها كانت تقتصر على الجانب التجريبي والتدريبي لدى الطلاب الذين هم على وشك الحصول على الشهادة الجامعية. . واليوم يبدو أن هذا الجانب التجريبي التدريبي لم يقتصر على السنة النهائية للتخرج وإنما غالباً هو يبدأ في السنوات الأولى للدراسة الجامعية مما يوحى بتبلور فكرة البحث، ويشير إلى الاهتمام به وبمناهجه وطرقه، والإدراك التام لفعالية البحث وتأثيره في تقدم العلوم وصقلها، . ولعل هذا التبلور في الفكرة وهذا الاهتمام والإدراك كان مدعاة إلى أن تجد المؤسسات التعليمية في إيجاد مراكز بحوث فيها تركيز فيها على ما يخدم اهتماماتها وتوجهاتها العلمية.

وأتركيز على الاهتمامات والتوجهات العلمية لأية مؤسسة هو المؤشر على إيجاد مركز للبحوث، وبما أن الحاجة إلى إيجاد مثل هذه المراكز قائمة على أي حال فإن قيامه لا يعني فرضية وجود مركز

البحوث، إن لم تدرك وظيفته إدراكاً تاماً، وتهيأ له الأسباب التي تعين على أن يقوم المركز بما يناط به وما يتوقع منه. ولعل هذا بدوره يفرض على المفكرين في إيجاد مركز للبحوث أن يتعرفوا على نوعية العمل والمهمة التي يقوم بها المركز ليغطي النقص في زاوية صغيرة وضيقة لم تغط من قبل، أو أنها غطيت ولكن التغطية أوصلت الأمر إلى حد «التعمية» فيعمد المركز إلى تصحيح هذا الاتجاه وإبراز هذه الزاوية الصغيرة بصورتها الواضحة التي كان من المتوقع أن تبرز بها لولا أنها لم توفق إلى من يقوم بذلك، إما لجهل تام لها، أو لمعرفة تامة بها مصحوبة بالقصد إلى تعميمها وإبرازها للناس بوجه آخر غير الوجه الحقيقي لها.

على أن مراكز البحوث لا تقتصر بأية حال على المؤسسات التعليمية الكبرى كالجامعات مثلاً، ولكنها تتعدى ذلك لتشمل جميع المؤسسات العلمية والتعليمية، ولكنها برزت كثيراً لدى الجامعات، وأهميتها لدى المؤسسات الأخرى لا تقل عن أهميتها لدى الجامعات، لأن الجامعات لا يتوقع منها بسبب من إمكانياتها المتعددة البشرية والمادية والزمية أن تغطي جميع احتياجات البيئة التي تخدمها تغطية تامة، مهما أتيحت لها من ظروف، وعليه فإن الهيئات الزراعية والصناعية والصحية والتجارية والأمنية وغيرها لا بد أن تغطي اهتماماتها جانب البحث والدرس لموضوعات تريدها أن تغطي بأسلوب يخدم هذه البيئة ذاتها.



الإعداد للمركز:

وإذا كان القيام بمثل هذه المراكز تفرضه الحاجة - لا التقليد - فإنه من المؤكد أن العامل الأول لقيام مثل هذه المراكز هو عامل الإعداد البشري لها. ويبدأ الإعداد البشري في اختيار الإدارة التي تدرك تماماً

مهمة مركز البحث، وتعرف كيف تصل إلى تنفيذ أهداف المركز القريبة، والتي رسمت لها من قبل المؤسسة أو الهيئة التابع لها المركز حسب ما تمليه الأهداف البعيدة لهذه الهيئة أو المؤسسة. وإذا كانت الجامعات والدراسات العليا فيها لا تزال قاصرة على تخريج كوادر لمثل هذا، فإن هذا لا يعني أن مراكز البحث لا تحتاج إلى المتخصص الذي يدرك تماماً العمل المناط به، ويدرك وظيفة الباحثين لدى المركز واهتماماتهم وقدراتهم وميولهم. وقد يعتمد البعض في مراكز البحوث إلى أسلوب التكلفة والتعيين، وذلك بأن يوحي لباحث أن زاوية تحتاج إلى تغطية، وأن على الباحث أن يغطيها، فتبحث في ميول وإدراكات واهتمامات وقدرات هذا الباحث فتجدها لا تتوافق مع موضوع الزاوية التي طلب منه أن يبحث فيها، ولعل سوء الفهم هذا ناتج عن شعور العاملين في مراكز البحوث بأن الباحثين لديهم لا يتعدون كونهم «موظفين» بالمعنى الشامل لكلمة وظيفة، هذا المعنى الذي يخول للعاملين تكليف الباحثين بطرق موضوعات لا ينتمون - عملياً - لها، وهذه النقطة تبرز كثيراً عندما يكون مركز البحوث على درجة كبيرة من التخصص. . فالباحث المؤهل في الهندسة الزراعية لا ربما لا يستطيع إعداد بحث حول آفات الزراعة، أو الأحوال النفسية للمزارع مثلاً، ويقاس على ذلك الشيء الكثير.

● ● ولعل مثل هذا الخلط في مفهوم مركز البحث يعد العنصر الأول، بينما أرى في تقهقهر كثير من مراكز البحوث في العالم وبروز التشكيك في مهمة وإنجازات مثل هذه المراكز إذا ما قوبلت بما ينفق عليها من طاقات بشرية ومادية. . وهذا يثقل المهمة كثيراً على مراكز البحث ويجعلها تعيد التفكير في الأسلوب المتبع لديها. والذي يبدو أن في إعادة التفكير صعوبة ليس بعدها صعوبة، إذ أن المنطلق «المثالي» لمركز البحث أن يقوم العاملون عليه على البحث عن المتخصصين في

الموضوعات التي يغطيها المركز من الباحثين «الكبار» إن صحت الإشارة إليهم بذلك، ويقصد هنا بالكبار علمياً، أي القادرين على البحث من أولئك الذين يملكون مقوماته من ناحية، وترى لديهم المقدرة الجسمية والذهنية التي تجعلهم يغوصون بين الكتاب والمواد العلمية الأخرى فلا يخرجهم منها إلا الضرورات الإنسانية من طعام وراحة وعبادات. وهذه النوعية من الباحثين موجودة ولكنها تحتاج إلى من يطرق أبوابها. إذ أنها في أغلب الأحوال لا تطرق الأبواب.

● ● وصعوبة أخرى تعترى طبيعة مراكز البحوث، وذلك فيما يتعلق بإنجازاتها. إذ أن التكاليف بالبحث قد لا يخضع إلى مدة زمنية بعينها، والتحديد الزمني لإعداد أي بحث قد يكون فيه إجحاف كثير على الباحث ينعكس ذلك على عملية البحث، ونحن من حيث كوننا بشراً نريد أن ننجز أشياء كثيرة في وقت قصير، وفي مراكز البحوث لا بد لنا أن ندرك العكس تماماً. فمراكز البحوث بطبيعتها تنجز أشياء قليلة - عدداً - في وقت طويل. وهذا ربما يقود إلى النظر في ضبط الباحث، والتأكد من أنه لا يغلب جوانب شخصية أخرى تؤثر في تطويل مدة البحث، بحجة أن التحديد الزمني لا ينطبق على طبيعة إعداد البحوث، فيعمد بعض الإداريين في مراكز البحوث إلى الحصول على تقرير دوري عن الإنجاز الذي وصل إليه الباحث. وهذا يوحي للباحث بأنه مراقب تماماً ومتابع في بحثه فيؤثر ذلك أيضاً على عملية البحث وموضوعيته.

● ● وصعوبة ثالثة تعترض طبيعة عمل مراكز البحوث، وهي أن مركز البحث لا يمكن تحديده بزمن يومي يطلق عليه «الدوام الرسمي»، فإذا كان مركز البحث يبدأ أعماله الإدارية وينتهيها حسب ما تمليه أنظمة الهيئة العليا التي يخدمها المركز، فإن الباحثين عموماً لا يستطيعون التقيد بذلك الدوام الرسمي للمركز، فالباحث عادة تراه بين مواد العلمية لا

يقوم عنها - كما ذكر - إلا لضرورات الحياة. فإذا أزيح عن البحث الذي يقوم به بحجة أن الدوام الرسمي قد انتهى فإنه لا شك سيتأثر في بحثه، وربما يتعثر في ذلك وليس في هذا تلميح إلى التمديد في فترة عمل مراكز البحوث اليومية، ولكنه هنا محاولة للتقليص من التركيز على الدوام الرسمي للباحثين. وهذه ولا شك نظرة مثالية أخرى تصطدم عادة مع واقع البشر، ويمكن التفاعل معها إذا طرقت أبواب الباحثين الذين ذكرنا أنهم لا يطرقون الأبواب وهم موجودون!.



قواعد معلومات:

وعقبة أخرى تواجه مركز البحوث وتواجهها مراكز البحوث، وهي الوقوع عادة في التكرار في البحث. إذ قد يكلف الباحث التابع لمركز البحوث بالقيام الإعداد لبحث في موضوع ولو كان دقيقاً فيتضح أن هذا الموضوع قد غطي قبل فترة وجيزة أو أنه يغطي في الوقت الحاضر. وهذا يتطلب عادة إيجاد «قاعدة معلومات» تكون مهمتها تجميع كل ما صدر في موضوعات المركز واهتماماته والنظر فيها والأخذ منها بما يخدم أهداف المركز والاستفادة منه، ومن ثم عدم تكراره. وإيجاد مثل هذه القاعدة من الناحية الفنية سهل المنال في أيامنا هذه، وتبقى مسألة تجميع المعلومات «الخام» لرصدها في هذه القاعدة، وهنا يمكن الاستعانة بالهيئات الإقليمية والدولية ذات الاهتمام المشترك، وهذه الهيئات يمكنها عادة أن تزود المركز بأشرطة جاهزة للمعلومات التي لديها وتترك للمركز فرصة الاختيار منها.

ولعل هذا يخول لنا القول بأن أي مركز للبحوث لا يكتنف قاعدة معلومات يحتاج إلى إعادة تقييم وتقويم. وذلك لأن مركز المعلومات

سوف يغني مركز البحوث عن فكرة التكرار والازدواجية في إعداد البحوث، بل وفي التفكير فيها. وإذا كانت بعض مراكز البحوث من حيث التخصص والتميز بحيث لا يتوقع أن تتكرر بحوثها من قبل مراكز أخرى، فإن هذا لا يمنع أن تكون مراكز أخرى قد طرقت موضوعات مشابهة في بيئتها، فيستفاد منها في المنهج وطريقة البحث وتحليل النتائج على أقل تقدير. فمركز أبحاث الحج من النوعية المميزة التي قد لا يوجد لها مثل في تخصصها واهتماماتها ونوعية أبحاثها، مع هذا فإن هذا المركز لا يستغني عن تجارب مراكز أخرى تخدم مجموعة من الناس مثلما يخدمهم مركز أبحاث الحج، وإن اختلفت المقاصد والتوجهات، مثل هذه المراكز لها تجربة عريقة في إعداد بحوثها حول مجموعات محدودة من الناس ترتاد أماكن خاصة في مواسم معتمدة. مع إمكانية التصرف التام بالأساليب والوسائل لتتطابق مع البيئة التي تخدمها المراكز المحلية كمركز أبحاث الحج وغيرها كثير.

● ● وغني عن البيان التركيز على جانب النشر لدى مراكز البحوث، فهذا الجانب يعد قائمة لا بد من وجودها واعتبارها من خدمات المركز الرئيسية، إذ لا يتوقع أن تستفيد الهيئة الكبرى التي يخدمها المركز من إنجازاته، بل إن هيئات كثيرة محلية وإقليمية ودولية تستفيد بطريق أو بآخر من مثل هذه الإنجازات، وعليه فإن نشر البحوث ربما اعتبر مؤشراً من مؤشرات النشاط العلمي والثقافي للهيئة التي يخدمها المركز، وبالقدر الذي ينشره مركز البحوث فيها يحكم على مدى عمقها وتبهرها في الثقافة ورغبتها في نشر العلم والمعرفة. ولا يستهان بأي حال من الأحوال بمدى الاستفادة مما ينجز مهما كان الإنجاز متواضعاً في نتائجه، ما دامت توفرت فيه الناحية العلمية والموضوعية التي يتوقع أن يركز عليها المركز في أبحاثه ودراساته.

● ● ويمكن أن يخرج المرء من هذا كله بنتيجة أن مراكز البحوث وكثرتها تعد مؤشراً من مؤشرات الحضارة تنعكس من خلالها اهتمامات الأمة عموماً في سعيها نحو النهوض، ويستشف منها مدى انتماء هذه الأمة إلى ثقافتها وثروتها العلمية والثقافية التي ارتكز عليها حاضرها، ويرتكز عليها مستقبلها. فمزيداً من مراكز البحوث والبحث عن الباحثين المؤهلين.

الجزيرة - السبت ٥ صفر ١٤٠٦ هـ

الموافق ١٩ أكتوبر ١٩٨٥ م - العدد ٤٧٦٩

٦,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ للبحث العلمي

الذين استمعوا وشاهدوا الإعلان التفصيلي لميزانية المملكة للعام المالي ١٤٠٧ هـ / ١٤٠٨ هـ استوقفتهم الأرقام. والملاحظ في جمع من الناس في مناسبة يوم الأربعاء ٣٠/٤/١٤٠٧ هـ أن كل واحد من هؤلاء أرهف السمع عندما أعلنت أرقام تهمة مباشرة من حيث انتمائه الوطني. وكنت قد ركزت على مخصصات التعليم العالي وأنا أستمع إلى المراسيم الملكية.. فوجدت الإعلان عنها جاء في المقدمة بعد ثلاثة مراسيم فقط، وفي هذا دلالة لا تخفى على الجميع من حيث اهتمام الدولة بالركيزة العلمية. وحاولت سريعاً حصر الاعتمادات للتعليم العالي فوجدتها قد فاقت الستة آلاف مليون ريال عندما أضفت إلى الجامعات كليات البنات والكليات الأخرى ومدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية.

هذا المبلغ يتوقع منه أن يصرف خلال عام مالي واحد، ولذلك فهو مبلغ غير يسير يخصص لجانب واحد من جوانب عدة من مرافق الدولة.

هذا المبلغ الكبير قد خصص منه للبحث العلمي جزء كبير أيضاً ولا شك، سواء كان ذلك للبحث العلمي التطبيقي أو للبحث العلمي التقني أو البحث العلمي الاجتماعي أو البحث الإنساني (العلوم الإنسانية) وهذا يدعو المهتم بالبحث العلمي إلى أن يقول كلمة في ظل الظروف الراهنة

التي شهدت فيها البلاد مرحلة من المراجعة في الميزانية العامة للدولة، فجاء التركيز على جوانب تحتم التركيز عليها في سبيل الانتقال من مرحلة التنمية التي ركزت على البنية الأساسية إلى مرحلة التنمية التي تركز على شغل هذه البنية الأساسية بأبناء الوطن المؤهلين عقيدة وعلماً وخبرة. فجاء الحديث على الترشيد في القبول لدى الجامعات، وقل إن شئت جاء الحديث على إرشاد القبول لدى الجامعات، فصار التركيز على الدعوة إلى الاتجاه إلى الجوانب العلمية التطبيقية والجوانب التقنية. وصار التركيز على الدعوة إلى الاتجاه نحو التعليم الفني والمهني (المتوسط) الذي يخرج السواعد والخبرات إلى جانب الباحثين والدارسين.

وعن طريق التركيز على التعليم العالي تبرز هنا فكرة التركيز على تخريج العلماء والباحثين بدلاً من التركيز على دفعات من (الخريجين) الذين يكون عهد الكثيرين منهم بالتعليم العالي مقتصرًا على فترة التحصيل العلمي فقط.

أسلوب التقويم:

ماذا لو قومت الجامعات بالنظر إلى عدد البحوث والدراسات والمشروعات التي أنجزتها بدلاً من تقويمها بعدد الذين تخرجوا منها..؟.

قد يعتقد البعض أن مفهوم هذا الحديث يوحى بتقليل أهمية البحث العلمي، والواقع ينفي ذلك لوجود مراكز البحوث والمختبرات والمعامل وكثرة المشروعات التي تتبناها مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية. وليس هذا هو مفهوم الحديث. ولكن الذي لا بد من عدم إغفاله أن البحث العلمي لم يقف إلى الآن موازياً لحاجة البلاد. ويمكن النظر إلى الاستعانة بالخبرات الأجنبية دليلاً على حاجتنا إلى البحث العلمي لدى

مؤسساتنا العلمية والتعليمية، وليس من الحكمة عدم التأكيد على ذلك من قبل الكاتب.

والحق أننا نتهلل بشراً عندما نقرأ في صحافتنا عن إنجاز علمي قام به أحد منسوبي جامعاتنا، ونفتخر به ولنا أن نفتخر بهذا. وهذه الإنطباعة نجد ما يوازئها أيضاً عندما تعلن جامعة من جامعاتنا عن تخريج العدد الكبير من طلبتها. والذي أحب أن أصل إليه هو التأكيد على التركيز على البحث العلمي ولو كان على حساب عدد المقبولين في الجامعة، خاصة في الوقت الذي نلاحظ فيه أن هناك مجموعات غير قليلة من خريجي المدارس الثانوية يطرقون أبواب الجامعات. وليس هناك مؤشر سلبي عندما لا تفتح لهم هذه الأبواب بغرض الترشيد.

وإذا أضفنا إلى ذلك أن الدولة قد أعطت الطالب الكثير والكثير وأكثر مما يناله أي طالب في العوالم الأخرى وجدنا أن هناك حاجة إلى إعادة النظر - ليس من حيث المكافأة - الشهريّة فحسب - ولكن أيضاً من حيث مجانية السكن ورمزية الغذاء والكتاب من حيث القيمة، بحيث أصبح كثير من الطلاب يسيء استخدام هذا العطاء ويتصور بعض الغافلين منهم أن هذا أصبح من واجبات الجامعة حياله مما انعكست آثاره على التحصيل العلمي والشخصي للخريج الذي نرغبه خريجاً باحثاً يمتلك أرضية ثقافية عميقة الجذور.

أسلوب الأداء:

وفي سبيل التركيز على البحث العلمي بين الجامعات والمعاهد العليا والمؤسسات التعليمية، وإعطاء هذا الجانب الأهمية الأولى والرئيسية ولو على حساب القبول، لا بد من التأكيد على مبدأ التعاون بين الجامعات السعودية بالدرجة الأولى، ومن ثم التأكيد على التعاون بين

الجامعات الخليجية والعربية في سبيل الوصول إلى طريقه أفضل في أداء يوفر الشيء الكثير من الجهد والمال والذهن، الذي سيصرف على البحث العلمي، ومجالات التعاون كثيرة يحتاج كل مجال منها إلى دراسة وعناية ورعاية كالأشتراك في استخدام الكتاب وتداوله بين الجامعات، والأشتراك في استخدام المعمل والمختبر وخاصة إذا كانت بعض الجامعات لا تركز كثيراً على مجالات تركز عليها الجامعة الأخرى، ولكنها تحتاج إلى المعمل والمختبر فتستعين بشقيقاتها في سبيل القيام بالأبحاث والدراسات. والأشتراك في مجالات زيارة أعضاء هيئة التدريس.

وكنت قد تحدثت عن هذا في مجال مستقل . . والأشتراك في مناقشات الرسائل العلمية وتسهيل هذا الأسلوب والتخلص من عوائق إدارية تحول دون اللجوء إليه. ولعل لهذا الموضوع حديثاً خاصاً لأهميته. ويدخل فيه تسهيل تبادل الخبرة بين الجامعات على المستوى العلمي (الأكاديمي) والأشتراك في برامج تقنية يمكن من خلاله تبادل المعلومات . . إلخ . .

أساليب التعاون كثيرة وتحتاج إلى التنبه على أهميتها والاتصال المباشر بين الجامعات في سبيل تحقيقها . . كل هذا ليتهيأ الجو إلى الاتجاه نحو التركيز على البحث العلمي النظري والتطبيقي والتقني على حد سواء.

ومن ثم تستغل ميزانيات التعليم العالي بأسلوب تتطلبه المرحلة العلمية المتقدمة التي نمر بها. ومزيداً من الخير والنماء والبناء. وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة - السبت ٣ جمادى الأولى ١٤٠٧ هـ

٣ يناير ١٩٨٧ م - العدد ٥٢١٠

الدراسات الإسلامية

في إنديانا بوليس بولاية إنديانا بالولايات المتحدة عقد اجتماع «غير رسمي» حول الدراسات الإسلامية وما يتعلق بها في الجامعات الأمريكية وكان هناك مجموعة من البحوث قدمت في هذا الاجتماع الذي نظمه أ. د. محمد الأحمد الرشيد، أحد أساتذة كلية التربية بجامعة الملك سعود والمتفرغ الآن في أمريكا. وقد عقد الاجتماع في الفترة من ٢٤ - ٢٦ / ٨ / ١٤٠٩ هـ.

وكان المجتمعون خليطاً من «علماء» مسلمين وآخرين غير مسلمين من الأمريكيين الذين يدرّسون الإسلام في الجامعات والمعاهد الأمريكية. ومن خلال النقاش الذي استمر لثلاثة أيام حاول المجتمعون الخروج بنتيجة لهذا الاجتماع وكانت النتيجة المهمة - بغض النظر عن التفاصيل - هي الحاجة المستمرة إلى البرامج في العلوم الإسلامية رغم وجود أكثر من مائة وثلاثة وعشرين برنامجاً (١٢٣) كما يفيد دليل جمعية دراسات الشرق الأوسط. وليست الحاجة بالضرورة إلى الزيادة في العدد أكثر من الحاجة إلى تكثيف البرامج واللجوء إلى العمق في تقديم المعلومات عن الإسلام بعد محاولة تعريف المقصود بالدراسات الإسلامية في الجامعات والمعاهد الأمريكية.

وقد حاول المجتمعون البحث عن صيغة موحدة لتقديم الإسلام إلى

الأمريكيين من خلال هذه المؤسسات العلمية. والاقتراح الذي لاقى القبول هو أن يهيأ الطلبة في مدارس التعليم العام «دون الجامعي» من خلال تقديم معلومات صحيحة عن الإسلام. وهذا يذكرنا بمشروع تنفذه سفارة خادم الحرمين الشريفين في مجموعة مختارة من المدارس الأمريكية يعرف بالإسلام والمملكة على اعتبار أنها مركز هذا الإشعاع.

ولا يقتصر الأمر على هذا بل تُعقد لقاءات مع أساتذة الاجتماعيات في المدارس الثانوية يبين فيها الإسلام كما يجب أن يكون عليه، ويقوم بهذه المهمة مجلس الشؤون الأمريكية العربية في واشنطن العاصمة من خلال هذه الندوات التي تعقد في الجامعات. وقد لاقى ولقي هذا المجلس بمشروعه الدعم والتأييد من قبل سفير خادم الحرمين الشريفين صاحب السمو الملكي الأمير بندر بن سلطان بن عبد العزيز عندما نقلت له الفكرة.

وهناك جهود أخرى هنا وهناك تحاول التعريف بالإسلام ليس كثقافة، بل من حيث التطبيق في البلاد الإسلامية وإمكانية التطبيق في المجتمعات الأخرى وخاصة في المجتمع الأمريكي الذي بدأ ينظر إلى المنطقة التي يعيش بها المسلمون لأغراض متعددة، منها الغرض السياسي والاقتصادي والاجتماعي وغيرها من الأغراض التي تخدم المجتمع أو السياسة الأمريكية في سبيل رعاية مصالحها في المناطق التي يقطنها المسلمون. ولأغراض علمية بحتة نريد أن نقدم الإسلام للآخرين بطريقة علمية تكاد تخلو من سوء التقديم الذي صحب الدراسات الإسلامية في الغرب عموماً لسنين طويلة.

وقد استمعت إلى محاضرات عن الإسلام والمسلمين من قبل غير مسلمين فوجدت أن هؤلاء «غير المسلمين» قد قدموا للحاضرين فكرة عن الإسلام قد لا يوفق إلى تقديمها المسلم نفسه في المجتمع الأوروبي،

نظراً لسيطرة أسلوب الدفاع على الأحاديث والمحاضرات التي يقدمها المسلمون، وكذلك سيطرة الإعتذار والتبرير لبعض المسائل المسلّم بها من قبل المسلمين، وكذلك وقع الحديث على غير المسلمين إذا كان قادماً من غير مسلم يتحدث على الإسلام. هذه السيطرة التي أكدت عليها إحدى الباحثات في ورقة لها قدّمتها إلى أحد هذه الاجتماعات الذي عقد في مدينة إنديانا بوليس. هذا بالإضافة إلى سيطرة «عدم الثقة» من المسلمين أنفسهم - بعضهم وليس كلهم - نتيجة لمحدودية المعلومات عن الإسلام لديهم، في الوقت الذي يوضعون فيه «في الصورة» ليعطوا محاضرات أو أحاديث أو ليشاركوا في الندوات لأنهم مسلمون ليس لأنهم علماء مسلمون، فيفشلون في تقديم الصورة الواضحة عن الإسلام حتى يصل الأمر إلى أن يرد عليهم غير المسلمين ويعينونهم على تقديم هذه الصورة الواضحة، فيخرج من هذا النشاط وهو شبه مهزوز، ولا أتحدث هنا على العلماء المسلمين الذين يقدمون المحاضرات والأحاديث، ولا أقصد بالعلماء المسلمين أولئك العلماء في تخصصات مختلفة لأن خلفية هؤلاء لا تختلف عن غيرهم من غير العلماء، بل إن غيرهم من غير العلماء قد يكونون أكثر منهم علماً، ولكنني أقصد العلماء في العلوم الشرعية أو العلوم الإسلامية عموماً.

والذي يقرأ هذه الأسطر قد يتهم صاحبها بأنه لا يكاد يختلف عن أولئك المدافعين والمعتذرين وذلك برفعه لقيمة أولئك الذين يتحدثون على الإسلام والمسلمين وهم غير مسلمين، وحتى لا يصدق هذا القول ألفت الانتباه إلى أن هناك عناصر لا تزال تتهجم على الإسلام وتتبع أساليب المستشرقين في الإساءة إلى الإسلام والمسلمين، بل إن جمعية دراسات الشرق الأوسط قبل خمسة عشر عاماً مضت قامت على أكتاف أولئك الذين أعلنوا وقوفهم ضد الإسلام والمسلمين واليوم تتحول هذه

الجمعية في أعضائها إلى أولئك الذين يقدمون صورة حقيقية - أو قريية من الحقيقة - عن الإسلام، في الوقت الذي يقف فيه مجموعات مختلفة ضد أي نشاط إسلامي على المستوى العلمي أو الدعوي ولعله من خلال هذا يفهم أن الطريق ليست ممهدة تماماً للتعريف بالإسلام، ولكن يظل الطريق يمهد وتعلمون أن الطريق إذا مهد احتاج إلى الصيانة وهكذا.

ومادامت الجهود المخلصة لاتزال تترى من المتوقع أن تستمر الصورة في ميلها إلى الاعتدال، خاصة عندما نعلم أن المجتمع الأمريكي يتقبل ما يأتي إليه إذا قدم له بشكل يناسب. هذا المجتمع، فلا يقتصر الاهتمام فقط على المراكز الإسلامية والمساجد بل يتعدى إلى الاهتمام بالدراسات الإسلامية في الجامعات والمعاهد الأمريكية، ووجوه الاهتمام بهذا الجانب لا تقتصر على الدعم المادي وإقامة الكراسي في أقسام الدراسات العربية، أو الشرق أوسطية أو الإسلامية (وهناك تحفظ على إقامة الكراسي)، ولكنها أيضاً تشمل على جوانب أخرى كالاستعانة بالأساتذة الزائرين من الجامعات العربية والإسلامية، وتزويد المكتبات هناك بالمطبوعات والأفلام بالعربية والانجليزية، واستضافة هذه الأقسام في الدول العربية والإسلامية على مستوى الأفراد أو الجماعات، وإطلاعهم على الواقع العلمي والاجتماعي الذي يعيشه هذا المجتمع. هذا بالإضافة إلى انخراط أئمة المساجد ومديري المراكز الإسلامية في المجتمع الأمريكي في حدود ما يمليه الشرع بحيث لا يكون المركز أو المسجد معزولاً من المجتمع الذي يخدمه. فهو لا يخدم المسلمين في مجال خدمته فحسب، بل يخدم غير المسلمين من خلال تقديم الصورة المناسبة عن العرب والمسلمين، حيث تؤكد الدكتورة إيفون حداد على هذه النقطة وتشير إلى أن المجتمع الأمريكي يتطلع إلى أن يعرف شيئاً عن الإسلام، ليس بالضرورة ليصبح مسلماً ولكن - على الأقل - ليكون صورة

صحيحة في الوقت الذي يساء فيه إلى الإسلام باسم الإسلام وعلى المستوى الرسمي .

وإذا كان المقام لا يسمح بالتوسع فلعل هناك وقفة أخرى تركز على نتائج وتوصيات هذا اللقاء . فقد كان حقاً شائقاً وفكرته كانت جيدة إلى درجة الدعوة إلى عقد مثل هذا اللقاء بشكل مستمر ، بحيث تزداد العلاقة قوة ويشعر أولئك الذين يقدمون الإسلام لغير المسلمين وهم غير مسلمين أن هناك اهتماماً بما يقدمونه وهناك نوعاً من المتابعة لما يقدمونه ، وكان الله في عون الجميع .

Oberrhein
Kunsthalle
(-1) 8983395